جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

مذكرة ماستر

علوم الإنسانية
التاريخ
تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط
رقم :

إعداد الطالبتين :
سهام حساين
صفية مزروع
يوم : //2021

إقليم الزاب- دراسة اقتصادية -

(القرن 2 - 7هـ/ 8 - 13م)

لجنة المناقشة :

العضو1:		جامعة محمد خيضر ـ بسكرة ـ	رئيسا
مبروك بن مسعود	أ.مح.ب	جامعة محمد خيضر ـ بسكرة ـ	مشرفا ومقررا
العضو3:	الرتبة	جامعة محمد خيضر ـ بسكرة ـ	مناقشا

السنة الجامعية : 2020 ـ 2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال الله تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ سورة الأحقاف : الآية 15

الحمدلله الذي بعزّته وجلاله تتم الصّالحات، ربّي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، الحمدلله الذي وفقنا لإنجاز هذه المذكرة.

وانطلاقا من قول خير الأنام عليه أفضل الصّلاة والّسلام **(من لم يشكر الناس لم يشكر الله)**

نتقدم بخالص الشكر للأستاذ المشرف الدكتور " **بن مسعود مبروك** " الذي تكرم علينا بإشرافه على هذا البحث، ولم يبخل علينا بتوجيهاته القيمة والدائمة، فجزاه الله عناّ خير الجزاء .

إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة وغرسوا في أنفسنا حب البحث وشجعونا على المثابرة والاجتهاد. أساتذتنا في قسم التاريخ – **جامعة محمد خيضر**– بسكرة .

كما لايفوتنا أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذة لجنة أعضاء المناقشة على تحملهم عبء قراءة هذا العمل و تقييمه، وكل من ساعدنا على إنجاز هذا البحث ولو بكلمة طيبة سواء من قريب أو من بعيد ، كما لا ننسى شكر دار الثقافة – **أحمد رضا حوحو**– بسكرة ، على كل التسهيلات التي قدموها لنا للإنجاز هذا البحث.

﴿ إلى كل طالب علم نهدي أولى ثمرات جهدنا العلمي ﴾

قائمة المختصرات :

ص ..... الصفحة

د ط ..... دون طبعة

ص ـ ص .... صفحتان متتابعتان

ص ، ص ..... صفحات متباعدة

ص ص ..... صفحات متفرقة

د د ..... دون دار نشر

د ب ..... دون بلد نشر

د س ..... دون سنة نشر

ط ..... طبعة

مج ..... المجلد

ج ..... جزء

ع ..... عدد

تح ..... تحقيق

تع ..... تعليق

تق ..... تقديم

تر ..... ترجمة

مر ..... مراجعة

تص ..... تصحيح

هـ ..... هجري

م ..... ميلادي

ق ..... قرن

ت ..... تاريخ وفاة

مقدمة

نالت بلاد المغرب الإسلامي حظاً في الدراسات التاريخية بشكل عام، ويرجع سبب هذا الاهتمام كون البلاد ضمّت حواضر وأقاليم ذاع صيتها في شتى الميادين، خاصّة منها الجانب العلمي والثقافي، والتي جعلت منه محلّ استقطاب العلماء وطلبة العلم من كافّة الدول المجاورة، وإلى جانب هذا كان للدور الاقتصادي دور فعّال في دفع عجلة التقدم والازدهار فبرزت عدّة مناطق في بلاد المغرب نالت شهرة بسبب اقتصادها من بينها إقليم الزاب. وترجع أهميّته كونه شكّل على مرّ التاريخ مركزا حضاريا هامّا، إذ برز في عدّة محطات تاريخية، فقبل الإسلام كان ضمن إقليم نوميديا الشرقية، وبعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب عرف بإقليم الزاب، حيث كان هذا الأخير قاعدة للعديد من الدول التي تعاقبت على حكم هذه المنطقة خلال العصر الوسيط كالأغالبة، الفاطميون، الحمّاديون، كما كان إقليم الزاب قاعدة اقتصادية متينة بفضل مقوّماته الطبيعية والبشرية ممّا انعكس على الواقع الاقتصادي، الّذي هو موضوع دراستنا التي تحمل عنوان : " **إقليم الزاب دراسة اقتصادية من القرن (2 إلى 7هـ/ 8 إلى 13م)** .

– أهمية الموضوع :

يكتسي هذا الموضوع أهمية، حيث شكل إقليم الزاب أحد أهم أقاليم المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وقد لعب دورا في في مجالات الحياة منها السياسية، الاجتماعية والاقتصادية، ونظرا لقلّة الدراسات حول الحياة الاقتصادية في الإقليم مما استدعى مزيدا من البحث والتقصّي بالرغم من الصعوبات التي واجهتنا .

– أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى :

– التعرف على بلاد الزاب جغرافيا وتاريخيا .

– الكشف عن مجريات الحياة الاقتصادية في الإقليم ومدى الازدهار والتطور الذي بلغه في الفترة قيد الدراسة .

– التطرق إلى المقومات التي زخر بها الإقليم والتي جعلت منه إقليما زراعيا بامتياز.

– التعرف على الصناعات والأنشطة التجارية في منطقة الزاب .

– حدود الدراسة :

للتحكم في الموضوع يستوجب منا ضبطه زمانيا ومكانيا :

– **الإطار الزماني** : خصصنا هذه الدراسة زمنيا من القرن (2هـ/8م) إلى غاية القرن (7هـ/13م) ، نظرا لما تتطلبه الدراسة من فترة زمنية كافية لدراسة الحياة الاقتصادية في بلاد الزاب .

– **الإطار المكاني** : وقع اختيارنا على إقليم الزاب نظرا لامتلاكه جميع شروط الحياة الاقتصادية كما يعتبر أحد أكثر الأقاليم شهرة في المغرب الإسلامي .

– أسباب اختيار الموضوع :

وقفت وراء اختيارنا لهذا الموضوع مجموعة من الأسباب الذاتية والموضوعية، حيث تمثلت في :

ـ الدوافع الذاتية :

– الفضول العلمي وحبّ البحث في المواضيع المحليّة .

– إبراز الدور الذي لعبه إقليم الزاب في دفع عجلة الاقتصاد في بلاد المغرب الإسلامي.
– إثراء مكتبة الكلية بدراسة أكاديمّية حول المنطقة خلال الفترة الوسيطة .

– الدوافع الموضوعية :

– الشهرة الكبيرة التي حظي بها الإقليم من طرف الرّحالة والجغرافيّين في العصر الوسيط .
– قلّة الدراسات العلمية حول الإقليم وخاصة فيما يتعلق بالوضع الاقتصادي .
– أنّ اختيارنا للمنطقة لم يكن صدفة، بل كان لرغبة منّا في البحث عن دراسة مميزة لها فائدة علمية، تضيف بصمة إلى الجهود العلمية المبذولة لكشف الحقائق التاريخية فيما يتعلق بالحياة الاقتصادية في إقليم الزاب .

– الدراسات السابقة :

اعتمدنا في هذا البحث على دراسات سابقة لها علاقة بالموضوع أو جزء منه ، إلاّ أنّ دراستنا ركّزت على الجانب الاقتصادي وفترة زمنية معينة ، ونذكر منها :
– صورية مديازة ، " **بلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية انتقال الفاطميين إلى مصر (21 ـ 362هـ/642 ـ 972م)** " رسالة ماجستير ، تناولت هذه الدراسة الخلفية التاريخية السياسية لبلاد الزاب قبيل الفتح الإسلامي وبعده وصولا إلى الحكم الفاطمي للبلاد ، كما تعرضت لدراسة لمجتمع الزاب والحياة الاقتصادية .
– علي الهطاي ، " **بلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس هجري** " ، رسالة ماجستير ، عالجت هذه الدراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية لبلاد الزاب قبيل الوجود الإسلامي وبعده ، كما عرج عن الوضع الاقتصادي في الإقليم بنوع من الإيجاز .

– إشكالية الدراسة :

لقد كان لإقليم الزاب حضور هامّ في مختلف الأبحاث والدراسات المتعلّقة بالمغرب الإسلامي مركّزين في ذلك على المراحل التاريخية التي مرّ بها الإقليم ، والتي كانت تتحكم فيها قوّة وضعف الدول التي تعاقبت على حكم المنطقة ، وبالتّالي الاهتمام إلى حدّ ما بالجانب السياسي للإقليم والإعراض خاصّة عن تتبع الوضع الاقتصادي الذي كان سائدا في المنطقة، الذي لا يمكن إغفال مدى تأثيره وتأثره بمجريات الأحداث السياسية ، ومنه جاءت إشكالية دراستنا كالآتي : **فيمَ تتمثل الأهميّة الاقتصادية لإقليم الزاب خلال العصر الوسيط؟.**

وتندرج تحت هذا الإشكال جملة من الأسئلة الفرعية :

– كيف كانت الأوضاع العامة لإقليم الزاب قبيل الفتح الإسلامي؟ .

– ما الإطار الجغرافي لبلاد الزاب ؟ .

– فيمَ تمثلت المقومات التي زخر بها الإقليم، التي جعلت منه قطبا اقتصاديا بامتياز ؟ .

– خطة الدراسة :

انطلاقا من المعلومات التي تمكنا من جمعها ، فإن الخطة المتبعة مكوّنة من مقدمة ومدخل عام وأربعة فصول ، وخاتمة تضمنت أهمّ النتائج المتحصل عليها خلال هذه الدراسة. كما دعمنا البحث بملاحق متمثلة في مجموعة خرائط توضيحية ، إضافة إلى بعض الجداول الخاصة بالدراسة .

خصصنا **المدخل العام** لدراسة **أوضاع إقليم الزاب قبيل الفتح الإسلامي** ، وعلى هذا الأساس تمّ التطرق إلى واقع الظروف التي عاشها سكان بلاد المغرب، بما فيها بلاد الزاب تحت حكم الروم البيزنطيين، والتي مهّدت لزوال الحكم البيزنطي على يد الفاتحين المسلمين.

كما تناولنا في **الفصل الأول** دراسة كل من المدلول **اللغوي والاصطلاحي للإقليم** ، ضف إلى ذلك الفتح الإسلامي للمنطقة، ثمّ تطرقنا بعدها إلى التركيبة السكانية من بربر وعرب وافدين ويهود ونصارى، وختمنا الفصل بذكر عواصم الإقليم وتطوّرها التاريخي .

وتعرضنا في **الفصل الثاني للنشاط الفلاحي في إقليم الزاب** ، وتمّ ذكر كل من العوامل الطبيعية والبشرية المؤثرة في الزراعة والرعي، فضلا عن ذكر المزروعات والثروة الحيوانية .

أمّا بخصوص **الفصل الثالث** فقد تطرقنا فيه إلى الصناعات التي انتشرت ولقيت رواجا في الإقليم من صناعة غذائية ونسيجية ، إضافة إلى الصناعة المعدنية والزجاجية، وأخيرا الصناعة الفخارية والخزفية .

وجاء **الفصل الأخير** تحت عنوان **النشاط التجاري في إقليم الزاب**، وبدوره تضمّن عدّة عناصر، بداية بذكر المراكز التجارية في الإقليم ، والتعرف على مسالكه وطرقة الداخلية والخارجية، كما تعرضنا لذكر الأسواق التي كانت في بلاد الزاب وأنواعها ، ثم تناولنا وسائل التعامل التجاري من مكاييل ، موازين ، مقاييس والنظام النقدي ، وختاما لهذا الفصل تمّ التعرض لمختلف السلع والمبادلات التجارية .

– منهج الدراسة :

بناءً على طبيعة الموضوع، اعتمدنا على أكثر من منهج خدمة لموضوع الدراسة وهذه المناهج هي:

– **المنهج التاريخي** : لما له من أهمية كبيرة في ذكر الوقائع والأحداث التاريخية وفق ترتيب كرونولوجي وهو منهج لا يمكن الاستغناء عنه في الدراسات التاريخية .

– **المنهج الوصفي** : وصف بلاد الزاب جغرافيا وبعض الأحداث والأماكن التي صادفتنا أثناء الدراسة .

– **المنهج التحليلي** : اعتمدنا عليه في تفسير بعض الأحداث التاريخية التي وقعت في الإقليم في الفترة قيد الدراسة ومنه سمح لنا بالخروج باستنتاجات .

– **المنهج المقارن** : كان الاعتماد عليه واضحا من خلال تعدّد آراء المؤرخين حول عدّة نقاط كالحديث عن جغرافية البلاد وعن التركيبة السكانية وعواصم الإقليم وكذا الإنتاج الفلاحي وغيره.

عرض لأهم المصادر والمراجع المعتمد عليها :

أمّا فيما يخص أهمّ المصادر التي اعتمدنا عليها في دراستنا هذه، جاءت مرتبة حسب الأهميّة وقدر الاستفادة منها كما تنوعت ما بين مصادر جغرافية وأخرى تاريخية...إلخ .

– كتب الرحلة والجغرافية :

– اليعقوبي (ت284هـ/897م) في كتابه " **البلدان** " ، الذي زار بلاد المغرب وسجل مشاهداته ، ونقل لنا عن أهل البلاد ، وقد كان اعتمادنا عليه في الفصل الأول والذي أمدّنا بمعلومات قيّمة عن جغرافية الإقليم وعن مدنه كما تحدث عن التركيبة السكانية .

– ابن حوقل (ت367هـ/977م) في كتابه " **صورة الأرض** " ، استفدنا منه في مختلف جوانب الحياة الاقتصادية في إقليم الزاب من مزروعات ومسالك وضروب الصناعات والتجارة .

– البكري (ت487هـ/1097م) في كتابه " **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** " وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، أمدنا بمعلومات وفيرة عن الاقتصاد في البلاد الزابية من زراعة ومتمثلة في المحاصيل الزراعية وعن مصادر المياه والثروة الحيوانية التي حظيت بها البلاد كذلك مختلف الصنائع والتجارة من مسالك ، أسواق ، مبادلات تجارية، الأسعار ، المكاييل والموازيين...الخ .

– الإدريسي (ت560هـ/1066م) في كتابه " **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** " ، قدم لنا وصفا جغرافيا قيما عن إقليم الزاب، كما تطرّق لذكر أنواع النشاط الاقتصادي من زراعة وصناعة وتجارة .

– مؤلف مجهول (ق6هـ/12م) ، في كتابه " **الاستبصار في عجائب الأمصار** " ، الذي زار المنطقة وأورد لنا معلومات عن إقليم الزاب وحواضره الكبرى، كما تطرق إلى الجانب الاقتصادي واصفا خيرات البلاد من مزروعات وحيوانات ومصادر مياه ومختلف الصنائع وضروب التجارة .

– المصادر التاريخية :

– ابن عذاري المراكشي (ت ق8هـ/14هـ) ، في كتابه " **البيان المغرب** " في جزئه الأول ، الذي أفادنا في ذكر بعض المحطّات التاريخية في إقليم الزاب كالفتح الإسلامي .

– ابن خلدون (ت808هـ/1405م) ، في كتابه " **المقدمة** " **وكل من الجزء 4 ، 6 ، 7من ديوانه العبر** ، قدم لنا بعض من جزئيات الدراسة الحدود الجغرافية والتركيبة السكانية للإقليم.

– المعاجم :

– ابن منظور في كتابه " **لسان العرب** " ، الذي سهّل علينا شرح الكثير من المصطلحات .
– الحموي ، **معجم البلدان** ، والذي تطرق لجميع مدن وقرى البلاد الزابية وقدم لنا وصفا جغرافيا لها .

– المراجع :

– جودت عبد الكريم يوسف ، " **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنيين الثالث والرابع الهجريين** " ، يعد هذا الكتاب من أكثر المراجع اعتمادا في هذه الدراسة حيث تعرض لمختلف جوانب الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط بما فيها إقليم الزاب.
– صالح يوسف بن قربة ، " **تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد** " ، الذي استوفينا منه مظاهر الحياة الاقتصادية في كل من المسيلة والقلعة واللتان اعتبرتا عاصمتا للزاب في أحد الفترات التاريخية .

– المقالات :

– فاطمة بلهواري ، " **التبادل التجاري بين مدن بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 4هـ/10م** " ، وقد أفادنا بشكل كبير في دراسة الوضع التجاري في الإقليم من ذكر مسالك وطرق وأسواق وسلع... الخ .

– خديجة بورملة ، " **الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط من خلال الكتابات الجغرافية العربية** "، رغم أن الباحثة قد ركزت على المغرب الأوسط إلاّ أنّها تطرقت لذكر المدن التابعة للزاب من خلال ذكر المياه، المحاصيل الزراعية، الثروة الحيوانية، إضافة لمختلف الصنائع والحرف، كما تطرقت للواقع التجاري من مراكز وطرق ومختلف وسائل التعامل التجاري .

– الصعوبات :

من الطبيعي أن تواجه الباحث مجموعة من الصعوبات ، التي تشكل عائقا بينه وبين الوصول إلى الحقيقة العلمية ، ومن بين الصعوبات التي واجهت دراستنا :

– النقص الكبير في المادة التاريخية لبعض العناصر، خاصة بما تعلق بالجانب الصناعي .

– إشكالية الإسقاط والتعميم والتعامل معها خاصة فيما تعلق بالجانب الصناعي والتجاري .

– نقص المادة المخصصة للدراسة صعّب علينا الإلمام بكل جوانب الدراسة .

مدخل عام:

الأوضاع العامة لإقليم الزاب قبل الفتح الإسلامي

أولا : الأوضاع السياسية والعسكرية

ثانيا : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

أولا : الأوضاع السياسية والعسكرية :

كانت بلاد المغرب القديم قبل الاحتلال البيزنطي تحت وطأة الوندال (429 ـ 533م) ، إذ عرفت المنطقة خلال فترة حكمهم العديد من الاضطرابات أدّت إلى القضاء عليهم من قبل البزنطيين[1]، لتبدأ مرحلة جديدة في التاريخ المغاربي وهي الاحتلال البيزنطي، حيث اغتنم الإمبراطور البيزنطي **جستينيان Justinian** (527 ـ 565م) فرصة انحطاط النّفوذ الوندالي في بلاد المغرب فأرسل **بيلزاريوس Belisarius**[1]، الّذي بدوره استطاع الاستيلاء على قرطاج وهيبون سنة (553م) بالإضافة إلى مدن أخرى على سواحل شمال إفريقيا[1] .

لقد كان هناك اختلاف واضح بين مواقف المؤرخين حول حدود السيطرة البيزنطية في الزاب، حيث اعتبر **ديل Dienl** أنّ الشريط الحدودي لا يمكن أن يمرّ إلاّ شمال سلسلة الأوراس؛ ويرجع سبب ذلك إلى عدم قدرة الإدارة البيزنطية على قطع الطريق أمام القبائل الصحراوية، وأيّده في ذلك **غزيل Gsell** الذي اعتبر أنّ الحدود البيزنطية كانت تمتدّ شمال

---

1) محمد الهادي حارش ، **التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي** ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر، 1992 ، ص ـ ص. 263 ـ 264 .

1) قائد عسكري بزنطي (505 ـ 565 م) في عهد الإمبراطور جيستيان قام باسترداد إفريقيا وإيطالي ، (للمزيد أنظر : مفيد الزبيدي ، **موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر** ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، ط.3 ، الأردن ، 2009 ، ص ـ ص 91 ـ 92) .

1) علي الهطاي ، **بلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس هجري – الحادي عشر ميلادي**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العالم المتوسطي وحضارته قديم، إشراف : محمد حسن، كلية الآداب والفنون والإنسانيات ، جامعة منوبة ، تونس ، 2015 ـ 2016، ص. 14 .

الأوراس رغم إقامة العديد من التحصينات من طرف القائد البيزنطي **سولومون solomon** (534 ـ 536 م ـ 539 ـ 544م)[1] .

أمّا الموقف الثاني فيعتبر أنّ النفوذ البيزنطي امتدّ إلى جنوب الأوراس أمثال **البرتيني brtiniAl** الذي اعتبر بمثابة برهان مادّي للتواجد البيزنطي بجنوب الأوراس ويسانده **تروسي Tnousset** الذي استخلص أنّ البيزنطيين قد بسطوا نفوذهم من خلال طريق طبنة الجريد[2] واعتبر أنّ باغاية BAghai وتهودة ThouDa وبادس Bades كانت في صفّ جستيان في مواجهة القبائل المورية[3]، وبما أنّ بيزنطة اعتبرت وجودها بالمغرب هو إعادة وحدة الإمبراطورية الرومانية من قبل الوندال[4]، فقد حاولت إبراز حجم الدّمار والخراب الذي خلّفه الوندال ليصلوا إلى أنّ إعادة إحياء هذه المقاطعة إنّما كان بفضل جهود جوستيان الذي أمر ببناء المدن وترميمها[5].

---

1) يوسف عيبش ، **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي** ، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم ، إشراف : محمد البشير شنيتي ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2006 ـ 2007، ص. 50 .

2) يوسف عيبش ، مرجع سابق ، ص. 50 .

3) علي الهطاي ، مرجع سابق ، ص. 36 .

4) عبد الواحد ذنون طه ، **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس** ، دار المدار الإسلامي ، بنغازي ، ليبيا، 2004، ص. 40 .

5) موسى رحماني ، **الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (27 ــ 362هـ / 637 ــ 972 م) دراسة اجتماعية** ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي ، إشراف : بوبة مجاني، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة المنتوري ، قسنطينة ، 2007 ، ص.38.

وقد سيطر البيزنطيون على الأجزاء الشرقية من شمال إفريقيا وعملوا على انتزاع المدن الخاضعة لحكم الأمراء المناوئين لهم مما تسبب في حروب بين الطرفين[1] أدّت إلى سقوط مدن هامّة في بلاد الحضنة بأيدي البيزنطيين منها طبنة وزابي[2]، فأعادوا بناءها إضافة إلى جبال الأوراس التي تمّ إنشاء حصون قوية بشماله كبغاية، تيمقاد Timgad ، لومبيز Lambèse[3]، وعلى الرغم من أنّ هدف جستيان كما ذكرنا سابقا هو إعادة أمجاد الرومان لكن أصبح الأمر صعب المنال لأنّهم وجدوا إمارات قوية مستقلّة منها الواقعة على تخوم الأوراس ونوميديا الجنوبية منذ عهد الوندال سواء برضاها أو بدون رضاها بقيادة ملك يعاونه رئيسان صغيران[4]، أعطى لأحدهما قيادة الحضنة وجنوبي الأوراس[5] .

الملاحظ أنّ الموقف من البيزنطيين لم يكن نفسه، فالمناطق التي تعدّ نقاط تمركز أحفاد المستوطنين الرومان والمتمثلة في المجتمع الرّوماني والأساقفة الكاثوليك قد رحبوا بقدومهم ومن بينها نذكر: تيمقاد وباغاية[6] .أمّا من جهة البربر فقد انقسم الموقف إلى ثلاث طوائف، الأولى ضمّت المساندة للبيزنطيين[7]، ومثال على ذلك زناتة التي كانت تبدي مقاومة ضدّ المسلمين وتعلن ولائها للبيزنطيين[8]، حيث ذكر ابن خلدون في هذا السياق قائلا:« **ولمّا**

---

1) محمد البشير الشنيتي ، **الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني ــ ومقاومة المور)** ، المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر، 1999، ج.1، ص. 176 .

2) **للمزيد أنظر الملحق، رقم (01) ، ص. 191** .

3) حسين مؤنس ، **فتح العرب للمغرب** ، المكتبة الثقافة الدينية ، (د . ب) ، (د . س) ، ص . 14 .

4) محمد البشير الشنيتي ، مرجع سابق ، ج. 2 ، ص. 411 .

5) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص. 22 .

6) محمد البشير الشنيتي ، المرجع السابق ، ج .2 ، ص. 411 .

7) المرجع نفسه ، ص. 410 .

8) محمد بن عميرة ، **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984 ، ص. 31 .

ملك الإفرنجة في ضواحيهم صاروا يؤدّون لهم الطاعة والخراج ... ذلك حتى جاء الله بالإسلام »[1] وترجع الباحثة صورية مديازة هذا التحالف الذي قام بين الطرفين إلى سنوات قدومهم إلى المنطقة ، فقد اتّفقا في بادئ الأمر ضدّ الوندال ، لكن سياسة الطرف البيزنطي تضيف الباحثة هي التي أشعلت الحرب بين الجانبين ليعود الوفاق بعد أن هدأت الأحوال[2] .

كما وقفت طائفة أخرى موقفا محايدا ؛ إذ حاول البيزنطيون استمالتهم بتقديم الهدايا بهدف شراء الأمن والاستقرار لكن هذه الطائفة لم تنحاز لأي شق دون آخر[3]، غير أنّ هذا الموقف لم يدم طويلا وسرعان ما تغيّر بعد سنتين من دخول القوات البيزنطية، فقد بدأت هذه الأخيرة من طرف قبائل المور بداية من سنة (534م) ، ويرى " الشنيتي " أنّ هذه القبائل كانت حليفة لملوك الوندال الذين أصابهم الضعف أواخر عهدها حيث كانوا يحتمون بهم من الغارات الجنوبية[4] .

كما أنّ أحد ملوك هذه الإمارات قد قام باجتياح المقاطعة النوميدية وإخضاع أهلها لسلطانه بعد أن كانوا تحت حكم البيزنطيين ، لكن وقع هذه الأحداث كان شديدا على القائد

---

1) ابن خلدون، **العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** ، م : سهيل زكار ، دار الفكر للنشر ، بيروت ، 2000 ، ج.7 ، ص. 11 .

2) صورية مديازة ، **بلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية انتقال الفاطميين إلى مصر (21 ــ 362هـ /642 ــ 976م)** ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف : مسعود مزهودي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحاج لخضر، باتنة ، 2009 ـ 2010 ، ص. 13 .

3) شارل أندري جوليان ، **تاريخ إفريقيا الشمالية** ، تع : محمد مزالي والبشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، ط .4 ، تونس، 1983، ص. 365 ، أنظر أيضا ، حسين مؤنس ، مرجع سابق ، ص.23 .

4) محمد البشير الشنيتي ، مرجع سابق ، ج. 2 ، ص. 410 .

سولومون[1] ، مما دفعه لبناء سلسلة من التحصينات لحماية الأراضي التي أخضعتها من البربر وبالاعتماد على الليمس البيزنطي لتصل الحدود الغربية إلى **زابي جستيان**[2] ، وتمكنّوا من مراقبة الحضنة من خلال حصن بلزم[3] ، كما أشرفوا على منافذ قلاع باغاية ، لومبيز ، تيمقاد، فبفضل هذه التحصينات المقامة عليه تمكنت جيوش سولومون من التصدي **لبيداس**[4] ، ومن المحتمل أنّ الآلاف من البربر[5] قد تمّ تسخيرهم في إعادة بناء وترميم هذه التحصينات ممّا يعني الحاجة المتزايدة لليد العاملة [6] .

عموما فإنّ السياسات التي اتبعها البيزنطيون قد أدرّت عداء من القبائل المورية، فقد عجز البيزنطيون من خلال تلك التحصينات على إعاقة تحركاتهم خاصة بين منطقة الأوراس التي بالغوا في تحصينها وبين بلاد المور الواقعة غربا، لتعود القبائل الضاربة جنوبي الشطوط (ملغيغ ، الجريد ...) ، والتي اجتهد البيزنطيون في إبعادها من جديد والاستقرار في السفوح الجنوبية لمنطقة الأوراس بداية من سنة (646م) وهذا ما فسّره " شنيتي " بأنّ الاحتلال البيزنطي كان سطحيا وضعيف الفاعلية[7] .

---

1) محمد البشير الشنيتي ، مرجع سابق ، ص ـ ص. 413 ـ 414 .

2) حصن روماني يقع بالقرب من مدينة المسيلة ، والتي جعل منها مركزا دفاعيا في إطار خط الليمس ، إذ تعرضت هذه المدينة للتهديم من طرف الوندال ليعيد بناؤها من قبل البيزنطيين وسميت بزابي جستيان ، (للمزيد أنظر : محمد البشير الشنيتي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص. 179) .

3) حصن لطيف بمقربة من قسنطينة ، (للمزيد أنظر : الإدريسي ، **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق** ، تح ونقله إلى العربية : محمد حاج صادق ص.127 ، 1938 ، publisud ، o.p.ueditoin)

4) ناصر الدين سعيدوني ، **المسالك والدروب والهضاب العليا القسنطينية ودورها الحضاري أثناء الفترة الإسلامية** ، مجلة الثقافة وزارة الثقافة والسياحة ، ع. 80 ، مارس أفريل،الجزائر، 1984 ، ص. 137 ، أما فيما يتعلق بشخصية بيداس: أمير مملكة الأوراس ثار ضد بيزنطة سنة (535 ـ 539م) ، (للمزيد أنظر إلى : فاطمة الزهراء حتحات، **مقاومة بيداس بالأوراس (535 ــ 539م)** ، مجلة الدراسات العسكرية ، جويلية، 2019، ص ـ ص. 10 – 11) .

5) محمد البشير الشنيتي ، المرجع السابق ، ج.2 ، ص . 417 .

6) نفسه ، ص ـ ص. 416 ـ 417 .

7) محمد البشير شنيتي ، مرجع سابق ، ج.2 ، ص . 430 .

لقد كان هناك اختلاف بين المؤرخين حول هذه التحصينات ؛ فـ " **ألفرد بيل** " يرى أنّها لم تكن كافية لصدّ خطورة العدوّ نظرا لقلّة الثّقة بالجيش البيزنطي[1] ، بينما يرى آخرون إعطائها بعدين : الأول يرى أنّها قد منحت للبربر إحساس مبالغ يخوّف البيزنطيين منهم ما أعطاهم دفعا قويا لمواجهتهم ، في حين أنّ البعد الثاني تمثل في المظهر الحربي الذي أثّر في القبائل بشكل لا يستهان به ولو لفترة زمنية معينة[2] .

رغم ما تميزت به استراتيجية بيزنطة اتجاه المنطقة من حيث الدّقة والحذر للدّراية بطبيعة البلاد و أهلها، بإصدار مرسوم سنة (534م) ؛ الذي يقوم أساسا على السياسة الرومانية والذي يمنح هيكل إداري بصبغة عسكرية وقانونية[3] ، غير أنّ ذلك لم يجد نفعا[4] ، ومن بين هذه النُّظم السالفة الذّكر ؛ فإنّ بلاد الزاب قد حظيت بحاكم عسكري كغيرها من المقاطعات الأخرى ؛ وذلك قصد استرجاع أملاك روما وحمايتها من هجمات البربر[5] ، وجعلتها موردا للمال تعويضا عمّا أنفق على استعادتها بإطلاق يد الحاكم العام مع صلاحيات واسعة [6] ، هذا النظام الذي ما انفكّ الباحثون يذكرون بأنّه بدأ مدني زمن جستيان ليتحول إلى عسكري مع الإمبراطور موريس (582 ـ 602 م)[7] .

---

1) ألفرد بل، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم** ، تر: عبد الرحمن بدوي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1967، ص. 76 .

2) حسين مؤنس ، مرجع سابق ، ص . 21 .

3) مرجع نفسه ، ص. 14 .

4) جمال مختار ، **حضارات إفريقيا القديمة** ، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام ، اليونسك ، (د ب) ، (د س) ، مج.2 ، ص. 516 .

5) شارل أندري جوليان ، مرجع سابق ، ص ـ ص. 361 ـ 362 .

6) حسين مؤنس ، مرجع سابق ، ص ، ص. 14 ، 16 .

7) نفسه، ص. 14 .

منذ ذلك الوقت كان انتشار العصيان الإداري والتّمرد العسكري وسوء استخدام السلطة والفساد في المناصب العليا رغم التهديد البربري الدائ ، هذا كلّه بطبيعة الحال كان ينذر عاجلا غير آجل بالانهيار المحتوم، وقد انقضى خمسون عاما من (647 ـ 698م) قبل أن يتمكن الفاتحون العرب من إزالة آثار الحكم البيزنطي إلى الأبد[1] .

ثانيا : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

1- <u>الأوضاع الاقتصادية :</u>

وصف الجغرافيون الزاب بأنّها منطقة كثيرة التساقط وذات ثمار وغلاّت من الحنطة والشعير، ذكر اليعقوبي أنّ جبل الأوراس يقطع عليه الثلج[2] ، كما وصف ابن حوقل مدن الزاب؛ مسكيانة وباغاي ، جبل الأوراس ، وطبنة بأنها كثيرة المياه والزرع، وذات مراعي كثيرة، كما كثرت فيها البساتين والمزروعات من الحنطة والشعير[3] ، ونفس الشيء عندما وصف المقدسي، بأنّ مدن الزاب ذات زروع وبساتين من النخيل والثمار الجبلية ، وقد اعتبرت السهول الممتدة جنوب الأوراس أراضي زراعية ذات قرى عامرة على امتداد واسع[4] ، وتجدر الإشارة أنّ هناك من ينفي وصف الروايات العربية للمنطقة ويعتبرها وصفا مبالغا فيه[5] ، وإذا ما حاولنا ترجيح كفّة أحد هذه الآراء يمكن أن نلقي نظرة على السياسة

1) جمال مختار ، مرجع سابق ، ص. 250 .

2) اليعقوبي ، **البلدان** ، وضع حواشيه : محمد أمين ضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1918 ، ص. 108 .

3) ابن حوقل ، **صورة الأرض** ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1996 ، ص ـ ص. 84 ـ 85 .

4) المقدسي ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي ، ط . 3 ، القاهرة ،1991 ، ص ، ص.227 ، 230 .

5) صورية مديازة ، مرجع سابق ، ص. 20 .

الاقتصادية التي طبقتها بيزنطة في المنطقة وهي سياسة الرّومنة[1] ؛ ولعلّ من أهمّها تلك المرتبطة بالزراعة كونها الشريان الاقتصادي في تلك الفترة والتي تعتبر أحد أهمّ الأسباب التي أعادت البيزنطيين إلى شمال إفريقيا ، ما يفهم أنّ وصف الجغرافيين كان صائبا[2] .

ولمّا حلّ الرومان بالجزائر استولوا على الكثير من الأراضي وقاموا بخدمتها أحسن قيام فمنحتهم أحسن النتائج[3] ، ولأنّ بيزنطة اعتمدت على إفريقية بصفة عامة في الحصول على جزء مهم من حاجياتها من القمح؛ اتّخذت عدّة إجراءات من أجل تعزيز سبل التّحصيل[4] ، ولعلّ أهمّ إجراءاتها أعيد تحصيل ضريبة الأنونا **Anonna** ؛ وهي ضريبة سنوية تدفع قمحا، كما أعادت الأراضي التي امتلكها الوندال إلى أصحابها السابقين والهدف من كلّ هذا تجنب المشاكل في جمع المحاصيل ، وذلك عن طريق وضع الأراضي في أيدي من يضمنون ولاءهم[5] ، وقد أثارت هذه الإجراءات خاصة الضرائب، منازعات كونها كانت عبئا ساحقا للسكان[6] ، كما انصرف جهد الحكومة البيزنطية كلّه إلى جمع المال وأخذ السكان بالعنف للحصول عليه بالضّغط والقوّة ، فلم يجد البربر حلاّ إلاّ ترك مزارعهم ومتاجرهم والنجاة بأنفسهم[7] ، كما انعكست سياسة الإلحاق التي اعتمدتها الإمبراطورية البيزنطية ،

---

1) حسين مؤنس ، مرجع سابق ، ص .40 .

2) سياسة رومانية قائمة على تحويل الأنظمة الإدارية التي وجدو عليها البلاد إلى أنظمة رومانية محضة ، (للمزيد أنظر : محمد البشير الشنيتي ، **الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق. م ـ 40م)** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط .2 ، الجزائر ، (د . س) ، ص.75 .

3) مبارك الميلي ، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث** ، تق وتص : محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، (د . س) ، ص. 274 .

4) صورية مديازة ، المرجع السابق ، ص ـ ص. 20 ـ 21 .

5) جمال مختار ، مرجع سابق ، ص.518 .

6) صورية مديازة ، مرجع السابق ، ص. 21 .

7) حسين مؤنس ، مرجع سابق ، ص.17 .

والمظالم التي ألحقت بالسكان على تراجع النشاط الاقتصادي القائم أساسا على الزراعة، بعدما سلبت أراضي البربر ، ومنحت للمستوطنين لخدمتها وحوّلت السكان إلى أنصاف عبيد يفلحون الأرض بأجر زهيد[1] .

اعتمدت أيضا بيزنطة على النظام النقدي في كل المعاملات المالية ، وسلّمت التّجارة الخارجية لوكلاء رسميين[2] ، إلّا أنّ الاضطرابات زادت وتفاقمت[3] ، حيث عملت الحكومة على انتزاع الأراضي واختصّت لنفسها ببعض الأراضي، ومنحت بعضها للرّومان والجند، والباقي أصبح يخضع لزعماء البربر[4] ، ولما أفلست خزينة الدولة بسبب حروب الإمبراطورية المستمرة في المشرق والمغرب وما تتطلبه من تجهيزات عسكرية، وعجزها عن دفع رواتب الجند، هذا ما أدّى بالتمردات في أواسطه ؛ مما دفع بالدولة فرض المزيد من الضرائب على الأهالي الذين ضاقوا ذرعا وامتنعوا عن دفعها[5] ، ويذكر "جوليان" أنّ الضباط والولاة قاموا بانتزاع وسلب الأراضي ونهب سكان المنطقة وطاردوا الناس باسم الدّين ، مما جعل الفلاحين أشباه عبيد[6] .

1) جمال مختار ، مرجع سابق ، ص. 518 .

2) نفسه.

3) موسى رحماني ، مرجع سابق ، ص. 13 .

4) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص. 18 .

5) مبارك الميلي ، مرجع سابق ، ص. 277 .

6) محمد الهادي حارش ، مرجع سابق ، ص ـ ص .284 ـ 285 .

كما عمدت بيزنطة إلى دفع القبائل البدوية المنتجعة نحو الجهات الفقيرة على تخوم الصحراء، ممّا زاد من تدهور الوضع الاقتصادي وتنمية العداء[1] ، وألزمت البربر بالعمل في أراضي المستوطنين تحت قوانين تعسّفية صارمة[2] .

رغم كلّ هذا فإنّ الحياة الاقتصادية انتعشت بشكل نسبي أيام **جريجوريوس Gregorius**[3] بسبب الهدوء القصير الذي تمتّعت به البلاد في ظلّ أبيه وجدّه ؛ والدّليل على ذلك أنّ غالبية مؤرخي شمال إفريقيا اتّفقوا أنّ الفاتحين وجدوا البلاد ساعة دخولهم كثيرة الزروع وافرة الثمرات خاصّة السهول الواسعة التي تمتدّ جنوبي هضبة الأوراس[4] .

2- الأوضاع الاجتماعية :

إنّ دراسة الأوضاع الاجتماعية لبلاد المغرب بصفة عامة في نهاية الفترة القديمة ليس بالأمر السهل، وذلك راجع لندرة المصادر وعدم عنايتها بطبيعة المجتمع ومع هذا فقد اعتمدت بيزنطة في تشريعاتها على القوانين الرومانية ، خاصة منها تلك المتعلقة بجمع الضّرائب التي تسمح بتحديد عدد من شرائح المجتمع آنذاك[5] ، وقد أطلق على السكّان

1) شارل أندري جوليان ، مرجع سابق ، ص ـ ص.375 ـ 376 .

2) موسى رحماني ، مرجع سابق ، ص. 15 .

3) مبارك الميلي ، مرجع سابق ، ص . 278 .

4) حسين مؤنس ، مرجع سابق ، ص. 40 .

5) يوسف عبيش ، **مجتمع بلاد المغرب في نهاية التاريخ القديم** ، مجلة الآداب العلوم الاجتماعية ، ع.16 ، جامعة سطيف2 ، (د . س)، ص. 148 .

مصطلح **باربا روس** ؛ والتي تعني غير المتحضر بالحضارة الرومانية ، وقد انتسب البربر إلى أسماء قبائلهم كـ : كتامة ، مغراوة... واتحادات قبائلهم مصمودة ، زناتة...الخ[1] ، كما عملت بيزنطة على إحداث تغيرات جوهريّة في التركيبة الاجتماعية ، فحلّت عناصر وافدة من أصول يونانية ورومانية ، ومن الجيش المتقاعدين بالمدن والأرياف محلّ السكان الأصلين ، وقد توافدت هذه العناصر بكثرة على البلاد واستقروا في السهول وسكنوا المدن بدعم من الحكومة البيزنطية ، وانعكست هذه التغيرات على السكّان الأصلين بحيث عملوا بقسوة واضطهاد من طرف السلطة[2] .

رغم هذه التغيرات إلّا أنّ البربر حافظوا على نمط حياتهم الاجتماعي ، عن طريق قواعد اجتماعية أو قبلية تمليها جمعية مؤلفة من زعماء الأسر ذوات قرابة وهم الذين يحكمون البربر في الجماعة[3] ، وقد سكن الزاب من البربر قبائل[4] من زناتة البترية[5] وهي : بنو يفرن[6] ، لواتة[7] ، بنو برزال[8] ، جراوة[1] وبنو واركلا[2] ، أمّا العنصر الثاني فهم الروم الذين

---

1) ألفرد بل ، مرجع سابق ، ص. 48 .

2) موسى رحماني ، مرجع سابق، ص. 22 .

3) ألفرد بل ، المرجع السابق ، ص. 53.

4) **للمزيد أنظر الملحق ، رقم (02) ، ص. 192** .

5) محمد بن عميرة ، مرجع سابق ، ص. 18 .

6) أحد بطون قبيلة الزناتة، قطن بالزاب الأسفل من إفريقية ، (للمزيد أنظ : ابن خلدون مصدر سابق ، ج.7 ، ص. 8 ، ومؤلف مجهول ، **مفاخر البربر**، تح : عبد القادر بوباية ، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر ، الرباط ، 2005 ، ص 135.) .

7) بطن عظيم متسع من بطون البربر ينتسبون إلى لوا الأكبر بن حيك ، وكان منهم بجبل الأوراس أمة عظيمة (للمزيد أنظر : ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج.6 ، ص ـ ص.152 ـ 153) .

8) قطنوا بالزاب الأسفل من إفريقية عرفوا بالشدة والشجاعة (للمزيد أنظر: مؤلف مجهول ، مصدر سابق ، 135) .

يتكونون من الرومان والوندال والبيزنطيين المستقرين ، أمّا العنصر الأخير فهو الهجين الناتج عن تزاوج الفئتين الأولى والثانية، كما يمكن إدخال الأفارقة ضمن هذه الفئة[3] .

وقد تطرقت الباحثة " مها عيساوي " إلى تقسيم المجتمع المحليّ في نهاية العهد البيزنطي بنوع من التفصيل ؛ حيث أنّ هذا التصنيف فرضته الحكومة البيزنطية بناء على النّظام الإقطاعي ، ذلك أنّ المصادر البيزنطية صنّفت الفئات الاجتماعية الفقيرة بحسب أصولها العرقية والحضارية على النحو الآتي :

- الطبقة الأولى : وهم قدماء الجنود الذين قدموا أثناء حملة بليزاريوس سنة (533م) ، ذلك أنّهم في الأصل فقراء عندما أتوا إلى المنطقة ومارسوا النّهب والسّلب ، وقد منحتهم بيزنطة بعض الامتيازات لضمان ولاءهم في قمع اثورات والتمرّدات المحليّة .
- الطبقة الثانية : وهم أصحاب البلاد المترومنيين سكنوا المدن ، خضعوا سابقا للوندال ، ولم يستفيدوا من حكم البيزنطيين ، كانت أوضاعهم سيئة بعدما سُلبت منهم أراضيهم ، لكن أعيدت لهم بعد ضمان ولائهم لبيزنطة[4] .

---

1) قوم الكاهنة داهية صاحبة جبل الأوراس ، سكنوا جبل الأوراس ، (للمزيد أنظر : السلاوي ، **الاستقصاء لدول المغرب الأقصى**، تح : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954 ، ج.1 ، ص.34 .أنظر أيضا، محمد بن عميرة ، مرجع سابق ، ص. 19) .

2) جنوب الزاب واختطوا المدينة المعروفة بهم ورقلة على بعد 8 مراحل جنوب غرب بسكرة ، (للمزيد أنظر: محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص.20).

3) موسى رحماني ، مرجع سابق، ص. 22 .

4) مها عيساوي، **المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإ**سلامي، مذكرة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في تاريخ المغرب القديم، إشراف : محمد الصغير غانم، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2009 ـ 2010 ، ص. 505 .

أمّا عن موقف المجتمع الموري من الوجود البيزنطي ، فقد تباين بين مؤيّد ومعارض ، فالفئة الأولى كانت تتكون من الجبليّين والريفيين في إقليم الأوراس والتي أظهرت العداء والمقاومة للوجود البيزنطي ، والفئة الثانية فقد ساندت بصورة شكلية الإدارة البيزنطية والمتمثلة في زعماء القبائل المورية ؛ أي البربرية حفاظا على مواطن انتجاعهم[1] .

وتشير الباحثة صورية مديازة أنّ هناك تقسيم راجع وفق النشاط الاقتصادي والذي قسّم المجتمع إلى فئات يمكن إسقاطها على إقليم الزاب وهي :

ـ طبقة المزارعين : وهم المستقرون في القرى .
ـ طبقة سكان الواحات : وتم ترتيبهم ثانيا كونهم أصحاب زراعة ولكنهم على صلة وثيقة ودائمة بالبدو الرحل .
ـ طبقة الثالثة : الذين يجمعون بين الزراعة والرعي .
ـ آخر طبقة : هم الرعاة .
ويمكن توزيع هذه الطبقات في الإقليم على التوالي من الشمال إلى الجنوب[2] .

وقد تعامل البيزنطيون مع البربر بطريقتين تعتمد الأولى على تثبيت عدم استقرارهم مما يؤدّي لسحق القبيلة ونهبها إلى أقصى حد ممكن وإجبارها على طلب العفو، أمّا الطريقة الثانية تعتمد على الاتفاق مع بعض رؤساء القبائل واستعمالهم لإيقاف إخوانهم عند حدّهم وقد استعملت الطريقتان بهدف السيطرة على البربر[3].

1) مها عيساوي ، مرجع سابق ، ص. 504 .

2) صورية مديازة ، مرجع السابق ، ص. 23 .

3) محمد بن عميرة ، **الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في كتابات المؤرخين الفرنسيين** ، تر: محمد بن عميرة ، الدار الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 2014م ، ص ، ص. 20 ، 22 .

عرفت المنطقة تاريخ دموي عاشه البربر من تنكيل البيزنطيين وجرائمهم ، والتي فجّرت في الأهالي فقامت ثورات وحركات مناوئة لهذا الظلم بجبال الأوراس بقيادة بيداس ، فراحت المنطقة تعيش حالة أللاستقرار بفعل الصراعات التي أحدثتها الحكومة البيزنطية داخليا بينها وبين المناوئين لها من سكان المنطقة ، فكانت هذه الأخيرة أحد علامات زوال الحكم البيزنطي في شمال إفريقيا وبداية لصفحة جديدة تحت ظل العرب المسلمين[1] .

مما سبق يلاحظ أنّ الخريطة البشرية في المغرب القديم في نهاية الحكم البيزنطي طرأت عليها تغيرات كثيرة الأسماء القبائل في المصادر اللاتينية وبخاصة في كتابات أميانوسمارسولانوس[2] وبروكوبيوس[3] ، إلّا أنّ هذا التغيير لا يعني أنّ مواطنهم قد تغيرت؛ فمثلا اختفى مصطلح الجيتول وعوّضه مصطلح المور ، الذي طغى في كلّ الكونفيدراليات الكبرى في المغرب، ثم تغير من المور إلى البربر ؛ الذين تركوا المسيحية طواعية واعتنقوا الدّين الإسلامي مع المحافظة على الإرث اللوبي المتمثل في العادات والتقاليد ...الخ[4] .

ويمكننا القول : أنّ بيزنطة قامت بدور كبير بهدف تفكيك البنية الاجتماعية في المغرب القديم بصفة عامة والإقليم بصفة خاصة؛ خشية نشوب المقاومات، فعملت على أخذ

---

1) سليم كرام ، **بسكرة فخر التاريخ وملتقى الحضارات والأمجاد** ، الملتقى الوطني الثاني عشر بسكرة عبر التاريخ ، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية ، بسكرة ، 2017م ، ص ـ ص. 33 ـ 34 .

2) مؤرخ بيزنطي ولد حوالي سنة (330م) في أنطاكيا عاصر الإمبراطور قسطنطين وسويوليان وسوثالنت الوسوثالنس في النصف الثاني من القرن الرابع (للمزيد أنظر : وهيب كمال ، **اميانوسمار كيلينوس في مصر** ، دار الكتاب المصري ، (د . ب) ، (د . س) ص ـ ص. 5 ـ 6) .

3) مؤرخ بيزنطي ولد في حدود عام (500م) توفي سنة (565م) ، كان محامي ومؤرخ كما شغل منصب السكرتير في عهد الإمبراطور جيستيان ، (للمزيد أنظر : محمد ناصر الحداد ، **بروكوبيوس القيسراني وجرجوري التوري مؤرخان في العصور الوسطى** ، مجلة دار السلام ،ع. صفر نوفمبر ، 2017 ، ص. 9) .

4) مها عيساوي ، مرجع سابق ، ص. 506 .

أجزاء من أراضي السكان بالقوة عن طريق القوانين الزراعية التي تنفذ بالقوة العسكرية، كما عرف المجتمع المغربي القديم تنظيم جديد وهو النظام الإقطاعي بغية فرض السيطرة البيزنطية على سكان المغرب القديم[1] .

1) مها عيساوي ، مرجع سابق ، ص. 516 .

الفصل الأول :

الإطار الجغرافي والتاريخي لإقليم الزاب

أولا : المدلول اللّغوي والاصطلاحي

ثانيا : الموقع الجغرافي

ثالثا : الفتح الإسلامي لإقليم الزاب

رابعا : التركيبة السكانية

خامسا : عواصم الإقليم وتطوّرها التّاريخي

أولا : المدلول اللّغوي و الاصطلاحي لإقليم الزاب

تعتبر كلمة الزاب من بين المصطلحات التي تطرق إليها الكثير من اللّغويين في معاجمهم، كما أشار إليها العديد من الجغرافيين والمؤرخين في كتاباتهم ، فضلاً عن الباحثين المعاصرين في دراساتهم ، فتعدّدت بذلك معاني مصطلح الزاب والأصل الذي أشتق منه .

1- <u>المدلول اللّغوي :</u>

لقد ضبط ابن خلكان المصطلح من حيث الشكل بقوله : « **الزَابْ بفتح الزاي وبعد الألف موحدة** »[1] ، أمّا الجوهري فعرفه كالتالي : « **زَأَبَ الرجل وازْدَأَبَ إذن حمل ما يطيق، وأسرع المشي، وزَأَبَ الرجل إذا شرب شرباً شديدًا** »[2] ، ونفس الشيء ذكره ابن فارس قائلا : « **زَأَبَ ، الزاء والهمزة والباء ، كلمتان يقال زَأَبَ الشيء ، الاحتمال والكلمة الأخرى زَأَبَ**»[3] ، أمّا الحموي فقد استند في شرحه للمصطلح إلى حكم الأعرابي في قوله : « **زَابَ الشيء إذا جرى وقال سلمة زاب يَزُوبُ إذا إنسل هاربًا** »[4]، كما أورده ابن منظور بقوله : « **زَأَبَ القِربة يزأبها زَأْباً وازْدَأَبَها ، حملها ثم أقبل بها سريعًا...**» وقال الأصمعي : « **زَأَبْتُ به زأبا وازدَأَبْتُه ، وزأب بِحِمْلِه جَرَّه** »[5] .

---

1) ابن خلكان ، **وفيات الأعيان وأنباء الزمان** ، تح : احسان عباس، دار صادر ، بيروت ، 1978 ، ج.1 ، ص. 360.

2) الجوهري ، **الصحاح** ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، ط .2 ، بيروت ، 1979 ، ص. 141 .

3) ابن فارس ، **معجم اللغة** ، تح : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع ، مصر ، 1989، ج.3 ، ص.44.

4) ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، دار صادر ، بيروت ، 1977 ، ج.3 ، ص. 123 .

5) ابن منظور، **لسان العرب** ، تح : عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1919، مج.3، ص. 1799 .

في موضع آخر من قاموس ابن منظور جاء معناه كما يلي : وزأى إذا تكبر ، وزبى : الزَبْيَةُ الّتي لا يعلوها الماء ، جمع الزُبَى والزَبْيَة : حفرة يتزبى فيها الرجل للصيد وتحفر للذئب فيصطاد فيها ، والزَبْيَة حفرة يشتوي فيها ويُخْتَبَزُ، وزَبَى اللّحم وغيره : طرحه فيها[1]، وهذا ما يؤّكده أيضا الزبيدي[2]، والزَبْيةُ : بئر أو حفرة تحفر للأسد وقد زباها وتزبّاها ، والزَبيةُ أيضا حفرة النمل، والنمل لا تفعل ذلك إلا في موضع مرتفع، والأُزبي : السرعة والنشاط في السير، والأزابي : دروب مختلفة من السير[3] .

من جملة التعاريف اللّغوية لكلمة الزاب أيضا ما أوردها الفيروز آبادي عندما شرح معناها بقوله : زَأَبَ القِرْبَةَ كمنع حملها ثمّ أَقْبَلَ بِهَا سَرِيعًا، كازْدَأبَهَا ، وشَرِبَ شربًا شديدًا والإبِلْ ساقها[4]، أمّا في المعجم الوسيط فيرد عنه بقوله : زَأَب زأبًا شرب شربًا شديدًا، وبحمله جرّه ، والإبل ساقها، والشيء حمله محتضنا إياه وأقبل مسرعًا ، وزئ زأبًا : تكبر ، وزَأَبَ القربة زبًا ملأها والحمل حمله[5]، كما نجد تعريف كلمة الزاب في المعجم اللغوي: **« زأب...قد زَأَبَ حتى امتلأ بطنه، أي شرب، والزأب: شرب شديد، وقال الخضعمي : الإزدئاب :**

1) ابن منظور ، مصدر سابق ، مج.3 ، ص. 1799.

2) محمد مرتضى الحسني الزبيدي ، **تاج العروس** ، تح : التوزي وآخرون ، منشورات المجلس والفنون والأدب ، الكويت ، 1975 ، ج.3 ، ص.1 .

3) ابن منظور ، المصدر السابق ، مج.3 ، ص. 1799 .

4) الفيروز آبادي ، **القاموس المحيط** ، تح : محمد نعيم العرق المدوسي ، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع ، ط.8 ، لبنان ، 2005 ، ص. 92 .

5) مجمع اللغة العربية ، **المعجم الوسيط** ، مكتبة الشروق الدولية ، ط.4 ، مصر ، 2004 ، ص. 387 .

الاحتمال نقول إزدأبه أي احتمله، وزأب الشيء: حمله[1]، فالزاب هو مكان المرتفع الذي يتدفق منه الماء وقد يكون ربوة[2] .

2- التعريف الاصطلاحي :

يحيلنا التدقيق اللّغوي إلى السؤال عن أصل كلمة الزاب عمّا إذا كانت عربيّة أم أعجميّة ؟ مشرقية أم مغربية ؟ حيث نجد العديد من الآراء حول أصل كلمة الزاب نذكر منها:

الجغرافي ابن خرداذبة الذي أشار إلى أنّ أصلها فارسية ، ثمّ ترجمت إلى العربية بقوله : « **كورة أستان به ذيوما سُفَان وهي الزوابي ثلاثة طساسيج –نواحي– طسوج الزاب الأعلى، طسوج الزاب الأوسط ، طسوج الزاب الأسفل** »[3] ، هذا ما أكدّه الحموي أيضا الذي وافق ابن خرداذبة في أنّ الكلمة فارسيّة ، حيث نسبها إلى الملك الفارسيّ زاب بن توركان بن منو شهرين إيرجين إفريدون ، وهو من قدماء ملوك الفرس حفر عدّة أنهر بالعراق فسمّيت باسمه، وربّما قيل لكلّ واحد زابي والتثنية زابيان[4] .

---

1) أبو عمرو الشيباني ، **الجيم معجم لغوي** ، تح : عادل عبد الجبار الشباطي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، 2003 ، ص. 191 .

2) صورية مديازة ، مرجع سابق ، ص ، ص. 3 ، 5 .

3) ابن خرداذبة ، **المسالك والممالك** ، تق : ابن جعفر الكاتب البغدادي ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1889 ، ص. 8 .

4) ياقوت الحموي، مصدر سابق ، ج.3 ، ص. 138 .

ونفس الشيء تطرّق إليه بطرس البستاني حيث أيّد الحموي في نسب الزاب إلى الملك الفارسي ، لكن اختلف معه في اسم الملك زاب بن طوقان وحسبه أنّ الزاب الأعلى أو الأكبر اسمه هوليكوس أوزابا توس أوزابا أوزابيس[1] .

هناك أيضا من أرجع مصطلح الزاب بالمشرق إلى النّصوص المسماريّة العراقيّة القديمة، حيث ورد بصبغة أكادية على هيئة زاب عليو **Zalielui** ، وزاب شيل **Sulsplu** ، أمّا الاسم زاب فإلى التراث اللّغوي القديم الذي ظهر قبل الكتابة وقد يضاهي كلمة الصّاب؛ أيّ النّهر الّذي يصب أو الرافد العظيم[2]، بينما هناك من يذهب إلى القول بأنّ لفظ الزاب ورد ذكره في الكتابات المصريّة القديمة ومعناه القاضي ويأتي في أحيان أخرى مصادفًا لبعض الأسماء كزاب كدج ؛ أي قاض ممتاز وزاب سش ؛ أي كاتب قضائي[3] .

يتّضح هنا، أنّ الزاب بالمشرق هو اسم لنهرين بالعراق وهذا ما نستشفّه ممّا ذكره البكري« **الزابِيان بكسر الباء...نهران أسفل الفرات،وربّما سمّوهما بما حولهما الزّوابي وعامّتهم يحذفون الياء فيقول الزاب** »[4] ، كما حدّد الحموي أماكن تواجدهما وجريانهما بدقّة فقال عنهما : « **الزاب الأعلى وهو المسمّى بالزاب المجنون لشدّة جريانه يقع بين الموصل وإربل ، وهو شديد الحمرة يجري في جبال وأودية** »[5]، ويقدّر طول الزاب الأعلى بـ 392

1) بطرس البستاني ، **قاموس عام لكل فن ومطلب** ، دار المعرفة ، بيروت ، (د . س) ، مج.9 ، ص. 149 .

2) ابتهال عادل الطائي ، **أضواء في الفكر الجغرافي القديم في وادي الرافدين** ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، الإمارات العربية المتحدة ، (د . س) ص. 135 .

3) مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1999، ص.218.

4) البكري ، **معجم من استعجم من أسماء البلاد و المواضع** ، تح : مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، 1945 ، ص ـ ص. 691 ـ 692 .

5) الحموي ، **المشترك وضعا والمفترق صقعا** ، عالم الكتب ، ط.2 ، بيروت ، 1986 ، ص ـ ص. 129 ـ 130 .

كلم[1] ، أمّا الزاب الأسفل أو الزاب الصّغير فمخرجه من جبال السلق ما بين شهرزور وأذربيجان ، وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أوثلاثة ثمّ يمتدّ حتىّ يفيض في دجلة عند السن[2] ، ويقدّر طوله بـ 400 كلم ويصبّ في نهر ينبع من إيران[3] .

لقد ذكر الحموي أيضا ، أنّه يوجد بين بغداد وواسط زابان آخران هما : الزاب الأعلى والزاب الأسفل، فالأول هو عند قوسين وأظنّ أنّ مأخذه من الفرات ويصبّ عند زرفامية وقصبة كورنة النّعمانية على دجلة، أمّا الثاني من هذين فقصبته نهر سابس قرب مدينة واسط، وزاب النّعمانية وعلى كل واحدة من هذه زوابي عدّة قرى وبلاد[4]، وهذا ما ذكره ابن منظور: « **والزابيان نهران بناحية الفرات وقيل بسافلة الفرات ويسمّى ما حولهما من الأنهار الزوابي وربّما حذفوا الياء فقالوا الزابان والزاب** »[5] .

بناء على ما سبق توضيحه ، تبيّن لنا أنّ زاب المشرق ارتبط أصله أحيانا بالملك، المدينة والنّهر ، وبعد أن اتضحت الرّؤية جليّا بالنّسبة لزاب المشرق وأزلنا الغموض عن بعض جوانبها يبقى التساؤل مطروحا عن علاقة زاب المشرق بزاب المغرب ؟ .

إنّ الهدف ممّا سبق ، هو تبيان أنّ المصطلح لا يقتصر على منطقة واحدة من جهة ، وجمع أكبر قدر ممكن من أوجه التّشابه الّتي ستعين بطبيعة الحال على إيجاد أصل كلمة

1) المنجد في اللغة والإعلام ، **جزء الأعلام** ، دار المشرق ، ط . 29 ، بيروت ، 2008 ، ص. 276 .

2) الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ج.3 ، ص. 137 .

3) المنجد في اللغة والإعلام ، مرجع سابق ، ص. 276 .

4) الحموي ، معجم البلدان ، المصدر السابق ، ج.3 ، ص. 137 .

5) ابن منظور ، مصدر سابق ، مج.3 ، ص. 1799 .

الزاب من جهة أخرى ، كما تعدّى استعمال كلمة الزاب إلى بلاد المغرب أيضا؛ إذ لم يقتصر على المشرق فقط، فمنذ العهد الروماني بالمغرب أخذت هذه المدينة اسمها من مدينة زابي بالمسيلة[1]، كما تجدر الإشارة، إلى أنّ مساحة جغرافيّة ليست بالصغيرة في المغرب الأقصى كان يطلق عليها أيضا الزاب، وفي هذا الإطار نذكر ما جاء به الحموي في وصفه إيّاها بقوله: «...**والزاب أيضا كورة عظيمة ونهر جوار بأرض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى متوطنة بين تلمسان وسلجلماسة** »[2] .

لقد علّقت الباحثة مديازة على هذا الطرح قائلة : إنّ هذا التقارب في استعمال كلمة الزاب بين المشرق والمغرب يعود إلى التاريخ المشترك بين الفرس والروم في المشرق، والذي كثيرا ما يغلب عليه طابع الحروب، فالتمازج اللغوي والثقافي الذي كان بينهما ساهم في انتقال المصطلح، إمّا من الفرس إلى الروم أو العكس، فالتأثيرات الاجتماعية والثقافية كما هو معروف لا تعترف بالحدود ولا الحروب[3]، أو باعتبار هذا التحوّل الطّوبونومي الملحوظ في اسم الإقليم من نوميديا إلى الزاب ما هو إلاّ القطيعة التي أحدثتها بروز ألفاظ معرّبة نتجت عن نجاح عملية تعريب أسماء المواقع المحليّة؛ إذ بدأت الجماعات المحليّة في الانصهار في المرحلة الجديدة التي أسّست لبلاد الزاب الإسلاميّة، لتنتهي مرحلة الهيمنة اللاّتينية[4] .

---

1) محمد البشير الشنيتي ، الجزائر في ظل...، مرجع سابق ، ج.1 ، ص. 179.

2) الحموي ، مصدر السابق ، ج.3 ، ص. 138 .

3) صورية مديازة ، مرجع سابق ، ص. 5 .

4) الصادق زياني ، **التوطين البشري والواقع المذهبي للجماعات ببلاد الزاب (ق2 ــ 5هـ/08 ــ 11م)** ، ضمن كتاب بحوث ودراسات تاريخية ، أعمال مهداة للأستاذ عميد عبد العزيز ، مطبعة نواصري ، المسيلة ، 2017 ، ص. 244 .

إنّ التسمية ذات الجذور البابليّة أو الفارسيّة المعرّبة استخدمت لتعني نهر الزاب في وادي الرافدين، ثمّ استعملت في أرض المغرب لتدلّ على وادي الأوراس الأعلى وما جاوره؛ إذ يشير بصفة أساسية لنوميديا الجنوبيّة، ثمّ ليعني كامل المقاطعة القديمة[1]، أمّا عبد القادر بوعزة فيرى أنّ الزاب مصطلح أمازيغي يعني الواحة[2]، في حين هناك من ذكره على أنّه مصطلح أطلق على المناطق المليئة بالبساتين والنخيل تخترقها السّواقي والأودية[3] .

على العموم فإنّ مصطلح الزاب قد تغيّرت مسمّياته بتغير الأزمنة والمساحات والمصطلحات، وعلى حدّ تعبير الحموي ففي رواية مفادها قال: السلفي سمعت الأصمّ المنورقي يقول: « **الزاب كورة صغيرة يقال لها ريغ وهي كلمة بربرية معناها السّبخة** »[4]، فمن كان منها يقال له الرّيغي[5]، ولهذا سمّيت بلاد ريغ جنوب زيبان بسكرة بهذا الاسم نسبة إلى شط ملغيغ[6] .

وعليه فإنّ كلمة الزاب يدور مفهومها اللّغوي حول ثلاثة أمور أساسية وهي: الماء، السّرعة، الحفرة؛ أي المكان المرتفع الذي يتدفق منه الماء بسرعة، على عكس أصلها الّذي

---

1) هشام جعيط ، **تأسيس الغرب الإسلامي من القرن الأول والثاني هجري / السابع والثامن ميلادي** ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 2004م ، ص. 54 .

2) عبد القادر بومعزة ، **بسكرة في عيون الرحالة الغربيين** ، دار علي بن زيد للطباعة ، بسكرة ، الجزائر ، 2016 ، ج.1، ص. 20 .

3) إسماعيل العربي ، **الصحراء الكبرى وشواطئها** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ص. 142.

4) الأرض ذات النز والملح ولهذا سميت بلاد ريغ جنوب زيبان بسكرة بهذا الاسم نسبة إلى شط ملغيغ ، (للمزيد أنظر : فوزي مصمودي ، **الزاب المصطلح والدلالات** ، دار علي بن زيد ، بسكرة ، الجزائر ، 2013 ، ص ـ ص. 23 ـ 24) .

5) الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ج.3 ، ص. 138 .

6) فوزي مصمودي ، المرجع السابق ، ص ـ ص. 23 ـ 24 .

غلب عليه طابع الاختلاف بين المشرق والمغرب، هذا إضافة إلى تعدّد التّسميات التي يرجع إليها، وعلى العموم يمكن إجمال ما تطرقنا إليه سابقا حول المدلول اللّغوي والاصطلاحي وفق المخطط اللاتي[1] .

ثانيا : الموقع الجغرافي لإقليم الزاب

عرفت جغرافيّة إقليم الزاب عدّة تغيرات طرأت على مدنه، بحيث أنّ كتب الجغرافيين والرّحالة اختلفت في تحديد موقعه وكلّ واحد منهم أعطى لنا وصفا خاصا، وتجدر الإشارة أنّ إقليم الزاب أثناء الفتح ليس هو نفسه أواخر العصر الوسيط وذلك راجع لعدّة عوامل، لعلّ أبرزه قوة السلطة الحاكمة وامتداد نفوذها والعكس من ذلك ضعف وانحصار السلطة يؤدّي إلى تقلص الإقليم، وقد أعطى لنا هؤلاء الرّحالة أوصافا رسمت لنا صورة حدود البلاد الزابية، فابن خرداذبة حين وصفه للمناطق الخاضعة لبني الأغلب يشير إلى بلاد الزاب في قوله : **«...في يده أي بن الأغلب، قابس[2] وجلولا[3] وسبيطلة[4]، غدامس[5] وقفصة[1] وقصطيلة[2]**

---

1) **للمزيد أنظر الملحق ، رقم (03) ، ص. 193 .**

2) مدينة في إفريقية ، بينها وبين البحر ثلاثة أميال ، ومنها إلى جهة الجنوب إلى غدامس أربع عشرة مرحلة ، (للمزيد أنظر : أبي الفداء ، **تقويم البلدان** ، صححه واعتنى به وطبعه : رينود وماك كوكيندسلان ، دار صادر ، بيروت ، 1830 ، ص. 143) .

3) مدينة بإفريقية ، وهي قديمة لها حصن منيع فتحها معاوية ابن حديج الكندي ، (للمزيد أنظر : الحميري ، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تح : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1975 ، ص. 168) .

4) مدينة قمودة ، على سبعين ميلا من القيروان ، وهي بلد واسع فيه مدن وحصون ، وكانت مدينة جرجير ، (للمزيد أنظر : نفسه ، ص. 302 ، أنظر أيضا ، أبي الفداء ، المصدر السابق ، ص.131) .

5) مدينة جليلة عامرة وأهلها من قوم البربر المسلمون ، (للمزيد أنظر : نفسه، ص. 137) .

ومدينة الزاب...»، غير أنّ ابن خرداذبة أشار فقط للإقليم حينما كان يصف الطريق من برقة إلى المغرب[3]، كما اتضّحت الصورة بنوع من التفصيل عند اليعقوبي إذ يقول: **«...ومدينة الزاب العظمى طبنة بلد واسع فمنه مدينة يقال لها باغاية...، جبل جليل يقال له أوراس...ومدينة يقال لها بلزمة... ومدينة يقال لها نقاوس ...»** ثمّ يذكر عاصمة الإقليم طبنة وهي وسط الزاب، ثمّ يذكر مقرة ومدينة أحة؛ وهي على الجبل ...ومدينة أربة؛ وهي آخر مدن الزاب وهنا أخبرنا اليعقوبي أنّ طبنة قاعدة بلاد الزاب على عهد بني الأغلب[4] .

أمّا ابن حوقل فأشار إلى بعض مدن الزاب المشهورة، حينما وصف المسالك التي تربط مختلف مناطق الإقليم قال: **«...جبل الأوراس وعن يساره من المدن بسكرة، وتهودا، بادس...عليه مدينتا : سبيبة وباغاي ، وطريق آخر ميلة مقرة ثم إلى المسيلة »**[5] ولها « **مقرة ، طبنة، بسكرة، بادس، تهودا، طولقا الجميلة، بنطيوس، أدنة وأشير...»**، ومن الملاحظ أنّ قاعدة الإقليم عند وصف المقدسي هي المسيلة[6]، كما ذكر البكري الطريق من

---

1) مركز البلاد ومنها إلى القيروان شمالا أربع مراحل ومن جنوب مدينة بيلقان على خمسة مراحل ، (للمزيد أنظر : الإدريسي ، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق** ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002 ، مج.1 ، ص.287) .

2) تقع في بلاد الجريد من أرض الزاب ، وهي مدينة كبيرة عليها سور حصين ، (للمزيد أنظر : الحموي ، مصدر سابق ، ج.4 ، ص. 348) .

3) ابن خرداذبة ، مصدر سابق ، ص.87 .

4) اليعقوبي ، مصدر سابق ، ص ـ ص.108 ـ 109 .

5) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 68 .

6) المقدسي ، مصدر سابق ، ص. 321 .

قلعة أبي الطويل إلى مدينة تنس، وهنا يشير أنّ المسيلة حدّ الزاب في قوله : «...**نخرج من القلعة إلى مدينة مسيلة...علي بن حمدون صار أميرا على الزاب كلّه...**»[1].

أمّا الإدريسي فقد اشترك مع ابن حوقل عند حديثه عن المسالك من طبنة إلى المسيلة وذكر هو الآخر أنّ طبنة هي عاصمة الزاب ويقول : «...**ومن المسيلة إلى طبنة مرحلتان ، وطبنة مدينة الزاب وهي مدينة حسنة...**»[2]، بينما صاحب الاستبصار أعطى لنا وصفا دقيقا عن البلاد الزابية ويقول في هذا : «...**بلاد الزاب هي على طرف الصحراء في سمت بلاد الجريد وهي مثلها في حر هوائها وكثرة نخلها ، وأنظار واسعة، وعمائر متصلة فيها المياه السائحة والعيون الكثيرة** ...» كما يذكر أنّ بسكرة هي قاعدته[3] .

وذهب الحميري على ما ذهب إليه صاحب الاستبصار من خلال قوله : «...**والزاب على أطراف الصحراء في سمت البلاد الجريدية من عمل إفريقية وهو مثلها في حر هوائها وكثرة نخيلها...ومن مدنها المسيلة ونقاوس وطبنة وبسكرة وتهودة وغيرها وأقرب ما القلعة بني حمد من بلاد الزاب المسيلة** »[4]، بينما ذكر النّميري أنّ بسكرة قاعدة الزاب في رحلته

---

1) البكري ، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك** ، مكتبة المثنى ، بغداد ، (د . س) ، ص. 59 .

2) الإدريسي ، نزهة المشتاق...، مصدر سابق ، ص. 263 .

3) مؤلف مجهول ، **الاستبصار في عجائب الأمصار** ، تع : سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، 1985، ص ، ص.171 ، 185 .

4) الحميري ، مصدر سابق ، ص ـ ص. 113 ـ 114 .

إلى بلاد الزاب[1]، أمّا حسن الوزان فقد قدّم لنا وصفا دقيقا واضحا عن هذا الإقليم وهذا لم يذكره سابقيه، فيقول : «...**يقع هذا الاقليم في وسط مفازات نوميديا، ويبتدئ غربا من تخوم المسيلة، ويحده شمالا جبال مملكة بجاية ، ويمتد شرقا إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس ، وجنوبا إلى الفقاز التي تقطعها الطريق المؤدية من تقرت إلى وركلة ، وهذه المنطقة شديدة الحرارة رملية، لا توجد بها إلا يسير من الماء، وقليل من الأراضي الصالحة لزراعة الحبوب...**»، ويشمل هذا الإقليم خمسة مدن وعددا كثيرا من القرى وهي بسكرة، البرج، نفطة، طولقة، الدوسن[2] .

ذكر الرقيق القيرواني الزاب عند حديثه عن ولاية إفريقية في عهد حسّان بن النّعمان الغسّاني قائلا : «...**ثم جزءا مما عرف بعد بإقليم الزاب منذ الجغرافيين المسلمين...**»[3]، أمّا عبد الواحد المراكشي يذكر أنّ الزاب يقع على مدينة بسكرة وأعمالها ويقول : «...**وقسم يسمى الزاب، وهذا الاسم أيضا يقع على مدينة بسكرة وأعمالها...وبالقرب من مدينة بسكرة مدينة صغيرة تسمى نقاوس ، بينها وبينها مرحلتان...**»[4]، كما نجد عند ابن عذاري المراكشي قد تطرق لإقليم الزاب قائلا : «...**قسم من طرابلس وهي بلاد الجريد ويقال أيضا**

---

1) النميري ، **فيض العباب وقداح الآداب في الرحلة السعيدة لقسنطينة والزاب**، دراسة وإعداد : محمد بن شقرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990، ص. 430 .

2) حسن الوزان ، **وصف إفريقيا** ، تر عن الفرنسية : محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ، ط.2 ، بيروت ، 1983، ج.2 ، ص ، ص. 138 ، 141 .

3) الرقيق القيرواني ، **تاريخ افريقية والمغرب** ، تح : محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1994 ، ص. 10 .

4) عبد الواحد المراكشي ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، تع : محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، 1949 ، ص. 355 .

بلاد الزاب الأعلى، ويلي هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل وحدها إلى مدينة تيهرت ...»[1]، ومن الملاحظ أنّ ابن عذاري اكتفى بذكر بلاد الزاب دون تفصيل ووصف مدنه ومسالكه .

أمّا ابن خلدون فقد زار المنطقة ومكث فيها زمنا وبذلك قدّم وصفا عن هذا الإقليم فيقول : «**...وهذا البلد بسكرة هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد ، وحده من لدن قصر الدوسن بالمغرب إقليم ثم زاب طولقة ثم زاب مليلة وزاب تهودة وزاب بادس...**» ، وأشار أنّ عاصمة بلاد الزاب هي بسكرة[2]، ونقف عند رأي آخر جغرافيّ، وهو البروسوي حينما عرف مدينة بسكرة أنّها قاعدة الزاب ويقول في ذلك «**...بسكرة بكسر الباء الموحدة وقيل بفتحها وسكون السين وكاف وراء مهملة مدينة من أخر ثاني من الجريد قبالة المغرب الأوسط وهي قاعدة بلاد الزاب وبسكرة ذات نخيل وزروع كثيرة...**»[3] .

وقد ذهبت الباحثة " صورية مديازة " بأنّ الحدود الجغرافية للإقليم لم تكن ثابتة حسب ما أوردته كتب الرّحالة والجغرافيّين، وقامت بضبطها على النّحو الآتي :

- من الشمال : حتّى سفوح الأوراس .
- من الجنوب : إلى فقار الصحراء .

---

1) ابن عذاري المراكشي ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تح : ج. س. كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 ، ج.1 ، ص. 05 .

2) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج.6 ، ص. 585 .

3) البروسوي ، **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، تح : المهدي عبد الرواضية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2006 ، ص. 211 .

– غربا : فلم تتمكن من ضبطها بشكل دقيق،لكون المجال مفتوح على الجهتين[1] .

هناك تقسيم جغرافي اعتمده الباحث علي الهطاي حسب موقع بسكرة عاصمة الزاب التي تتوسط المنطقة، فقسّم الإقليم إلى منطقتين منطقة الزاب الغربي ومنطقة الزاب الشرقي، فالزاب الغربي يمتدّ من جهة الحضنة ومنطقة الأوراس في اتجاه واحات منطقة بسكرة، وهو التقسيم الذي ذهب إليه بعض المتأخرين الذين أكّدوا أنّ إقليم الزاب يطلق على المنطقة الممتدّة من جنوب الأوراس حول بسكرة، وهي منطقة الزيبان اليوم، كما شملت سهول الحضنة ومدنها الواقعة في سفوح الأطلس الجنوبية وتضمّ هذه المنطقة، زابي، المسيلة، نقاوس، مقرة وطولقة[2]، أمّا منطقة الزاب الشرقي شملت كلّ من بسكرة ، تهودة، بادس[3] .

ثالثا : الفتح الإسلامي لإقليم الزاب

اتّفق جمهور المؤرخين أنّ سنة (21هـ ـ 642م) كانت البدايات الأولى للفتوح الإسلامية في بلاد المغرب ، والتي بدأت مع سرايا عمرو بن العاص إلى برقة ثم إلى طرابلس الغرب، لتليها حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح المعافري لإفريقية سنة (28هـ ـ 649م) بأمر من الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم حملة معاوية بن حديج الذي خرج إلى المغرب سنة (34هـ ـ 655م) ، وأتى عقبة بن نافع الفهري وقام بتأسيس القيروان سنة (50هـ ـ 670م)، ليتمكن المسلمون فيما بعد من فتح بلاد المغرب بصفة عامة

1) صورية مديازة ، مرجع سابق ، ص. 09 .

2) علي الهطاي ، مرجع سابق ، ص ـ ص. 20 ـ 21 .

3) نفسه، ص. 28 .

ومنطقة الزاب بصفة خاصة، وإن كان أبو المهاجر الدينار أول من تطأ قدمه المنطقة واحتكّ بسكانها أي المغرب الأوسط، فإنّ عقبة بن نافع أول من دخل إقليم الزاب[1] .

بعدما استقلّ يزيد بن معاوية بالخلافة، أعاد عقبة بن نافع إلى إفريقية سنة (62هـ ـ 682م)[2]، وقدم عقبة إلى القيروان ومعه عشرة آلاف فارس قام بحبس أبو المهاجر الدّينار وقيّده وجدّد بناء القيروان وشيّدها فعمّرت من جديد[3]، وخرج غازيا الرّوم والبربر وذلك بمدينتي باغاية وقرطاجنّة ، ثمّ سار حتى انتهى إلى باغاي فهرب الروم ثمّ حاصرها كما حاصر لمبازيس **Lambèse**[4] .

سار عقبة إلى بلاد الزاب وممتنع بها من الرّوم والنّصارى[5]، وقتل ملوكها من البربر وهزمهم وأصاب غنائم وحبس أبا المهاجر، ويتضّح من قول ابن خلدون أنّها وقعت مقاومة شديدة كانت مدبّرة من طرف قبيلة أوربة بإشارة من كسيلة والروم الذين سارعوا لنجدة البربر في الزاب[6]، ثمّ رحل منها لتاهرت[7]، متوجّها إلى طنجة[8]، حتىّ أشرف على المحيط[1]، فأوغل

1) صورية مديازة ، مرجع سابق ، ص. 29 .

2) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج.4 ، ص. 237 .

3) المالكي ، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونسائهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأخبارهم** ، تح : بشير البكوش ، مر : محمد العروسي المطوي ، دار الغرب الإسلامي ، ط.2 ، بيروت ، 1983 ، ج.1 ، ص. 33.

4) ابن عذاري المراكشي ، مصدر سابق ، ص. 24 ، أنظر أيضا ، المالكي ، المصدر السابق ، ص. 36 .

5) هشام جعيط ، مرجع سابق ، ص. 23 .

6) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص. 238 .

7) حسين مؤنس ، مرجع سابق ، ص. 190 .

8) المالكي ، المصدر السابق ، ص. 37 .

بفرسه وسط الماء وقال مقولته الشّهيرة : " **اللّهم إنّك تعلم أنّي لم أطلب إلاّ ما طلب عبدك ووليّك ذو القرنين ألاّ يُعبد في الأرض غيرك** "، ثمّ رجع عقبة قافلا إلى المغرب الأوسط[2]، وترك غالبيّة جيوشه تتقدمه فانتهز بربر أوربة بقيادة كسيلة مع البيزنطيين فرصة قلّة حاميته لمهاجمته ونصبوا له كمين في تهودا؛ وهي واحة قريبة من بسكرة وخضع عقبة أمام كثرة الأعداد، واستشهد مع أصحابه وقد كانت هذه الهزيمة ضربة قاسية للمسلمين والعرب[3] .

لقد ترك عقبة حامية في إفريقية تزعّمها زهير بن قيس البلوي، ولمّا وصلته أخبار مذبحة تهودا تراجع إلى برقة وأقام بها ، أمّا كسيلة فقد استولى على القيروان ومكث بها[4]، وبدأ يمارس نشاطه وسلطانه على إفريقية واستمرّ ذلك لمدة خمس سنوات[5]، ولما ولىّ عبد الملك بن مروان واشتدّ سلطانه سألوه أن يبعث إلى إفريقية لخلاص من فيها من يد كسيلة فاتّفق على زهير بن قيس البلوي فوجّه إليه عبد الملك يأمره بالخروج لغزو إفريقيّة[6]، فلمّا دنا إلى القيروان نزل بقرية قلشانة وذلك في سنة (69هـ ـ 689م)، فبلغ ذلك كسيلة وكان في خلق عظيم من الروم والبرب، والتقى الجمعان في معركة ممس وقتل زهير كسيلة ثم عاد إلى القيروان[7]، وما لبث أن استشهد على أيدي البيزنطيين[8].

---

1) ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج.4 ، ص.238 .

2) ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ،ج.1 ص.27 .

3) هشام جعيط ، المرجع السابق ، ص.23 .

4) حسين مؤنس ، مرجع سابق ، ص. 205 .

5) موسى لقبال ، **المغرب الإسلامي** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط .2، الجزائر، 1951، ص. 45 .

7) المالكي ، مصدر السابق ، ص. 46 ، أنظر أيضا ، الرقيق القيرواني ، مصدر سابق ، ص. 45 .

7) نفسه ، ص ـ ص.46 ـ 47 .

8) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص. 226 .

قدم حسّان بن النّعمان واليا على المغرب بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان سنة (73هـ ـ 693م) ، ونزل إلى طرابلس مع جيش كبير، ودخل إفريقيّة وفتحها وأصاب غنائم كثيرة وخرج إلى مدينة قرطاجنّة وحرّرها ثم انصرف غازيا الكاهنة[1] ، ثمّ استعدّ لمواجهتها ولكن انتصرت عليه في بداية الأمر بعدما علمت بمجيئه ومهّدت للقاء معه ، حيث عملت على هدم مدينة باغاية حتى لا يتحصّن بها حسّان، وبعد الانتصار عليه أسرت مجموعة من المسلمين من بينهم خالد بن يزيد العبسي والذي سيكون له دور في قلب موازين القوى فيما بعد[2].

لقد أيقنت ملكة جبل الأوراس أنّ المسلمين عائدون لا محالة وأنّ هدفهم الغنائم والسّبي، وهنا اعتمدت على إستراتيجية التّدمير والهدم ، لكن ما زادتها إلاّ سخطا وتذمّر أهل البلاد عليها ، الذين ذاقوا ذرعا من تصرّفاتها فاستغاثوا بحسّان وعارضوا الكاهنة[3] ، فزحف إليها حسّان بعد أن وافاه خالد بكل أخبار الكاهنة[4] ، فدارت بينهم معركة وظنّ الناس أنّها الفناء وانهزمت الكاهنة وقتلت عند بئر،سمّاه فيما بعد المسلمون بئر الكاهنة[5] .

بعد الفتح الشامل لبلاد المغرب واندماج البربر مع العرب المسلمين خاصة في عهد حسّان بن النّعمان دخل الإقليم تحت حكم الولاّة التّابعين للدّولة الأموية ومن بعدها الدولة

1) ابن عبد الحكم ، **فتوح مصر والمغرب** ، تح : عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة ، ج.1 ص.299.

2) موسى لقبال، المرجع السابق ص ، ص.61 ، 63.

3) حسين مؤنس ، مرجع سابق ، ص ، ص.251 ، 253 .

4) موسى لقبال ، مرجع سابق ، ص. 65 .

5) المالكي ، مصدر سابق ، ص ـ ص.55 ـ 56 .

العباسية، وبعد استقلال الأغالبة بإفريقية عن العباسيين عام (184هـ ـ 800م) أصبحت بسكرة وما جاورها من مدن الزاب إقليم تابع لبنو الأغلب؛ حيث كان يحكم بسكرة آنذاك الأغلب بن سالم الذي كان يطلق على واحاتها اسم " **رأس إفريقيا** "[1]، ليدخل الإقليم بعد ذلك في الكثير من الاضطرابات والقلاقل السياسيّة، التي عرفتها بلاد المغرب من صراعات على اعتلاء سدّة الحكم فيها، من فاطميين وصنهاجيّين وحمّاديين وحفصيين إلى غاية انتهاء العصر الوسيط[2] .

رابعا : التركيبة السكانية

إنّ المتأمل للخريطة التاريخية بمنطقة الزاب يجد في نصوص المؤرّخين والجغرافيّين خلال الفترة الوسيطة معلومات هامة حول التركيبة السكانية في بلاد الزاب والذي تميّز بالتّنوع وشمل مجموعات مختلفة هو على النحو الآتي :

1- <u>البربر :</u>

مثّل هذا العنصر السّواد الأعظم من سكان إقليم الزاب، حيث ينقسم البربر إلى قسمين وهما البتر والبرانس ، يذكر ابن خلدون أنّهما جزمان هما : " برانس ومادغيس ابنا برنس "، أمّا مادغيس فيلقب بالأبتر ويقال لشعبه البتر في حين يقال لشعوب برنس البرانس[3] .

1) سليم كرام ، مرجع سابق ، ص. 35 .

2) نفسه .

3) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج.6 ، ص. 117 .

تعدّ قبيلة زناتة أكبر القبائل البربرية أتي سكنت بلاد المغرب بما فيها الزاب وتعرف بانتشارها الواسع وبكثرة عدد بطونها، بالتّالي حاول العديد من الجغرافيّين ضبط حدودها ، حيث يذكر اليعقوبي أنّ زناتة تمتد على أغلب مدن الزاب ومنها نقاوس التي كانت تقطنها مكنانة وهي بطن من زناتة[1]، كما يحدّد صاحب العبر موطنها بقوله : « **من لُدّن جهات طرابلس إلى جبال الأوراس والزاب قبلة تلمسان ثمّ إلى وادي ملوية** »[2]، كما سكن إقليم الزاب أيضا قبائل جراوة ، هوّارة وأوربة[3]، هذه الأخيرة التي كانت في عهد الفتح الإسلامي أكثر القبائل البربرية عددًا وأشدّها قوّة واستوطنوا شمال الزاب[4]، تحديدا جنوب نقاوس[5]، وقد امتدّ نفوذ زناتة إلى مدينة أربة التي تعتبر آخر مدن الزاب مما يلي المغرب حيث استقر بها قوم يقال لهم بنو برزال؛ وهم فخض من بني دمر من زناتة[6]، واستقروا أيضا بمدينة المسيلة التي تقيم بها قبيلة هوارة[7].

لقد ضم الزاب الفرع الأهم في زناتة وهم بنو يفرن والتي استقرت معظمها في ناحية الأوراس[8]، كما نجد أنّ بعض القبائل البرنسية مثل كتامة ، التي كان لها وجود في بعض مدن الزاب على غرار سطيف، باغاية، بلزمة، نقاوس، ميلة[9]، وقد ذكر ابن حوقل أنّ مدينة المسيلة كانت موطن لكلّ من بنو زنداح، مزاتة، وهذا ما نجده عند البكري الّذي يؤكّد أن

1) اليعقوبي ، مصدر سابق ، ص. 190 .

2) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج.7 ، ص .11 .

3) هشام جعيط ، مرجع سابق ، ص. 157 .

4) مبارك بن محمد الميلي ، مرجع سابق ، ج.1 ، ص. 102 .

5) علي الهطاي ، مرجع سابق ، ص. 39 .

6) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص. 191 .

7) ابن حوقل ، مصدر السابق ، ص. 85 .

8) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج.7 ، ص. 15 .

9) عبد الوهاب بن منصور ، **قبائل المغرب** ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1968 ، ج.1 ، ص. 340 .

عجيسة وهوّارة كانت أرض المسيلة لهما[1] ليضيف الإدريسي لهذه المدينة صدراتة[2] ، واعتبر صاحب الاستبصار والحميري أنّ هذه القبائل منتشرة بكثرة في مدينة المسيلة[3] .

الملاحظ أنّ هذه التوصيفات المقدّمة من قبل الجغرافيين أعطت صورة واضحة عن التّحرك الدّائم و تغيير المواقع الّذي قامت به القبائل دون الانتقال الكلّي من المنطقة .

فيما تعلق بمدينة طبنة فقد سكنها أخلاط من السكان[4] ، بالإضافة إلى باغاية الّتي قطن حولها قوم من البربرمن هوّارة بجبل الأوراس و قوم بربر عجم[5] ، كما سكن باغاية أيضا حسب الحميري قبائل من لواتة وضريسة[6]، أمّا بسكرة فقال البكري بأنّ حولها من قبائل البربر صدراتة وبنو مغراوة[7]، ونفس الطرح جاء عند صاحب الرّوض المعطار[8]، وسكن مدينة مقرة قوم من البربر يقال لهم بنو زنداح وقوم كزبرة وسارسة[9]، وقد سكن تهودة على ضوء ما جاء به البكري قبيلة هوّارة و مكناسة[10] .

1) البكري ، المغرب...، مصدر سابق ، ص. 59 .

2) الإدريسي، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص. 254 .

3) الاستبصار ، مصدر سابق ، ص. 172 ، أنظر أيضا ، الحميري ، مصدر سابق ، ص. 358 .

4) اليعقوبي ، مصدر سابق ، ص. 190 ، أنظر أيضا ، الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، المصدر السابق ، ص. 263 ، أنظر أيضا ، الحميري ، المصدر السابق ، ص. 558 .

5) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص. 190 .

6) الحميري ، المصدر السابق ، ص. 77 .

7) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 52 .

8) الحميري، المصدر السابق، ص.114.

9) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص. 197 .

10) البكري ، المغرب... ، المصدر السابق ، ص. 73 .

يمكن أن تتّضح الرّؤية أكثر حول انتشار البربر في بلاد الزاب من خلال ما ذكره ابن خلدون بقوله : « أمّا المغرب الأوسط فهو في الأغلب ديار زناتة بالإضافة إلى مزاوة وبنو يفرن ، مديونة ، مغيلة ، كومة ، مطغرة ومطماطة ، حيث تمركزت بجبال الأوراس وفرجومة ولواتة الّتي كانت بأعداد كبيرة مع هوّارة وكتامة وجراوة[1] .

الملفت للانتباه أنّ منطقة الزاب كانت للبربر البتر بالأساس وتشمل لواتة ، نفزاوة وفرجومة، هذه الأخيرة تمثّل أوسع بطون نفزاوة وأشدّهم بأسًا، وقبيلة جراوة الزنانية الّتي أعْيَت العرب لأوّل الفتح، دون إغفال تواجد قبائل البرانس وممثلين في قبيلة أوربة وبعض بطون كتامة، بالإضافة إلى قبيلة عجيسة البرنسية الّتي كانت تسكن بنواحي المسيلة وقلعة بني حماد[2]، أضف إلى ذلك أنّ مؤرخي العصور الوسطى أطلقوا على السكان الأصليين الخارجين عن السّيطرة البيزنطية اسم المور لرفضهم الانضمام والاندماج في حضارة أخرى وهم منتشرون في الأوراس والحضنة وباقي بلاد المغرب[3] .

2- العرب :

كان دخول هذا العنصر لبلاد الزاب مع حملة عقبة بن نافع الثانية، أين شكلت هذه الفئة محور تغيير في التّركيبة السكانية للمجتمع الزابي[4]، وقد قدمت لنا النّصوص التاريخية

1) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج.6 ، ص. 134 .

2) عبد الوهاب بن منصور ، مرجع سابق ، ص. 340 .

3) محمد البشير الشنيتي ، الجزائر في ظل ... ، مرجع سابق ، ج.1 ، ج.2 ، ص ، ص. 179 ، 343 .

4) المالكي ، مصدر سابق ، ص ـ ص. 35 ـ 36 .

وحتىّ الجغرافيّة إشارات واضحة عن استقرار العرب ببعض مدن الزاب، فنجد في مدينة طبنة أخلاط من قريش[1]، وقبائل من العرب[2]، كما كان بمقرة قبائل من أصل عربي على غرار عرب بني ضبّة وتعايشوا مع العجم والبربر من بني زنداج[3]، ومع مرور الوقت كان العنصر العربي في تزايد مستمر خصوصا في فترة الولاّة التي كانت بمثابة الموجة الثانية، لتشهد تراجع أواخر الحكم الأموي، نتيجة الصّراع العربي البربري والعربي العربي[4] .

لقد ذكر ابن عذاري المراكشي أنّه كان في مدينة بلزمة ما يقارب ألف رجل من أبناء العرب وسوادهم من القيسيّين، في حين اكتفى البكري بذكر أنّ من سكان طبنة العرب، وكذا بمدينة تهودة، كما قسّم طولقا إلى ثلاث مدن : سكن إحداها إلى جانب البربر القيسيّة، وأخرى اليمنيّة، والثالثة المولدون[5]، وفي هذا السّياق ذكر الإدريسي وجود العرب في كلّ من مدينة ميلة وباغاية[6]، وكانت أكبر موجة لدخول العرب منطقة الزاب الهجرات الهلاليّة؛ إذ أصبحت تؤلّف أحد عناصر السكان الرئيسيّة في إقليم الزاب خلال القرن (5هـ ـ11م)[7]،

1) اليعقوبي ، مصدر سابق ، ص. 190 .

2) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 85 .

3) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص. 191 .

4) محمود إسماعيل عبد الرزاق ، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري** ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط.2 ، المغرب ، 1985 ، ص. 285 .

5) ابن عذاري المراكشي ، مصدر سابق ، ج.1 ، ص. 143 .

6) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 72 .

7) الإدريسي ، نزهة المشتاق...، مصدر سابق ، ص. 263 .

ولعلّ سببها الرئيسي المتمثّل في القطيعة السياسية بين الزّيريين والعبيديّين في مصر سنة (440هـ-1048م)[1] .

ضف إلى ذلك تسبب العرب الهلاليّة المستقرّون في صعيد مصر في كثير من الفتن والاضطرابات، ممّا أدىّ إلى زعزعة الأوضاع بمصر خاصّة أنّ الدولة كانت تعاني من أزمات اقتصادية وصلت إلى المجاعة بسبب قصر النّيل سنة (440هـ)، والتي مسّت حتى الهلاليّين[2]، وحسب آراء أغلب المؤرّخين فإنّ دخولهم للمغرب كان أواخر سنة(442ـ443هـ ـ 1050-1051م)، إذ تعدّ برقة أول منطقة نزلت بها هذه القبائل وأقاموا فيها مدّة[3]، ليتمكنوا فيما بعد من السيطرة على كامل إفريقية وألحقوا هزائم فادحة ببني زيري كان أشهرها موقعة حيدان (443هـ ـ 1062م)، ولرغبة بنو هلال في التوسع أكثر واصلت سيرها نحو المغرب الأوسط موطن الحمّادين، الذين اتبعوا معهم سياسة السلم وعدم الدخول في الحرب خشية الدمار الذي لحق ببني زيري ليحتدم الصراع بين الطرفين بعد ذلك[4].

---

1) التيجاني ، **رحلة التيجاني** ، تق: حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، 1981، ص.19 ، أنظر أيضا ، ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** ، تح : أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1985، ج.7 ، ص114 ، أنظر أيضا ، ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ص ـ ص. 273 ـ 274 .

2) المقريزي ، **إغاثة الأمة كشف الغمة** ، تح : كرم حلمي فرحات ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، (د . ب) ، 2007 ، ص. 93 .

3) الهادي الروجي إدريس ، **الدولة الصنهاجية ــ تاريخ أفريقيا في عهد بي زيري من القرن 10 إلى القرن 12 م ــ** ، نق إلى العربية : حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1992 ، ج.1 ، ص. 249 .

4) بوقاعدة البشير، **سياسة بني حماد لتأمين الغذاء أيام الحصار العربي الهلالي لمدن المغرب الأوسط** ، مجلة الباحث ، مج.8 ، ع.2 ، 31 ديسمبر 2016 ، جامعة سطيف2 ، الجزائر ، ص ، ص. 185 ، 187 .

لقد كانت موقعة سببية (457هـ ـ 1065م) سببا في انتشار العرب الهلاليّة في المغرب الأوسط حيث دخلوا من ثلاث جهات : الأولى من ساحل موطن كتامة، أمّا الثانية فهي الهضاب ما بين الأطلس التلّي والصّحراوي حيث الحمّادين، وقد تقدّموا إليها من ناحية آريس وانتهوا إلى سهول الحضنة أين حاصروا المسيلة والقلعة، أمّا الثالثة فهي الصّحراء موطن زناتة وتقدّموا إليها من ناحية سببية إلى تبسة وانتشروا جنوب الأوراس على قرى الزاب[1] .

أمّا عن موطن بني هلال بالزاب فقد توزّعت بين مدنه فارضة سيطرتها على جزء كبير منه، حيث استولت على حصن بادس، وملكت أرضه ومنعت أهله من الخروج إلا بخفارة[2]، وذلك راجع إلى أهميّة المنطقة اقتصاديا[3]، كما استقرّوا أيضا بحصن بشر أحد عمالات بسكرة[4] ، وبَوادي الحضنة[5] واستقرّوا بالمسيلة والقلعة، ومن بطونهم الأثبج، رياح، زغبة، بالإضافة إلى جشم المعقل خلفاء بني هلال ومنهم الضحاك، عياض، مقدم، العاصم لطيف دريد، كرفة[6]، كما سكنت هذه القبائل جبال الأوراس، وتعتبر عياض أحد أهمّ بطون بني

1) عبد الحميد خالدي، **الوجود الهلالي السليمي في الجزائر**، دار الهومة للنشر، الجزائر، 2007، ص. 170 .

2) الإدريسي ، مصدر سابق ، ص. 264 ، أما فيما يتعلق بمصطلح الخفارة : تعني الذمة والعهد والأمانة والحراسة ، (للمزيد أنظر : **الموسوعة الفقهية** ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط.2 ، الكويت ، 1990 ، ج.19 ، ص.215) .

3) الاستبصار ، مصدر سابق ، ص. 175 .

4) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، المصدر السابق ، ص. 270 .

5) نفسه، ص. 263 .

6) مبارك بشير ، **العنصر العربي بالمسيلة و قلعة بني حماد خلال العصر الوسيط " قراءة في الأدوار والتأثيرات** ، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية ، ع.13 ، جامعة الجلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، ص. 21 .

هلال الّتي استوطنت القلعة[1]، إضافة إلى أولاد مسلم الذين سكنوا المسيلة[2]، وذواودة وهي من بطون مرداس الّذين استقرّوا بمدن وقرى الزاب مثل : الدوسن، تهودا، بادس[3] .

3- أهل الذمّة :

فيما يخصّ استقرار هذه الفئة في بلاد المغرب الإسلامي فيعود للعهود القديمة أي منذ العهد الفينيقي إلى البيزنطي، حيث عمل هؤلاء المهاجرون على نشر اليهودية بين بعض قبائل البربر[4]، وقد وجدت هذه الفئة في مدينة طبنة وبلزمة باعتبارهما على الخط التجاري مع السودان[5]، في نفس السّياق ذكر ابن عذاري أنّه عند تغلّب الدّاعية عبد الله الشيعي (293هـ-907م) على مدينة بلزمة وطبنة واللّتان انتزعهما من الأغالبة، وأخذ الجزية من اليهود و النّصارى عن حول سنة مضى لهم[6]، كما وجدت هذه الفئة أيضا في كلّ من القلعة لأنها كانت مقصدًا للتجار[7]، كما استوطن اليهود مدينة أشير بكثرة خاصة بعد قدوم أعداد أخرى قادمين من فاس (377هـ ـ 987م)[8]، كما وجدت أيضا هذه الفئة بمدينة بسكرة[1] .

---

1) ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6 ، ص. 26 .

2) مبارك الميلي، مرجع سابق، ج 2، ص. 202 .

3) نفسه، ص. 178 .

4) محمد شيت خطاب ، **قادة الفتح للمغرب العربي** ، دار الفكر ، ط .7 ، 1984 ، ج.1 ، ص. 20 .

5) عبد الرحمان بشير ، **اليهود في المغرب العربي (22 ــ 462هـ /242 ــ 1070م)** ، عين الدراسات والأبحاث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، 2005 ، ص. 43 .

6) ابن عذاري المراكشي ، مصدر سابق ، ج.1 ، ص. 141 .

7) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 49 .

8) عبد الرحمان بشير ، مرجع سابق ، ص. 46 .

أمّا عن فئة النّصارى وتواجدها في بلاد المغرب الإسلامي، فذكر حسين مؤنس أنّها دخلت المنطقة خلال القرن (2 ـ 8م) ، أين دخل كثير من البربر المسيحيّة التي نشرها بينهم الرّهبان من مصر وإيطاليا حيث انتشرت بين البربر بالأوراس وكذلك باقي إقليم الزاب[2]، وفي نفس السّياق أورد صاحب الاستبصار: أنّ بمدينتي تهودة وبادس قوة كثيرة من النّصارى، والملاحظ أنّ فئة النّصارى واليهود لم يذكروا بشكل كبير بإقليم الزاب رغم انتشارهم الواسع ببلاد المغرب الإسلامي مقارنة بعنصر البربر والعرب، وربّما يعود ذلك إلى تهميش المصادر الإسلامية لهذه الفئة وأيضا دخول بعضهم الإسلام[3] .

3– الرّوم (العجم) :

هم الروم البيزنطيين الذين بقوا بعد انتشار الإسلام في بلاد المغرب[4]، وكانوا يعتبرون من أهل الذمّة ويدفعون على هذا الأساس الجزية على رقابهم والخراج على أراضيهم[5]، ففي مدينة طبنة ذكر اليعقوبي أنّها أخلاط من البشر منهم الروم والعجم[6]، وتعتبر هذه المدينة الشهيرة من أعظم مراكز الروم[7]، كما استقرّت هذه الفئة أيضا في مدينة باغاية، تهودة، بادس

---

1) روبار برنشيفك ، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 3 هـ إلى نهاية القرن 15م** ، نق إلى العربية : حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988 ، ج.1 ، ص. 432 .

2) حسين مؤنس ، مرجع سابق، ص ، ص. 28 ، 32 .

3) الاستبصار ، مصدر سابق ، ص. 175 .

4) هشام جعيط ، مرجع سابق ، ص. 156 .

5) الرقيق القيرواني ، مصدر سابق ، ص. 50 .

6) اليعقوبي ، مصدر سابق ، ص. 190 .

7) المهدي بوعبدلي ، **تاريخ المدن** ، إعداد : عبد الرحمان دويب ، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013 ، ص. 398 .

والتي كان الرومان يعتمدها قلاعا حصينة لمواجهة خطر البربر ثمّ العرب لاحقا، وقد اصطدم المسلمون أثناء فتوحاتهم بالروم المستوطنين شمال الزاب بمدينة باغاية وأذنة[1]، وكان بمدينة مقرة قوم من العجم[2]، وقد يدخل ضمن هذه الفئة أيضا العنصر الهجين وهو الناتج عن التّزاوج بين البربر والرّوم الذين يطلق عليهم تسمية المولّدون[3] .

الملاحظ أنّ هذه الفئة لها تسميات مختلفة بين الصّفحات التاريخية والجغرافيّة، فقد شملهم مصطلح النّصارى وأيضا العجم من عجم باغاية الرّوم وهذا دليل على أنّ الجغرافيّين والمؤرخين المسلمين لم يدقّقوا في نوع اللّفظ الذي يطلقوه على هذه الفئة واعتبروا هذه النّعوت مهما اختلفت فهي مناسبة لهم[4].

4 – <u>الأفارقة :</u>

يطلق على العنصر الإفريقي نسبة إلى إفريقية، وفي هذا الإطار ذكر لنا البكري بقوله: **« قوم إنّما سمّوا الأفارقة وبلادهم إفريقيّة لأنهم من ولد فارق بن نصريهم »**[5]، وعلى العموم فإنّ هذا العنصر لم يكن له الشأن المهم في بلاد المغرب فأغلبهم كانوا عبيدا أو خدما لدى أسيادهم الرومان ثمّ العرب وهذا ما أكدّه ابن عبد الحكم بقوله : «...**وأقام**

1) علي الهطاي ، مرجع سابق ، ص. 43 .

2) اليعقوبي ، مصدر سابق ، ص. 191 .

3) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 79 .

4) صورية مديازة ، مرجع سابق ، ص ـ ص. 13 ـ 14 .

5) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 21 .

لأفارق وكانوا خدما للرّوم على صُلحٍ يؤدنه إلى من غلب على بلادهم »[1]، كما وجدت هذه الفئة شمال بلاد المغرب وكان لهم حضور أيضا ببلاد الزاب جنوبا، أين استقرّوا بمنطقة طبنة[2]، وقد استمرّ هذا العنصر كشاهد على حجم تغلغل الثقافة الرّومانية في منطقة الزاب واعتناق بعض العناصر المحليّة للمسيحيّة[3] .

هكذا يتبيّن لنا أنّ بلاد الزاب عبارة عن فسيفساء ، ميزته الأساسيّة تعدّد عناصره من قبائل بربرية والّتي تمثل سكّان البلاد الأصليين، كما وجدت بها عناصر وافدة كالعرب وأهل الذمّة، الرّوم، الأفارقة .

خامسا : عواصم إقليم الزاب و تطورها التاريخي

تشكّل إقليم الزاب من عدّة مدن كبرى مثّلت حواضر متنوعة، اختلفت حولها مصادر الرّحلة و الجغرافيا من حيث تسميتها وحدودها وكذلك مواقعها ، وسوف نسلّط الضوء في هذا الجزء من الدراسة على أشهر العواصم التّي عرفتها المنطقة خلال العصر الوسيط ـ تحديدا ـ في الفترة المحدّدة للدّراسة وهي :

1- أذَنَة :

1) ابن عبد الحكم ، مصدر سابق ، ص. 229 .

2) اليعقوبي ، مصدر سابق ، ص. 191

3) علاوة عمارة ، **الهجرة الهلالية وآثارها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب** ، أعمال الملتقى الوطني السابع (بسكرة عبر التاريخ) دولة بني مزني ، 23 ـ 26 ديسمبر 2008 ، المجلة الخلدونية ، ع.9 ، جانفي 2011 ، دار الهدى للنشر ، عين مليلة ، الجزائر ، ص ـ ص. 77 ـ 78 .

وردت المدينة بتسميات مختلفة في صفحات المصادر التّاريخية والجغرافيّة ، فنجدها باسم ـ أذنة ـ عند الرقيق القيرواني[1]، ابن خلدون[2] ، المالكي[3] ، وغيرهم ، كما نجدها عند اليعقوبي تحت اسم " أربة " وذهب في هذا السياق إلى أنّ : «...**ومدينة أربة هي آخر مدن الزاب مما يلي المغرب** ...»[4]، ووردت بهذا الاسم عند ابن الأثير[5] ، والنويري[6] ، أمّا البكري فقد ذكرها باسم " أدنة " حيث قال : «...**و منها إلى مدينة أدنة بلد كثير الأنهار و العيون العذبة** ...»[7]، وجاءت تحت مسمّى أزبة عند موسى لقبال الذي يرى بأنّها احتمال لمدينة زابي البيزنطية[8]، وأوردها ابن حمّاد باسم باتنة في رواية مفادها : «...**وكانت بين أبي يزيد وإسماعيل وقعة بفحص باتنة، وباتنة اسمها القديم أذنة مدينة عظيمة خربت...**»[9] ، ولهذا تعدّ أذنة عاصمة بلاد الزاب خلال فترة الفتح الإسلامي ، وهذا ما نستشفّه مما ذكره الرقيق القيرواني في قوله : «...**أنّه عند دخول عقبة بن نافع لهذه المنطقة سأل عن أعظم مدائنهم قدرًا قالوا : مدينة يقال لها أذنة، ومنها الملك هي مجمع بلاد الزاب** »[10] .

---

1) الرقيق القيرواني ، **تاريخ إفريقية والمغرب** ، تح : عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990 ، ص. 11 .

2) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج.4 ، ص. 237 .

3) المالكي ، مصدر سابق ، ج.1 ، ص. 36 .

4) اليعقوبي ، مصدر سابق ، ص. 191 .

5) ابن الأثير ، مصدر سابق ، مج. 3 ، ص.451 .

6) النويري ، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، تح : عبد المجيد ترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د . س) ، ج.24 ، ص. 14 .

7) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 144 .

8) موسى لقبال ، مرجع سابق ، حاشية (2) ، ص. 41 .

9) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تح : التهامي نقرة وعبد الحليم عويس ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، 1981 ، ص. 71 .

10) الرقيق القيرواني ، مصدر سابق ، ص. 11 .

أمّا عن موقعها الجغرافي فقد حدّده البكري أنّها تبعد عن المسيلة بمرحلة وبين طبنة مرحلتان[1] بينما نجد الباحث الفرنسي كوميزا قد حدّد موقعها على أنّها تبعد عن مدينة المسيلة باثني عشر ميلا[2]، وهو ما يتوافق في وصف المدينة الذي أشار إليه ابن حماد، ومع حلول القرن (2هـ ـ 8م) تقلص دور المدينة، وذلك بعد تعرّضها إلى التّخريب من طرف علي بن حمدون الأندلسي سنة (324هـ ـ 935 م)، لكن قبل تخريبها نهائيّا تعرضّت المدينة إلى غارات من طرف قبائل هوّارة[3]، وفي هذا الإطار نذكر ما جاء به البكري في قوله : «...**ونهر النساء...وسمّي بذلك لأنّ هوّارة أغاروا على النساء أذنة وذهبوا بهنّ فأدركهم أهل أذنة فاستنقذوا النساء هناك الغنيمة و قتلوا جماعة هوّارة** »[4] .

2- طبنة :

وردت تسمية توبوني في النّقوش والمصادر المكتوبة بأشكال مختلفة أشهرها : **Tudiniensis ، Tubuinis ، Thubunas ، Thubuinas** [5] ، إلاّ أنّ مدينة **Tubunae** قد حافظت على هذه التّسمية طيلة الفترة الممتدّة من الاحتلال الروماني لنوميديا إلى تاريخ خروج البيزنطيين من بلاد المغرب ، لتظلّ نفس التّسمية حتىّ بعد الفتح الإسلامي فظهر شكل المغرب بالاسم اللاّتيني القديم كما أنّها تموضعت في نفس المجال

1) البكري ، المغرب... ، المصدر السابق ، ص. 144 .

2) أسامة الطبيب جعيل ، **حواضر إقليم الزاب الكبرى في العصر الوسيط من خلال كتب الجغرافيا البلدانية دراسة تاريخية** ، دورية مدارات التاريخية ، مج.1 ، ع.1 ، جامعة الجزائر2 ، أبو قاسم سعد الله ، مارس 2019 ، ص. 346 .

3) الحميري ، مصدر سابق ، ص. 20 .

4) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 144 .

5)Stiephane (Gsall) , Atlas Archeologique De L'Algérie , Edition spéciale des Cartes au 200,000' du Service Géographique de L'Armée , Alger , p422 .

وعلى أنقاضها تمّ بناء المدينة الإسلامية[1]، وفي هذا الإطار ما جاء به الحموي بقوله : «... **هي فيما أحسب عجمية...**»[2] .

فيما تعلّق بفتح مدينة طبنة فتذكر أغلبيّة المصادر الإسلامية أنّ فتحها كان على يد القائد موسى بن نصير وفي ذلك قال الحموي : « **طبنة بلدة في طرف إفريقيّة...على ضفة الزاب، فتحها موسى بن** نصير...»[3] ، وهذا ما أكدّه البكري أيضا[4]، لتظهر المدينة على مسرح الأحداث بداية من (ق2هـ) وعيّن الأغلب بن سالم واليا على إقليم الزاب[5]، هذا الأخير الّذي اتّخذ من طبنة مقرّا له فكانت بمثابة النقطة الدفاعية الأولى للزاب لمواجهة الأخطار الدّاهمة على القيروان[6] .

وقد استمرّ في دوره من مقر إقامته بطبنة ليتم تعيين الأغلب بن سالم واليا على إفريقية بدلا من ابن الأشعث[7] ، واشتدّت في عهده ضربات أبو قرّه الصّفري في النهاية قتل الأغلب بن سالم من قبل أحد جنوده سنة (150هـ- 773م)[8] ، وتمّ تعيين عمر بن حفص

1) قراوي عبد النور ، **طبنة ودورها الحضاري من الفتح إلى غاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي** ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، إشراف : مسعود مزهودي ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة ، الجزائر ، 2008 ـ 2009 ، ص. 85 .

2) الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ج.4 ، ص. 23 .

3) نفسه.

4) البكري ،المغرب...، مصدر سابق ، ص. 50 .

5) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج.4 ، ص. 245 .

6) عبد العزيز فيلالي ، **المظاهر الكبرى في عصر الولاة بلاد المغرب والأندلس** ، دار المعارف للطباعة والنشر ، تونس ، 1991 ، ص. 88 .

7) ابن الآبار، **الحلة السيراء** ، تح : حسين مؤنس ، دار المعارف ، ط.2 ، القاهرة ، 1984 ، ج.1 ، ص. 69 .

8) النويري ، مصدر سابق ، ج.24 ، ص ـ ص. 41 ـ 42 .

اللّهبي المعروف بهاز مرد على ولاية إفريقيّة سنة (151هـ ـ 774م) ، ليهتمّ بمدينة طبنة أكثر من سابقيه فخرج من القيروان إلى طبنة وأعاد ترميمها وبنائها[1] .

فكانت المدينة بمثابة الحصن بالنسبة لإفريقية وهذا ما كشفت عنه أبوابها المتعدّدة[2]، وبهذا أصبحت مدينة طبنة لا تضاهيها مدينة ببلاد المغرب قاطبة، ماعدا مدينتي القيروان وسجلماسة على حدّ تعبير البكري في قوله : « **وليس من القيروان إلى مدينة سجلماسة مدينة أكبر منها** » ووصفها اليعقوبي : «...**قبلة بمدينة الزاب العضمى ، وأن بها ينزل الولاة** »[3]، بالتّالي أصبحت طبنة عاصمة لإقليم الزاب وتابعة لبني الأغلب؛ هذه الأخيرة الّتي كانت للعباسيين فقد أوصى هارون الرشيد الوالي روح بن حاتم على هذا الإقليم بقوله : « **عليك بالزاب إملأه خيلاً و رجلاً** » [4] .

أمّا عن أبعادها فهي كما ذكر ابن حوقل أنّها تبعد عن مقره مسافة مرحلة [5]، وقول البكري أنّها تبعد عن آذنة بمرحلتين[6]، في حين الإدريسي أنّ بينها و بين المسيلة مرحلتين وتبعد عن بجاية بستة مراحل وباغاية بأربعة مراحل[7]، ليتراجع فيما بعد دور طبنة بعد سيطرة الفاطميين على كلّ المغرب الإسلامي وبنائهم لمدينة المسيلة[8]، وإخضاع مدينة طبنة تحت

1) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج.4 ، ص. 245 .

2) نفسه، ص.51 .

3) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص. 190 .

4) الرقيق القيرواني ، مصدر سابق ، ص. 135 .

5) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 85 .

6) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 144 .

7) الإدريسي ، نزهة المشتاق ... ، مصدر سابق ، ص.263 .

8) نفسه.

لواء الفاطميين بعد السّيطرة على كلّ من ميلة وسطيف التي كانت بمثابة القاعدة الخلفية للغالبة من الجهة الغربية[1] .

نلاحظ فيما بعد عدم ذكر مدينة طبنة عند أغلب الجغرافيين المتأخّرين، أمثال : ابن سعيد المغربي[2]، حسن الوزان[3]، مارمول كربخال[4]، ويعود سبب ذلك إلى تراجع دورها آنذاك بالتّدريج إلى غاية اندثارها، لتظهر مدينة المسيلة كقاعدة ثالثة ببلاد الزاب بعد أن كانت في ما مضى من أعمال طبنة على حسب ماجاءبه الإدريسي « **المسيلة في أرض طبنة** »[5] .

3- المسيلة :

بعد سيطرة الفاطميين على كامل بلاد المغرب الإسلامي أصبح إقليم الزاب تحت سلطتهم وتوجّهوا إلى تأسيس مدينة المسيلة المعروفة بالمحمّدية . وعن تاريخ تأسيسها فقد وقع اختلاف بين المؤرّخين في تحديده ، حيث رأى بعضهم أنّه كان سنة (313هـ ـ 927م) ونجد ذلك عند ابن عذاري[6]، وصاحب الاستبصار[1]، بينما رأى آخرون أنّه يعود لسنة

---

1) محمد الصالح مرمول ، **السياسة الخارجية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1983 ، ص.299 .

2) ابن سعيد المغربي ، **الجغرافيا** ، تح : إسماعيل العربي ،المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، 1970 ، ص ـ ص. 32 ـ 33 .

3) حسن الوزان ، مصدر سابق ، ج.2 ، ص ، ص. 138 ، 140 .

4) مارمو ل كاربخال ، **افريقيا** ، تر عن الفرنسية: محمد حجي وآخرون ، مكتبة المعارف ، الرباط ، 1984 ،ج.1 ، ص ـ ص.42 ـ 43 .

5) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، المصدر السابق ، ص. 261 .

6) ابن عذاري المراكشي ، مصدر سابق ، ج.1 ، ص. 215 .

(315هـ ـ 929م) ، وذلك حينما توجّه القائم على رأس الحملة العسكرية لإخماد الثورة بالمغرب الأقصى وأثناء رجوعه أمر بتأسيسها[2] .

وتتفق أغلبية المصادر أنّ الذي تولى إنشاءها هو علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي وسمّاها المحمّدية نسبة إليه وأصبح واليا عليها سنة (317هـ ـ 931م) ، إلى أن هلك في ثورة صاحب الحمار سنة (334هـ ـ 942م)[3] ، وبعد بنائها انتقل مركز الثّقل من مدينة طبنة إليها لتصبح العاصمة السياسيّة والإداريّة والمركز الحضاري للمنطقة الممتدّة من باغاية شرقا وتيهرت غربا وبقيت تتمتّع بمكانة مرموقة بين مختلف مدن المغرب عامّة[4] .

لقد كان الهدف من تأسيسها هو وضع قاعدة شيعيّة بإقليم الزاب مهمّتها مراقبة مواطن زناتة وحماية النّفوذ الفاطمي في المنطقة ، بالإضافة إلى الاعتماد عليها في الحماية من اعتداءات المناطق المجاورة لها خاصّة أثناء ثورة أبي يزيد بن مخلد بن كيداد[5] .

كانت المسيلة تضاهي العواصم الأخرى ممّا جعلها محطّ أنظار الكثير من الرّحالة الجغرافيّين الّذين تعدّدت أوصافهم لها حيث أورد المقدسي «...**والزاب مدينتها المسيلة ولها**

---

1) الاستبصار ، مصدر سابق ، ص.172 .

2) ابن حماد ، مصدر سابق ، ص ص.45 ـ 46 ، أنظر أيضا ، ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج.4 ، ص.51 .

3) نفسه ، ص.46 .

4) محمد الصالح مارمول ، مرجع سابق ، ص.299 .

5) قرمان عبد القادر، **مدينة المسيلة النشأة والتطور في العهد الإسلامي** ، مجلة دفاتر، الملتقى الوطني الأول جول تاريخ وأعلام المسيلة أيام 27 ـ 28 ـ 29 أفريل 2009م ، دار الثقافة الشهيد قنفوذ الحملاوي ، المسيلة ماي2009 ، ص.33.

مقرة، طبنة[1]**، بسكرة، بادس، تهودة ، طولقة ، جميلة ، بنطيوس، أذنة، أشير»** ، أما ابن حوقل فقال أنّ عليها سور حصين من الطوب ولها واد يقال له سهر[2] ، ويصفها البكري أنّها مدينة جليلة وهي على بساط من الأرض عليها سوران[3]، في حين ذهب صاحب الاستبصار إلى القول : « **أنّها مدينة أزلية فيها بعض الآثار الأول تدل على أنها كانت مدينة كبرى وهي الآن عامرة آهلة كثيرة الخصب** »[4] .

لكن هذه المدينة بدأت بالتراجع وذلك بعدما استقل بن حماد بجزء من بلاد المغرب الأوسط ودخلت في حوزته مدن الزاب مثل المسيلة ، طبنة ، أشير... الخ ، ليتخذ من القلعة عاصمة لدولته[5]، فقام بإفراغ مدينتي المسيلة وسوق حمزة من أهلها ونقلهم إلى عاصمته الجديدة القلعة وقام بتخريب المدينتين[6] .

4- قلعة بني حماد (قلعة أبي الطويل) :

تأسّست قلعة بني حماد أو قلعة أبي الطويل كما يسمّيها البكري[7]، سنة (398هـ ـ 1007م)، وتقع على مسافة (36 كلم) شمال شرقي المسيلة[1]، وهي مدينة اختطّها حمّاد بن

1) المقدسي ، مصدر سابق ، ص. 221 .

2) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 85 .

3) البكري ، المغرب ... ، مصدر سابق ، ص. 59 .

4) الاستبصار، مصدر سابق ، ص. 166 .

5) عبد الحليم عويس ، **دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر**، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، ط .2 ، القاهرة ،1991 ، ص. 70.

6) ابن خلدون ، مصدر سابق ،ج.6 ، ص. 227 .

7) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 49 .

بلكين بجبل كيّانة وهو جبل عجيسة البرنسية[2] المتميز بمناعته وحصانته وسهولة الدفاع عنه، إذ يوجد حصن قديم في قمة تاقربوست الّتي ذكرها الحموي في وصفه لموقع القلعة بقوله : « **قلعة بني حماد...قلعة عظيمة على قمة جبل تاقربوست...**»[3]، وتتّضح طبيعة الموقع الحصين الّذي شيّدت عليه المدينة ، من خلال ما تطرّقت إليه نصوص الرّحالة والجغرافيين، فالبكري الذي عاصر تأسيسها وسجّل ملاحظاته يقول : «...**هي قلعة كبيرة ذات منفعة وحصانة** »[4] .

وقد تميّزت القلعة بمزايا إستراتجية كبيرة لأنّ حمّاد سارع لتحصينها وتعميرها فنقل إليها سكان مدينتي، المسيلة، سوق حمزة وقبيلة جراوة من المغرب وأسكنها المدينة[5]، وربّما كان ذلك بسبب الوباء الذي أصاب المنطقة سنة (395هـ ـ 1008م) ؛ إذ ساهم هذا الأخير في تعمير القلعة بعد هجرة السكان إليها[6]، بالإضافة إلى الأسباب الإستراتيجية السالفة الذكر فقد اختار حمّاد هذا الموقع للمطالبة بالتراث الفاطمي[7]، كما وردت المدينة عند المؤرخين بتفاصيل دقيقة فيصفها البكري بأنّها مقصد التّجار من مختلف أقطار المغرب و المشرق[8] ، أمّا الإدريسي فيصف مدينة القلعة قائلا : « **ومدينة القلعة من أكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا**

---

1) رشيد بورويبة ، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1977 ، ص. 20 .

2) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج.6 ، ص. 227 .

3) الحموي ، مصدر سابق ، ج.4 ، ص. 390 .

4) البكري ، المغرب... ، المصدر السابق ، ص. 49 .

5) ابن خلدون ، مصدر سابق ج.6 ، ص. 227 .

6) النويري ، مصدر سابق ، ج.24 ، ص. 106 .

7) Allaoua (Amara) ; pouvoir economie et societe dans le Maghreb hammadide , Insaniyat, Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales , 395-1004 /547 1152 .Ensaniyat n°23 24 .janvier juin 2004 Oran , Algérie , .p.294 .

8) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 79.

وأغزرها خيرا...»[1] ، كما يصفها صاحب الاستبصار في قوله : « **مدينة قلعة أبي الطويل هي قلعة بني حماد وهي قلعة مدينة عظيمة قديمة أزلية...وهي حصينة منيعة...**»[2].

وقد استمرّت القلعة في تطورها وازدهارها حتى فترة حكم النّاصر بن علناس (454 ـ 461هـ ـ 1062 ـ 1088م) ، فقويت في عهده هجمات القبائل الهلالية فكانت وقعة سبيبة سنة (457هـ ـ 1069م) ، وهزيمة جيش النّاصر أمام الهلاليّن أثر في زحفهم إلى المنطقة التي عاثوا فيها فسادا وأتوا على الأخضر واليابس وخرّبوا طبنة والمسيلة فطردوا سكانها[3]، بعد تعرّض القلعة لهجمات متتالية من قبائل بني هلال لم تستطع المقاومة ما لبث النّاصر إلى إنشاء حاضرة وعاصمة جديدة لدولته وهي المدينة التي سمّيت بالنّاصرية نسبة إليه[4]، وبانتقال العاصمة إلى بجاية تراجع دور مدينة القلعة تدريجيّا لتتغيّر بعدها الخريطة السياسيّة لبلاد المغرب لتظهر دولة جديدة على السّاحة أعطت أبعاد أخرى لتنقسم بلاد الزاب وتنحصر في مدينة بسكرة وما جاورها[5] .

5- بسكرة :

1) الإدريسي ، نزهة المشتاق...، مصدر سابق ، ص. 255 .

2) الاستبصار، مصدر سابق ، ص ـ ص. 167 ـ 168 .

3) محمد الطمار ، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2010 ، ص ـ ص. 108 ـ 109 .

4) الطاهر الطويل ، **المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري إلى القرن الهجري الخامس**، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية ، الجزائر ، 2011 ، ص ، ص. 294 ، 298 .

5) فوزي مصمودي ، مرجع سابق ، ص. 52 .

اختلفت تسميتها بين حقب التاريخ التي مرّت بها ، وظلّت التسمية الدقيقة لمدينة بسكرة محلّ اختلاف بين المؤرخين والباحثين ، فمنهم من يعتبر اسمها يعود إلى كلمة **فيسيرا** أو **فيسكرا Vescera** وهي مدينة رومانية[1] ، ومنهم من يرجعها إلى لفظ مشتقّ من **سكَّرة** نسبة إلى حلاوة المنتج الزّراعي الذي اشتهرت به وهو دقلة نور، بينما يعتقد آخرون أنّ التسمية الحقيقية هي **أدبيسنام**[2] .

أمّا موقعها الجغرافي فتوجد على الطريق الرابط بين القيروان والزاب على مرحلة من طبنة غربا وعلى أخرى من تهودا جنوبا[3]، وبعد الأحداث التاريخية المتسارعة والتحوّلات السياسيّة التي شهدتها بلاد المغرب وبالتّالي فإنّنا نجد بلاد الزاب قد تأثّرت هي الأخرى بهذه التّغيرات ؛ إذ انحصرت جغرافيّا وأصبحت عاصمة الإقليم مدينة بسكرة .

إنّ ما أوردته صفحات المصادر الجغرافيّة التي تعود إلى الفترة الممتدّة منذ أواخر القرن (5هـ ـ11م) إلى غاية أوائل القرن (7هـ ـ 13م) لم تذكر تحوّل مدينة بسكرة عاصمة الزاب وهذا ما نستشفّه ممّا ذكره البكري في وصفه للمدينة بقوله : « **وبسكرة كورة فيها مدن كبيرة وقاعدتها بسكرة ...**»[4] ، أمّا الإدريسي فوصفها على أنّها حصن وذلك بقوله : « **ومن نقاوس أيضا إلى حصن بسكرة مرحلتان...**»[5]، وفي ذات السّياق نجد تشابها بين وصف

---

1) عبد الحليم صيد ، **أبحاث في تاريخ زيبان بسكرة** ، مطبعة سوف ، الوادي ، الجزائر ، 2000، ص. 16 .

2) سليم كرام ، مرجع سابق ، ص. 29 .

3) صالح بن قربة وآخرون ، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر** ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر ، 2007 ، ص. 243 .

4) البكري ، المغرب...، مصدر سابق، ص. 52 .

5) الإدريسي ، مصدر السابق، ص. 264 .

البكري وصاحب الاستبصار الذي قال عنها : « **أنها مدينة كبيرة وحولها حصون كثيرة وقرى عامرة وهي قاعدتها...**»[1]، أما الحموي وهو من جغرافييّ القرن (7هـ ـ 11م) فلم تتحوّل بسكرة على عهده إلى عاصمة للزاب وعرّفها قائلا : « **بسكرة ...بلدة بالمغرب من نواحي الزاب بينها وبين قلعة بني حمّاد مرحلتان...وبينها وبين طبنة مرحلة** »[2] .

أمّا عن تحول بسكرة قاعدة لبلاد الزاب فيمكن أن يكون ذلك بداية من منتصف القرن (7هـ)، بعد سقوط دولة الموحدين وتحوّل بعد ذلك بسكرة إلى قاعدة لبلاد الزاب على حدّ قول ابن سعيد المغربي : «...**وفي شرقها بلاد الريغ مدينة بسكرة قاعدة بلاد الزاب** »[3] ، وهذا ما يؤكدّه صاحب الروض المعطار بقوله : « **بسكرة من بلاد الزاب بأرض المغرب وهي قاعدة تلك البلاد...**»، هذا ما نجده أيضا عند النّميري صاحب الرّحلة مع السلطان المريني أبي عنان إلى بسكرة الذي أشار عند وصوله إليها بأنّها قاعدة بلاد الزاب في قوله : «... **بسكرة قاعدة بلاد الزاب ...**»[4] .

لقد تغيرت جغرافيّة إقليم الزاب واقتصر على مدينة بسكرة وما جاورها زمن ابن خلدون الذي أعطى وصفا دقيقا لمساحتها والمدن التي تشملها : «...**هذا البلد بسكرة هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد وحده من لندن قصر الدوسن بالمغرب إلى قصور هولة وبادس في المشرق...وهذا الزاب وطن كبير يشمل على قرى متعدّدة ومتجاورة جميعا يعرف كلّ واحد**

1) الإستبصار ، مصدر سابق ، ص. 173 .

2) الحموي، مصدر سابق، ج.1، ص ـ ص. 501 ـ 502 .

3) ابن سعيد المغربي ، مصدر سابق ، ص. 113 .

4) النميري ، مصدر سابق، ص. 430 .

منها بالزاب...وبسكرة أمّ هذه القريكلها...»[1] ، ونفس التّقسيم الّذي جاء به ابن خلدون نجده عند حسن الوزان[2]، وبهذا تعتبر مدينة بسكرة من آخر عواصم إقليم الزاب .

صفوة القول، أنّ عواصم إقليم الزاب قد تنّقلت بين عدّة مدن خلال الفترة محلّ الدراسة، فكانت أذنة حينا وطبنة حينا آخر وبعدها مدينة المسيلة ثمّ قلعة بني حمّاد ، وليكون آخرها بسكرة، وذلك حسب الظروف الّتي كان يمرّ بها الإقليم من الفتح الإسلامي إلى غاية القرن السابع الهجري .

1) ابن خلدون ، مصدر سابق، ج .6 ، ص. 585 .

2) حسن الوزان ، مصدر سابق، ج.2 ، ص ـ ص. 139 ـ 140 .

الفصل الثاني :

النشاط الفلاحي في إقليم الزاب

أولا : العوامل المؤثرة في النشاط الفلاحي

ثانيا : النشاط الزراعي

ثالثا : الثروة الحيوانية والسمكية

قدمت لنا كتب الجغرافيين والرحالة نصوص ذات أهمية بالغة خاصة منها ما تعلق بالجانب الفلاحي، حيث أمدّتنا بمعلومات غزيرة عن المقوّمات الطّبيعية الّتي زخر بها المغرب عامّة والبلاد الزابية بصفة خاصّة والّتي سوف نتطرق إليها في هذا الفصل .

أولاً : العوامل المؤثّرة في النّشاط الفلاحي

1- العوامل الإيجابية :

1- 1 الطبيعية : تتمثل العوامل الطبيعية الّتي أثّرت بشكل إيجابي على النّشاط الفلاحي في إقليم الزاب ، كالآتي :

1- 1 - 1 الموقع الإستراتيجي :

احتلّ إقليم الزاب موقع استراتيجي هام، حيث كان يتوسط بلاد المغرب الإسلامي ، وهو ما مكنّه من اكتساب مكانة مميّزة خاصة من الناحية الاقتصادية[1]، فالمنطقة الزابية كانت بمثابة حلقة وصل بين الأندلس والمغرب الأقصى، وأيضا بين المغرب الأدنى (إفريقية) وجزر البحر المتوسط والمشرق الإسلامي، كما تتّصل بمسالك التجارة الصحراوية المؤدية إلى بلاد السودان وإفريقيا جنوب الصحراء[2] .

1) هشام جعيط ، مرجع سابق، ص. 112 .

2) صورية مديازة ، مرجع سابق، ص. 93 .

كما ساهم الوضع السياسي، في خلق مدن جديدة تميّزت بمكانة اقتصادية هامة غالبا ما ظهرت على حساب مدن أخرى فقدت أهميّتها الاقتصادية لأسباب سياسية[1]، فعلى سبيل المثال نذكر مدينة المسيلة؛التي يُعْزَى سبب تأسيسها إلى العامل الاقتصادي بالدرجة الأولى، وذلك بهدف تأمين المسلك التجاري الرابط بين سجلماسة والقيروان لأن المسلك الشمالي مهدد من قبل الأمويين بالأندلس، والمسلك الصّحراوي الجنوبي تحت سيطرة قبائل زناتة[2] .

الجدير بالذكر، أنّه بالرّغم من تأرجح المنطقة بين الهدوء والاستقرار من جهة والحروب والصراعات من جهة أخرى ، وكذا سيطرة بعض القبائل على الطرق والمسالك ، خاصة بعد الهجرة الهلالية ، إلّا أنّنا نجد أنّ مدن الزاب قد حافظت على حركتها الاقتصادية والتجارية[3].

1- التضاريس:

تتكون المظاهر التّضاريسية للإقليم من ثلاث أقسام رئيسية وهي :

- **الجبال :** تقع غالبيّتها في سلسلة الأطلس الصحراوي حتّى إقليم الزاب شرقا، ومن جبالها[4]: جبل الأوراس الذي يقرب مدينة مسكيانة[5]، وهو جبل جليل يقطع عليه الثلج[1]، وأشار إليه

---

1) الطاهر الطويل ، مرجع سابق ، ص. 248 .

2) الحبيب الجنحاني ، **دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي** ، دار الطليعة ، بيروت ، 1980 ، ص. 31 .

3) هاشم العلوي القاسمي ، **مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري منتصف العاشر الميلادي** ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، 1995 ، ج.1، ص. 360 .

4) سكينة عميور ، **الريف المغرب الأوسط في القرنين (5 ــ 6هـ/11 ــ 12م) دراسة اقتصادية واجتماعية** ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ تخصص تاريخ الريف والبادية ، إشراف: إبراهيم بكير بحاز ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة قسنطينة 2 ، 2012 ـ 2013 ، ص. 23 .

5) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 50 .

المقدسي عند وصفه لمدينة باغاي ويقول : « ...**باغاي مدينة كبيرة مسورة تحت جبل يقال له أوراس يجري إليهم ماء كثيرة...** »[2]، كما ذكره اليعقوبي عند إشارته للمسافة بين القيروان ومدينة طبنة « ...**فمنه مدينة يقال لها باغاية ...جبل يقال له الأوراس يقطع عليه الثلج...** »[3] ، ووصفه ابن حوقل أنّه جبل ذا مياه غزيرة ومراعي كثيرة[4] ، أمّا صاحب الاستبصار فقال : «...**جبل الأوراس وهو جبل خصيب...**»[5] .

كما تعتبر جبال الحضنة حلقة ربط بين سلسلة الأطلس التلي وسلسلة الأطلس الصّحراوي، وذلك لاتّصالها بجبال الأوراس الجنوبية، وجبال الحضنة التي تشكل الحدود الشمالية لمنطقة الحضنة، التي تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، متمثلة في جبال ونوغة غربا وجبال الأوراس شرقا، وجبال المعاضيد وبوطالب المحاذية لسهول قسنطينة شمالا، كما تعتبر جبال بوسعادة وسالات وجبال ولاد نايل الحدود الجنوبية الغربية للحضنة[6] .

وقد ذكر المقدسي أنّ جبل تاقربست الواقع في المسيلة جبل عالي ويقول في ذلك : «...**جبل تاقربست جبل سامي العلو صعب الارتقاء وقد استدار سورها أي القلعة بجميع**

---

1) الإدريسي، نزهة المشتاق...، مصدر سابق ، ص. 263 .

2) المقدسي ، مصدر سابق ، ص. 230 .

3) اليعقوبي ، مصدر سابق ، ص. 108 .

4) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 84 .

5) الاستبصار ، مصدر سابق ، ص. 164 .

6) صليحة رحلي ، **المسيلة وجهتها في العصر الوسيط ــ دراسة منوغرافية ــ** ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، إشراف : علاوة عمارة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، شعبة التاريخ ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2013 ـ 2014 ، ص. 8 .

الجبل »[1]، كما أشار صاحب الاستبصار إلى جبل العنصل وقال أنّه يسمّى اليوم جبل بني زلدوي وكان هذا الجبل منيعا ، وأطنب في حديثه عن جبل تامورت[2] .

– الهضاب :

تعتبر هضبة الأوراس الّتي تقع في الجانب الشرقي من منخفض أذنة ، وتتركز في الجبل الأزرق ، وتمتدّ على شكل سلسة ملتوية متعدّدة الاتجاهات شرقا ، غربا ، شمالا ، وجنوبا، ويمكن تقسيم هذه الهضبة حسب مظاهرها التضّاريسية إلى قسمين[3] :

1- المنطقة الشمالية الغربيّة : تقع في الجزء الشمالي من الهضبة ، تتركز معظم سلاسلها الجبليّة في الاتجاه الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي ، وتمتاز هذه المنطقة بارتفاعاتها المتباينة ، وتخترق هذه المرتفعات بعض الأودية الّتي تنحدر نحو الشمال ، كما يمتاز هذا المنخفض بتربته الرّسوبية الخصبة وكثرة مزروعاته[4] .

2- المنطقة الجنوبية الشرقية : احتلّت هذه المنطقة الجزء الجنوبي الشرقي في الأوراس ، وتميّزت بمظهرين تضاريسيين وهما : المرتفعات الجبلية كجبال شيليا وجبال طاقطيوت جنوب غرب الأوراس والواقع في بسكرة، والمائدة الأوراسية الّتي تشمل الأراضي المنخفضة وتحيط بها المرتفعات السابق ذكرها ،تتميّز بسطحها المستوي وتنحدر نحو الجنوب الشرقي ، وتمتدّ من أذنة ، القنطرة ، باغاي[5] .

---

1) المقدسي ، مصدر سابق ، ص. 255 .

2) الاستبصار، مصدر سابق ، ص. 166 .

3) بشير مسعودان ، **ولاية باتنة دراسة في جغرافية السكان** ، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه دولة في التهيئة ، إشراف : علاوة بولحراش ، كلية علوم الأرض والتهيئة ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2009 ، ص ـ ص. 10 ـ 13 .

4) نفسه ، ص. 14 .

5) نفسه.

أمّا الهضاب العليا فتقع بين سلسلتي الأطلس التلّي والأطلس الصحراوي، تتخلّلها بعض التّلال وتحوي على مجموعة من السّباخ منها شط البيضة بمنطقة حمام السّخنة وشط ملول بقلال في مدينة سطيف[1] .

– السهول :

ضمّ الإقليم العديد من السهول نظرا لاتّساعه، فضمّت مدينة بسكرة العديد من المناطق السهلية مثل سهل لوطاية الّذي يقع في الجهة الشمالية للمدينة وهو تابع لمرتفعات الأوراس ومرتفعات إقليم الزاب وهو الفاصل بينهما ، وسهل طولقة والدّوسن والّذي يضم جزءا من منطقة طولقة ومنطقة الدّوسن، يتميّز هذا السّهل بالارتفاع والتّموج ويتّسع كلّما اتّجهنا للجنوب، وسهل سيدي عقبة الواقع في النّاحية الشرقية ، ويتميّز بالاتّساع والانبساط، كما أنّه محاط بسلاسل جبلية في الجهة الشّمالية لجبال الزاب[2]، أمّا مدينة سطيف فتنحصر سهولها بين السلاسل الجبلية في داخل التل[3]، وقد وصف لنا ليون الإفريقي مدينة سطيف أنّها تقع في سهل جميل[4]، وذكر الحميري أنّ سهولها خصبة تنتج أجود المحاصيل[5]، كما أنّ مدينة

1) نبيل سليماني ، **دراسة تصميم وتنفيذ مشروع نظام المعلومات SIG لتسير المجال حالة ولاية سطيف** ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التهيئة العمرانية الإقليمية ، إشراف : جمال رحام، كلية علوم الأرض والتهيئة العمرانية ، قسم التهيئة العمرانية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2009 ، ص. 19 .

2) يعقوب علي ، **التعمير المصغر في حوض ميلة دراسة حالة تجمعات** ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التهيئة العمرانية والبيئة ، إشراف : لكحل عبد الوهاب، كلية علوم الأرض والتهيئة العمرانية ، قسم التهيئة العمرانية ، جامعة الأخوة منتوري ، قسنطينة ، 2015 ، ص. 06 .

3) نفسه ، ص. 18 .

4) حسن الوزان ، مصدر سابق ، ج.2 ، ص. 52 .

5) الحميري ، مصدر سابق ، ص. 318 .

نكاوس (نقاوس) توجد حولها سهول تصلح لزراعة القمح[1] ، وسهول مدينة المسيلة كثيرة وتحيط بجبل المعديد أو المعاضيد ، كما تتواجد سهول ميلة على امتداد منخفض على واد الرّمال وفي واد النجاء ، تتميز بالتموج لوجود عدة كديات[2] .

2 – المناخ :

يعدّ المناخ أحد العوامل الطبيعية الهامّة الّتي تؤثر في الإنتاج وتحديد المناطق التي يمكن زراعتها بمحاصيل معينة .

يسود بلاد الزاب مناخ حارّ صيفا، حيث تشتدّ الحرارة وهذا ما أكدّه صاحب الاستبصار الّذي يرى بأنّ هواء هذه المنطقة حار مثلها مثل بلاد الجريد[3] ، هذا ما يرد أيضا عند الحميري[4] ، وحسن الوزان بقوله : « **هذه المنطقة شديدة الحرارة** »[5] ، ومثال على ذلك مدينة بسكرة وضواحيها التي تشتدّ فيها الحرارة في فصل الصّيف خاصّة في النّهار ، حيث تقتصر زراعة أشجار النّخيل لأنّه يتطلب درجة حرارة عالية .

1) حسن الوزان ، مصدر سابق ،ج.2 ، ص. 53 .

2) يعقوب علي ، مرجع سابق ، ص. 30 .

3) الاستبصار ، مصدر سابق ، ص. 171 .

4) الحميري ، مصدر سابق ، ص. 281 .

5) حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج .2 ، ص. 138 .

أمّا شتاءً فيكون المناخ بهذا الإقليم بارد، وتنخفض به درجة الحرارة خاصة في الجهة الشمالية الشرقية ومثال على ذلك مدينة باغاية التي وصفت بالبرد القارص في فصل الشتاء[1]، كما يظهر أيضا ببعض مدن الإقليم كأذنة والذي يعرف بظاهرة الصّقيع[2] .

أمّا التساقط ببلاد الزاب فينقسم إلى جزء شمالي وتعدّ كمية الأمطار فيه معتبرة نظرا للطبيعة الجبلية الّتي تتمتع بها والتابع لمناخ البحر المتوسط، والجزء الجنوبي المتاخم للصحراء ومتأثر بمناخها الجاف[3]، ما جعل الفلاحين في هذه الحالة يعتمدون على مياه الأنهار والوديان و العيون والآبار ليعوّضوا النقص النّاجم على الأمطار[4] .

فمن المعلوم أنّ التساقط يقل كلّما اتّجهنا من الغرب إلى الشرق هذا إضافة إلى تناقص آخر كلّما اتّجهنا من الشمال إلى الجنوب[5] ، وعموما فإنّ التساقط ببلاد المغرب عامّة بما فيها إقليم الزاب يمتاز بالتذبذب وعدم الانتظام بين السنوات والفصول، ويرجع الباحث هواري موسى السّبب في ذلك إلى الانخفاضات الإعصارية وهي العامل المناخي الأساسي لسقوط الأمطار فهي لا تخضع لنظام معيّن من حيث تزايدها ومساراتها، وقربها أو بعدها من البحر الأبيض المتوسط[6] .

---

1) محمد الطمار ، مرجع سابق ، ص. 147 .

2) بشير مسعودان ، مرجع سابق ، ص .17 .

3) صورية مديازة ، مرجع سابق ، ص. 81 .

4) جودت عبد الكريم يوسف ، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين 9 ــ 10م** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، (د . س) ، ص. 56 .

5) موسى هواري ، **تقنيات الزراعة ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (من القرن 1هـ ـ 7م إلى القرن 7هـ ـ 13م)** ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط ، إشراف : محمد بن عميرة ، كلية العلوم الإنسانية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر2 ، أبو القاسم سعد الله ، 2013 ـ 2014 ، ص ـ ص. 143 ـ 144 .

6) نفسه ، ص. 146 .

3 – التربة :

تعدّ التربة من أهمّ العناصر المتحكمة في الإنتاج الفلاحي بكلّ أشكاله سواء الزراعية أو النباتية وحتى الرّعوية، وبالتّالي فهي عنصر أساسي لتأمين التغذية البشرية والحيوانية[1]، كما أنّها المجال البيئي الذي تنبت فيه البذور وتمدّ جذورها[2] ، لذلك فهي عامل جد مهمّ يساهم بشكل كبير في تعدّد المحاصيل وتنوّعها، إلاّ أنّ الكتب الجغرافية لم تصرّح لنا بنصوص تدلّ على التربة في الإقليم، لكن من خلال تنوع المحاصيل الزراعية يمكن أن نستنتجها وهي كالآتي :

– **التربة الجبلية :** هي أرض يغلب عليها طابع البرودة واليبوسة ليس لها مسام مفتوحة، وهي مائلة إلى الحروشة بسبب اليبس الموجود فيها، ولا يصلح فيها كل النّبات والثمار، واللّوز[3] ، الذي اشتهرت به مدينة نقاوس[4]، ربّما هذا دليل على أنّ المدينة تربتها جبلية، إضافة إلى التين، الفستق ، البلّوط، القسطل والصّنوبر[5] .

– **الأرض الرملية** : هي أرض يغلب عليها طابع الحرارة مع برودة التي تبرد مع برودة الهواء، فإذا كان فصل الخريف تفوق حرارتها بحرارة الهواء ، وتضعف البرودة التي فيها[6]،

---

1) إبراهيم القادري بوتشيش وعبد الهادي البياض ، **التربة آفاقها وتقنيات علاجها وتدابير استغلالها في ضوء الأدبيات الفلاحية الأندلسية** ، ضمن كتاب الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط ، مؤسسة الملك عبد العزيز وآل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، المغرب ، ص.215 .

2) محمد صبري محسوب ومحمد إبراهيم أرباب ، **الأخطار والكوارث الطبيعية الحدث والمواجهة ــ معالجة جغرافية** ـ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1992م ، ص.123 .

3) ابن بصال ، **كتاب الفلاحة** ، نشر وترجمة وتع : خوسي مارية وملياس فاليكورسا ومحمد عزيمان ، مطبعة كريمايس ، تطوان ، المغرب ، 1955 ، ص.42 .

4) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص .50 .

5) ابن بصال ، المصدر السابق ، ص. 43 .

6) نفسه .

فقد ساهمت هذه الأرض في الانتشار الواسع لواحات النخيل[1] ، إضافة إلى منتجات أخرى منها التّين ، الرومان ، توت ، الورد ... الخ[2] .

– **الأرض المدمنة السّوداء المحرقة الوجه :** هي أرض حارّة يابسة ومالحة، لكن تقلّ ملوحتها في فصل الشّتاء، يصلح فيها الكتان، الفول، الخردل، الكزبر، وجميع الخضر وأيضا التّوت، وشجر التّين، والرّومان[3] .

– **الأرض الحمراء :** هي أرض حرارتها أكثر من يبوستها لذلك فهي ذات رطوبة عالية فهي تحتاج إلى الماء الكثير وتجود فيها مختلف الثمار مثل : التّفاح ، الإجاص ، عيون البقر ، التّوت، اللّوز، الورد...الخ[4] .

– **الأرض الحرشا :** أرض مخرسة محبّبة باردة ويابسة وهي شبيهة بالأرض الجبلية تجود بالأملاح وتنتج أجود الثمار: الفستق ، الجوز، اللّوز، التّين ، الكرم ، القرع ، الباذنجال[5] .

4 ـ مصادر المياه وطرق تخزينها :

يقول عزّ وجلّ في محكم تنزيله ﴿ **اَلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشَاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[6]، ﴿ **هُوَ اَلَّذِي أَنْزَلَ مِنَ اَلْسَّمَاءْذِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ** ﴾[7]، هذه الآيات

1) حسن الوزان ، مصدر سابق ، ج.2 ، ص. 138 .

2) ابن بصال ، مصدر سابق ، ص.44 .

3) نفسه ، ص ـ ص. 44 ـ 45 .

4) نفسه ، ص ـ ص. 46 ـ 47 .

5) نفسه .

6) سورة البقرة ، الآية 22 .

7) سورة النحل ، الآية 10 .

دلّت على أنّ المياه أحد أهمّ مقومات الحياة، إذ أنّها تشكل الدعامة الأساسية التي تقوم عليها الزراعة وتربية الحيوانات اللذان يشكلان الغذاء الرئيسي للإنسان[1]، وقد أوردت مصادر الجغرافيين والرّحالة مدى غنى البلاد الزابية بمصادر المياه المختلفة[2] ، وأهميّتها في التأثير على خصوبة الأرض وعلى الزراعة والغراسة[3] .

كما حظي الإقليم كجزء من بلاد المغرب على اهتمام الرومان حيث تشهد المخلّفات الأثرية على منجزات زراعية بالغة الأهميّة، ففي منطقة الحُضنة تمّ العثور على بقايا أثرية لسدّ كبير، كما أقاموا خزانات وقنوات للري، وكان هناك بقايا سدود على روافد وادي بريكة ومنطقة رأس لعيون في آذنة، وكذلك في المسيلة ومدينة زابي والقنطرة[4]، وبعد الفتح الإسلامي كان للمسلمين دور كبير في تشجيع الزراعة واستصلاح الأراضي التي كانت قد دمّرت بفعل الثورات والتمرّدات، وعملوا على تعمير شبكة قنوات الري والسواقي وقنوات المياه وتوزيعها عند الحاجة[5]، والمساحة الشاسعة لبلاد الزاب كانت متباينة في نسبة تساقط الأمطار، فالمناطق الواقعة شمالا كانت كثيرة التساقط عكس المناطق الجنوبية المتاخمة للصحراء قليلة التساقط[6] .

---

1) سكينة عميور ، مرجع سابق ، ص. 84 .

2) أسامة الطيب جعيل، **اقليم الزاب في العصر الوسيطـ دراسة حضارية من الفتح الإسلامي حتى انتشار قبائل بني هلال ببلاد المغرب الإسلامي (02 ــ 5ه/08 ــ 11م)** ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، إشراف: نبيلة عبد الشكور، تخصص دراسات تاريخية في العصر الوسيط ، جامعة الجزائر2، 2019 ـ 2020 ، ص. 120 .

3) علي الهطاي ، مرجع سابق ، ص. 115 .

4) محمد بشير الشنيتي ، **التوسع الروماني نحو الجنوب الجزائري وآثاره الاقتصادية والاجتماعية** ، مجلة الأصالة ، ع.41 ، الجزائر ، (د س)، ص ، ص. 15 ، 16 ، 18 .

5) ممدوح حسين ، **إفريقية في عهد الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي ـ قراءة تكشف افتراءات دُعاة** الفاطميين ـ ، دار عمار، الأردن ، 1997 ، ص. 44 .

6) أسامة الطيب جعيل ، مرجع سابق ، ص. 120 .

وقد اعتمد سكان البلاد على مصادر مياه مختلفة منها الأمطار والأنهار والوديان والآبار والعيون حسب ما أوردته المصادر[1]، فبالنسبة لمياه المطر فلم يعتمد عليها الفلاحون كل الاعتماد بسبب تذبذبها[2] ، خاصّة منها القسم الجنوبي الجاف أمّا الشمالي فنسبة التساقط معتبرة نظرا لطبيعة المنطقة الجبلية ، هذا ما جعل الفلاحين يعوّضون النقص الناجم عنه بالاعتماد على الأنهار والآبار والعيون التي تنبع غالبيّتها من جبل الأوراس[3] .

وتأتي مياه الأنهار والأودية في المرتبة الثانية من حيث درجة الانتفاع، فأورد ابن بصال أنّ مياه الأنهار بجملتها صالحة موافقة لجميع أنواع النبات إلاّ أنّها تذهب برطوبة الأرض فلذلك تحتاج إلى مضاعفة كمية الزّبل[4]، وقد تعدّدت أوصاف الجغرافيين في ذكرها، فالزاب كورة كبيرة ونهر جرّار[5]،ونهر سهر بمدينة المسيلة[6] وسمّي بوادي سهر لأنّ جيوش عقبة نزلوا وخيّموا فيه وأطالوا السّهر عليه لذا اكتسب هذا الاسم[7]،ويسقي هذا النهر العديد من الأراضي الزراعية من بينها أراضي مدينة المسيلة التي اتّفق الجغرافيون المسلمون على أنّها ذات إنتاج فلاحي كبير بفضل مياه هذا النّهر[8]، ونفزاوة وبسكرة بلدان النّخيل والأنهار،[9]

---

1) **للمزيد أنظر للملحق رقم (04) ، ص. 194 .**

2) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 56 .

3) صورية مديازة ، مرجع سابق ، ص ـ ص. 81 ـ 82 .

4) ابن بصال ، مصدر سابق ، ص. 39 .

5) البكري ، **المسالك والممالك** ، تح وتق : أدريان فان ليوفن وأندري فيري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1992 ،ج.2 ، ص.739 .

6) الاستبصار ، مصدر سابق ، ص ـ ص. 171 ـ 172، أنظر أيضا ، البكري ، المغرب... ، المصدر السابق ، ص ـ ص. 59 ـ 60 ، أنظر أيضا ، المقدسي ، مصدر سابق ، ص. 254 .

7) المالكي ، مصدر سابق ، ص ـ ص.36 ـ37 .

8) خديجة بورملة ، **الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط من خلال الكتابات الجغرافية العربية** ، دورية كان التاريخية ، ع.34 ، ديسمبر2016 ، ص. 92 .

9) المقدسي ، المصدر السابق، ص. 230 .

ويشقّ غابة بسكرة نهر كبير ينحدر من جبل الأوراس يسقي البساتين والنخيل[1]، ومدينة تهودة لها نهر كبير ينصبّ من جبل الأوراس[2]، وقرية مسكيانة على نهر ويسمّى أيضا نهر البلاء[3]، وعرف كذلك بواد مسكيانة[4]، وبلزمة كثيرة الأنهار[5]، ومقرة بلد كبير ذو ثمار وأنهار[6] ، ومدينة سطيف غزيرة المياه والأنهار[7]، كما كانت آذنة كثيرة الأنهار والعيون[8]، وبنطيوس يمرّ بها نهر جار ينحدر إليها من ناحية الجنوب، وهذا النّهر يسقي ثلاث مدن[9] .

كما عرفت البلاد الزابية مياه الجداول والعيون والآبار العذبة، فمدينة ميلة كانت مياهها غدقة[10]، وباغاي مدينة كبيرة يجري إليهم ماء كثير[11]، وفي وسط مدينة المسيلة عين خرارة عذبة من بناء الأوائل يدخل فيه فل يوجد له آخر، ولا يعلم أحد من أين يأتي ذلك الماء ، ويقال أنّه مجلوب من جبل من القرب منها يسمىّ تامورت على حسب وصف المقدسي[12]، ويشقّ مدينة طبنة جدول من الماء العذب[13]، كما يشقّ سكك مدينة تهودا جداول الماء

1) الاستبصار، مصدر سابق، ص. 173 .

2) نفسه ، ص.174 .

3) ابن عبد الحكم ، مصدر سابق ، ص. 270 .

4) ابن عذاري المراكشي ، مصدر سابق، ج1، ص. 26 .

5) البكري ، المسالك ... ، مصدر سابق ، ص.172 .

6) البكري ، المغرب... ، المصدر سابق ، ص .51 .

7) الاستبصار، المصدر السابق ، ص .166 .

8) الحميري ، مصدر سابق ، ص. 20 .

9) البكري ، المُغرب...، المصدر السابق، ص. 72 .

10) الإدريسي ، نزهة المشتاق...، مصدر سابق ، ص. 265 .

11) المقدسي ، مصدر سابق ، ص.230 .

12) نفسه ، ص. 166 .

13) الاستبصار ، المصدر السابق ، ص. 172 .

العذب وبقرب المقبرة غدير يجري يُعرب بغدير برغان[1]، وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة[2]، ومياه جبل الأوراس وهو كالأمّ معني الأطراف وطوله نحو اثني عشر يوما ومياهه كثيرة، أمّا طولقة فيمرّ بها جدول ماء، وبادس لها عيون كثيرة[3]، وكان داخل مدينة أشير عينان لا يبلغ لهما غور ولا يدرك لها قعر من بناء الأول[4]، وباغاية لها ماء جار من واد يأتيهم من القبلة ومنه مشربهم مع آبار عذبة[5]، ولمدينة تهوذا آبار كثيرة طيبة[6]، وداخل مدينة ميلة عين تعرف بعين أبي السباع ومياهها عذبة تطرد حولها[7] .

ـ وسائل تخزين المياه :

– مياه المطر :

فيما يخص طرق جمع واستغلال المياه في إقليم الزاب فتعدّدت الأساليب والوسائل من أجل حفظ الماء خاصّة وأنّ المنطقة تعرف تذبذب في كميّة التساقط وانعدام عيون المياه ممّا احتيج إلى جمع ماء المطر[8] خاصّة المناطق التي تحتاج مزارعها وحقولها إلى السّقي ولا

1) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص .51 .

2) نفسه ، ص .52 .

3) الاستبصار، مصدر السابق، ص .175 .

4) نفسه، ص. 170 .

5) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 84 .

6) البكري ، المغرب... ، المصدر السابق ، ص. 73 .

7) الحميري ، مصدر سابق ، ص. 569 .

8) قسطوس بزاسكولستيكه ، **كتاب الزرع** ، تح : بوزاوي الطرابلسي ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة ، تونس ، 2010 ، ص. 66 .

يكون لها مصدر إلاّ مياه الأمطار[1]، هذا دفع بالفلاحين وأصحاب المزارع إلى جمع مياه المطر أثناء موسم الأمطار من أجل الاستفادة منها في السّقاية وأغراض أخرى في أوقات الجفاف، واشترط في جمع الماء النظافة وقال في هذا الصّدد ابن وحشية : « ...**نحتاج أن نصفها هنا كيف يجمع ماء المطر، فإنّ كثيرا من النّاس يغلطون في جمعه، فإنّهم يجمعونه من مواقف الغنم والبقر، وهذه المواضع قذرة...لكن ينبغي أن تنظّف سطوح المنازل...بالكنس وإزالة كل شيء فيها...** »، ثمّ تنصب عليها الميازيب أو القني كما ذكرتها المصادر؛ مصنوعة من الخشب ويجري ماء المطر إلى مواضع مجتمعة في الصهاريج المعمولة ويجتمع إليها صافيا طاهرا نقيا[2].

وكانت تحدث منازعات بين الجيران خاصّة إذا أحدثه صاحب المنزل على بيت غيره أو كلّ ما يضر فيه غيره[3]، وقد طنب صاحب المعيار حادثة عن هذه المناوشات وقال : «...**وقد سئل بعض فقهاء تونس عن رجل أحدث ميزابا في زقاق ضيق يجري فيه المطر فاشتكى صاحب الحائط الذي يقابل الميزاب من أجل ما يصل إليه وشهد أهل البصارة بأنه ضرر...**»[4]، لذا قد منعت الميازيب إذا كانت تشكل خطرا على النّاس، وقد وضع الفقهاء شروطا لمن أراد نصبها من أجل تفادي مخاطرها[5] .

---

1) ابن وحشية ، **الفلاحة النبطية** ، تح : توفيق فهد ، الجفان والجافي للطباعة والنشر ، قبرص ، 1992 ، ص. 201 .

2) نفسه ، ص.202 .

3) الفرسطائي ، **القسمة وأصول الأرضيين** ، تح : بكير بن محمد الشيخ بلحاج ومحمد بن صالح ناصر ، نشر جمعية التراث ، ط.3 ، غرداية ، الجزائر ، 1997م ، ص. 187 .

4) الونشريسي ، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب** ، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية ، الرباط ، 1981 ،ج.8 ، ص. 43 .

5) الفرسطائي ، المصدر السابق ، ص. 188 .

– الصهاريج والمواجل :

تندرج المواجل والصّهاريج ضمن منشآت تخزين مياه السّيول وهي عبارة عن حفائر تحت الأرض تقام قريبا من السّفوح حيث تتواجد المساقي، وتنشأ غالبا بعيدا عن الأراضي الزّراعية تجنّبا لأضرارها لذلك وجدت في أطراف المدن أو خارجها في الصّحاري والطرق التّجارية لاستفادة النّاس منها[1]، تجمع مياه الأمطار في خزانات باطنية[2]، كالصّهاريج ؛وهي كالحياض يجتمع فيها الماء وأصل هذه الكلمة فارسي وهي صهري[3]، و عبارة عن خزان فوق الأرض[4]، وقد عرّفها الشنيتي؛ بأنها إحدى الوسائل الغربية من وسائل التّحكم في مياه الأمطار الغزيرة إذ؛ هي عبارة عن سدود بسيطة تقام أسقف المنحدرات لحجر المياه الجارية على السطح وتوجيهها إلى خزانات واسعة وهي تأخذ أشكالا دائرية[5].

ولأنّ الاعتماد الأكبر على مياه الأمطار انصرفت للاستفادة من مياه الأمطار لموسم الجفاف، وانتشرت الصّهاريج في جميع أنحاء المغرب خاصّة إقليم الزاب حيث الجفاف أشدّ وموسمه أطول[6]، وقد كان في قلعة بني حماد صّهريج عظيم تلعب فيه الزّواريق يدخله ماء

---

1) سهيلة علوش ، **الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط خريطتها ، منشآتها ، استغلالها (من القرن 1هـ إلى نهاية القرن 6هـ)** ، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في التاريخ ، إشراف : إبراهيم بحاز ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة قسنطينة 2 ، 2012 ـ 2013 ، ص. 75 .

2) رحماني موسى ، مرجع سابق ، ص. 152 .

3) ابن منظور ، مصدر سابق ، مج.4، ص ، ص. 16 ، 25 .

4) ابن وردان ، **تاريخ مملكة الأغالبة**، تح : محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة المدبولي ، القاهرة ، 1988 ، ص. 41 .

5) محمد البشير الشنيتي ، **التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص. 109 .

6) عز الدين أحمد موسى ، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري** ، دار الشروق ، بيروت ، 1983 ، ص. 64 .

كثير مجلوب على بعد[1]، وفي مدينة طبنة صّهريج كبير يقع فيه ويسقى منه جميع بساتينها وأراضيها[2]، كما اعتمد سكان الزاب على المواجل والماجل؛ عبارة عن أحواض ماء واسعة وعميقة تشبه الفسقيات يتجمع فيها ماء المطر وهي دائما مكشوفة[3]، أمّا شكلها فكانت مستديرة وضيّقة الفمّ تشبه القارورة ويكون حفرها بشكل أسطوانة تبدأ بالاتّساع شيئا فشيئا باتجاه القاعدة وبعمق لا يتجاوز خمسة أمتار في الغالب يتجاوز قطرها ما بين ثلاث وخمسة أمتار[4]، وذكر صاحب الاستبصار أنّ مدينة على طرف جبل الأوراس تدعى شقبنارية، كان لها ماء مجلوب وبقي فيها اليوم مواجل عظام ما تغيّر منها شيء[5].

وتخضع المواجل هي الأخرى إلى قوانين شرعيّة ويقول صاحب القسمة في ذلك : **«...ولا يحفر الرّجل غارا أو بئرا أو يعمل ماجلا إلاّ في أرضه أو أرض لا تنسب إلى أحد من النّاس ، ولا يحفره في أرضه حيث يضرّ به غيره من النّاس بالتراب وغيره...وأمّا من عمل ماجلا في أرضه حتّى تثبت له طريقه لجاره ...ولا يزيد في الماجل ليوسعها فيرفع أكثر ممّا يحمله من المياه والمنافع ...»**[6] .

---

1) الاستبصار، مصدر سابق ، ص. 168 .

2) نفسه، ص. 172 .

3) ابن وردان ، مصدر سابق ، ص. 41 .

4) سليم حاج سعد وبن موسى محمد ، **مصادر المياه ووسائل الري وأماكن التخزين في المغرب الأوسط ما بين القرنين الثاني والسادس هجريين الثامن والثاني عشر الميلاديين 6.2هـ /12.8م** ، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج.30 ، ع.01 ، جوان 2019 ، ص. 108 .

5) الاستبصار ، مصدر سابق ، ص. 164 .

6) الفرسطائي ، مصدر سابق ، ص ـ ص. 543 ـ 544 .

– السّدود :

وتسمّى الرّابطة لدى المزارعين، تستعمل لصرف مياه الوديان من الأسفل نحو الأعلى[1]، وتبنى السدود بالتراب ويكون عرضها كبير بينما الارتفاع يكون قليل، وتستعمل أوراق الأشجار كغطاء لها، وقد توضع السّدود بالقرب من مجرى العيون وتقوم في هذه الحالة برفع ماء العيون لتشكل منها ساقية وتقوم بريّ الحقول، وقد تقع بجانب العيون ويتمّ توجيه مياهها للزيادة من منسوب الأودية[2]، وقد تمّ إنشاء السدود في المخانق أو الفجاج الوديان الجارية من سفوح الجبال قصد رفع مستوى المياه فيها ثمّ نقله حسب الحاجة، وقد تواجدت هذه السدود في بعض مدن الزاب كمرتفعات الأوراس وبلزمة والحضنة التي أقامها الرومان[3]، ويعدّ سبب بناء السدود ضحالة الماء في الأنهار والأودية خاصة بعد انقضاء فصل الشتاء[4]، وقد أقيم سدّ بأعلى واد فرج، لجلب الماء منه إلى القلعة عبر قنوات صغيرة ليتمّ توزيعه بعد ذلك على السكّان[5].

وتجدر الإشارة أن السّدود كانت تتجدد باستمرار، وكانت تشيد كلّما دعت إلى ذلك الضرورة بالعمل الجماعي، ولابد أنّ مصلحة الآخرين كانت تراعى أثناء ذلك إذ يتوجب على صاحب السد إزالة سدّه إذ كان يشكل خطرا على مصلحة الناس[6] .

---

1) سهيلة علوش ، مرجع سابق ، ص. 79 .

2) سليم حاج سعد وبن موسى محمد ، مرجع سابق ، ص. 109 .

3)محمد البشير الشنيتي ، التغيرات الاقتصادية... ، مرجع سابق ، ص ـ ص. 107 ـ 108 .

4) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 62 .

5) محمد بن عميرة ، **الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب ،من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين** ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي ، إشراف : موسى لقبال ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2004 ـ 2005 ، ص. 121 .

6) سهيلة علوش ، المرجع السابق ، ص ـ ص. 80 ـ 81 .

– <u>الآبار :</u>

لقد اعتبرت السدود من أقدم المنشئات العادية التي عرفتها البشرية منذ الزمن الغابر، حيث مكنّتهم من الانتفاع من المياه الجارية على السطح ، ومع ذلك فإنّ الآبار كانت مصدرا ثمينا لا يمكن الاستغناء عنه في الجنوب ولم يتردّد الرومان في استخدامها[1] .

أمّا في الفترة الوسيطة فقد أطنبت المصادر الجغرافية انتشارها الواسع في الإقليم ولقد تمّ التطرق إليها سابقا عند حديثنا عن مصادر المياه ، كما كانت الآبار من المصادر الهامّة للريّ ؛ وهي إمّا آبار ارتوازية أو آبار تعتمد على ماء المطر تسيح إليها من الطرق ومن سطوح المنازل، وقد جاء في المدونة بئر الدار أو بئر الأرض، وقد استعملت للري وللشرب، ولا تكاد تخلو دار من بئر، كما واجهت السكّان في مسألة تسرب مياهها إلى باطن الأرض فكانوا يلجئون إلى حفرها في الصخور أو يبطّنونها بخشب العرعار وغيره[2] .

وصفوة القول أنّ البلاد الزابية كانت تزخر بموارد مائية ضخمة تمثّلت في الأنهار والأودية والعيون والينابيع ما جعلها إقليما فلاحيًا، وبالتّالي أدّت كلّ هذه المزايا الطبيعية إلى وفرة الإنتاج[3] ، كما استغلّ سكان البلاد هذه الموارد عن طريق حفظها في منشآت تخزين من أجل الاستعمال اليومي والري .

1) محمد البشير الشنيتي ، التغيرات الاقتصادية... ، المرجع سابق ، ص. 109 .

2) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص ـ ص. 60 ـ 61 .

3) علي الهطاي ، مرجع سابق ، ص. 116 .

1– 2 البشريّة :

لم تكن المقومات الطبيعية وحدها المؤثّر على التطور الفلاحي في منطقة الزاب ، بل نجد أنّ للعامل البشري أيضا مساهمة فعالة في ذلك، ونذكر أولها القبائل البربرية التي كان لها الدور الرئيسي في ازدهار النشاط الفلاحي بالإقليم حيث كان اعتمادهم الأول قائم على الزراعة والرعي، ورغم محاولة السلطات البيزنطية سلب ونهب أراضيهم إلاّ أنّهم تمسّكوا بها ، وبعد الفتح الإسلامي ودخول العرب إلى المنطقة أسهمت عناصر أخرى في تطورها وهي[1] :

ـ أهل الذمّة :

تتّفق معظم الدراسات على الدور الاقتصادي الّذي لعبه أهل الذمّة، فقد ساهم النّصارى في تطور الفلاحة في المغرب واجتهدوا في تطوير تقنياتها وتحسين أساليب وطرق الإنتاج، فقد ضمّت بلاد الزاب أكثر من ثلاثمائة وستون قرية عامرة أثارت إعجاب العرب الفاتحين حتى أنّهم ذهلوا لجودة الخيول في منطقة الأوراس[2]، والأكيد أن أهمّ عامل ساهم في استمرار النّصارى في ممارسة الزراعة وتربية الماشية إنشاء حسّان بن النّعمان لديوان الخراج بغية إحصاء أرزاقهم وتحديد قيمة الضريبة المفروضة عليهم[3]، وقد استمرّ نشاطهم الفلاحي حتىّ فترة المرابطين وتزايد أعدادهم خاصة في المغرب الأوسط وذلك بعد نفيهم من الأندلس من

1) داود الأعرج ، **تطور الفلاحة في المغرب الأوسط مابين القرنين الثاني و السادس الهجريين (ق8 ــ 12 م)** ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط ، إشراف : بوداود عبيد ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان، الجزائر ، 2016 ـ 2017 ، ص. 114 .

2) الرقيق القيرواني ، مصدر سابق ، ص ـ ص. 10 ـ 11 .

3) ابن عذاري المراكشي ، مصدر سابق ، ج.1 ، ص. 38 .

طرف الأمير علي بن يوسف بن تاشفين[1]، أمّا فيما يخص اليهود فقد ساهموا أيضا في خدمة الفلاحة ، إلاّ أنّهم تعرّضوا لحملات التهجير التي أفقدتهم الحقول والبساتين ، وقد قام بلكين بن زيري بنقلهم من تلمسان إلى أشير[2]، وفضلا عن اشتغالهم بالزراعة ، فقد اهتمّوا بالرعي وتربية الماشية [3]، وبرز دورهم في تهجين أجود البغال في منطقة الأوراس فامتلكوا الكثير من الخيل وساهموا في توفير البغال في بلاد المغرب[4]، ومع هذا فقد تغيّرت حياتهم جذريًّا بعد سقوط المغرب الأوسط على يد الموحّدين وتعرضهم للتهجير إلى المغرب الأقصى وإفريقية[5] .

- **العرب الوافدين :**

لعب العرب دورا كبيرا في تطور الفلاحة بداية من الفتح الإسلامي للمنطقة مرورا بدخول القبائل الهلاليّة واستيطانهم فيها، فكان لهم الفضل في إدخال أنواع مختلفة من الخضر والفواكه، كما نقلوا معارفهم ومهاراتهم الزراعية وأدخلوا أدوات ووسائل ساهمت في تحسين الإنتاج الزراعي، وأداء المنشئات المائية[6]، وفي هذا الصّدد ذكر البكري أنّ عربا من قريش استوطنوا مدينة تهودا واستصلحوا الأرض وتمكنّوا من إقامة المزارع والبساتين وواحات

---

1) مؤلف أندلسي ، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ، تح : سهيل زكار وعبد القادر زمام ، الدار البيضاء ، المغرب ،1979 ، ص ـ ص.91 ـ 92 .

2) عبد الرحمن بشير ، مرجع سابق ، ص. 91 .

3) عبد الرحمن بشير، مرجع سابق ، ص. 92 .

4) داود الأعرج ، **سياسة الدولة الزراعية وأثرها على الفلاح في المغرب الأوسط مابين القرنين الرابع والسادس الهجريين** ، مجلةالحوار الفكري ، المركز الجامعي نور البشير ، البيض ، الجزائر ، ص. 122 .

5) نفسه .

6) نفسه ، ص. 124 .

النخيل، وأنتجوا أنواعا مختلفة من الفواكه والثمار[1]، لكن بعضهم يرى أن إقليم الزاب لم يتغيّر وجهه بالوجود الهلالي، من خلال استشهادهم بما وصفته المصادر الجغرافية بخيرات البلاد، فصاحب الاستبصار تحدّث عن كثرة بساتين النخل والزرع وتنوع الثمار، وكذا الأراضي الواسعة في كلّ من طبنة وبسكرة وغالبيّة مدن الزاب، كما ذكر الثروات المائية بها، ولهذا دلالة واضحة إمّا على أنّ العرب الهلالية حوّلوا جزء من الأراضي الزراعية إلى مراعي، وإمّا أنّهم شاركوا سكان البوادي مراعيهم ونشاطهم الزراعي[2] .

– الأندلسيون :

تتّفق أغلب المصادرعلى مساهمة الأندلسيين في التطور الفلاحي الذي شهدته المنطقة، فكانت هجرة هذه الفئة الخبيرة بالزراعة من موطنها، قد ساهم في ازدهار النشاط الاقتصادي في المنطقة، من خلال نقلهم لتقنيات الزراعة والغرس إلى الفلاحين المغاربة[3]، وتجلّى دورهم في غرس شجر الزيتون والكروم وأنواع مختلفة من الخضر والفواكه كما حفروا الآبار وأقاموا السدود، إضافة إلى تشييد قنوات الماء بما يلاءم طبيعة المنطقة، فساهموا في تعمير أكثر من عشرين بلدا[4]، كما أدخلوا طرق جديدة لتحسين إنتاج الحيوانات، وأنشئوا المزارع والضياع وأدخلوا إلى بلاد الزاب التقنيات الفلاحية الأندلسية [5]، وكانت أغلب هجراتهم إلى القلعة[1] .

---

1) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص ـ ص. 72 ـ 73 .

2) فوزية كرارز ، **السيطرة الاقتصادية الهلالية بالمغرب الإسلامي** ، دورية كان التاريخية ، ع. 42 ، جوان 2011 ، ص. 54 .

3) داود الأعرج ، تطور الفلاحة... ، مرجع سابق ، ص. 114 .

4) محمد عبده حتاملة، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة ، دراسة شاملة** ، مطابع الدستور التجاري ، عمان ، الأردن ، 2000 ، ص. 911 .

5) عز الدين موسى ، مرجع سابق ، ص. 89 .

فيما يخصّ سياسة الدولة الزراعية فقد عملت كل الدول المتعاقبة على حكم المغرب على تشجيع الفلاحة وتطويرها ، فقد عمل خلفاء بني عبيد من بينهم القاسم الذي بنا مدينة المسيلة على إحياء الأرض وتشجيع الزراعة[2]، كما قام بعده إسماعيل المنصور بإصلاح العمارة وإنعاش الفلاحة[3]، وذكر الدّباغ أنّ المنصور الفاطمي تميز بحسن سياسة التدبير حيث أسقط الخراج عن الفلاحين حتّى صلحت الفلاحة وتحسّنت الأحوال[4]، إلاّ أنّ القاضي النّعمان أشاد إلى صرامة المعزّ لدين الله الفاطمي اتجاه العمّال الفاسدين ومنها عزله لعامل الزاب بسبب تعسفه في الجباية[5]، كما عمل على إقامة منشئات مائية لسقي المزارع[6] .

كما ساهمت الدولة الحمّادية في تطور الفلاحة ورقيها، حيث انتهجت سياسة زراعية ناجحة حققت نهضة فلاحيّة بفضل سياسة أمرائها وفي مقدّمتهم حمّاد بن بلكين بتشجيعه على الإعمار والإصلاح وإحياء الأراضي الموات وإنجاز المنشئات المائية خدمة للفلاحة، كما حرّض الناس على الاستقرار وممارسة الزراعة[7]، وعلى العموم فإنّ الحماديين أولوا عناية كبيرة بالفلاحة، لما لها علاقة باستقرار الحكم والرعية، كما ركزوا على تطويرها فعرفت بذلك البلاد ازدهارا زراعيًّا كبيرًا[8] .

---

1) داود الأعرج ، تطور الفلاحة... ، مرجع سابق ، ص. 144 .

2) ابن حماد ، مصدر سابق ، ص. 46 .

3) نفسه، ص ـ ص. 66 ـ 67 .

4) الدباغ ، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** ، تع : أبو الفضل التنوخي ، تص وتع ، إبراهيم شبوح ، مكتبة الخامجي ، ط.2 ، مصر ، 1968 ، ج.3 ، ص. 157 .

5) القاضي النعمان ، **المجالس والمسايرات** ، تح : الحبيب الفقي وآخرون ، دار المنتظر ، بيروت ، 1996 ، ص. 492.

6) نفسه ، ص ، ص. 469 ، 470 ، 472 .

7) داود الأعرج ، تطور الفلاحة... ، مرجع سابق ، ص. 103 .

8) نفسه ، ص. 105 .

2-**العوامل السلبية :**

2 – 1الطبيعية :

تعرضت بلاد الزاب للعديد من الأزمات الطبيعية من بينها الفيضانات، البرد، الثّلج، القحط والجفاف، الرياح ومختلف الأوبئة والمجاعات، الجراد، وقد كان هذا الأخير أشدّ فتكًا بالفلاحة وقد أطنب القاضي النّعمان خطره على كامل بلاد المغرب فقال عنه : « **حلّ الجراد وانتشر في البلدان وأقام به وبوّخ فيها...وقد قحط المطر وأجدبت الأرض وتغيّر الزّرع وذبل وأشفى على الهلكة...**»[1]، وقد أشار الدّينوري إلى خطورة الجراد فذكر أنّ لعابه كالسّم إذا سقط عن شيء من شجر أو زرع أو ثمار أحرقه[2] .

وقد ذكر علاوة عمارة أزمات من القحط والجفاف والمجاعات متفاوتة السّنوات من نهاية القرن (5هـ -11م) إلى نهاية القرن (6هـ - 12م)، وقد أثارت العديد من الأزمات الاقتصادية ، فالفترة **الأولى** من (395هـ - 1005 م) إلى (413هـ-1022م)، و**الثانية** من (425هـ - 1034م) إلى (434هـ -1043م)، أمّا **الثالثة** فمن (482هـ - 1089م) إلى(484هـ - 1091م)، لتنتهي الفترة **الرابعة** التي امتدّت من (491هـ - 1098م) إلى (512هـ - 1118م)[3]، وقد سبّبت الفيضانات هي الأخرى في التدمير والإتلاف فذكر الدّباغ أنّ : «... **الحرث في الأراضي الّتي تأتي إليها الوديان فغير مأمونة، فإن جاء زرعها في عام طيب يبقى أعواما لا يجيء فيها الزّرع طيبا في الأعمّ الأغلب بفقد الحارث فيها ، وقد**

1) القاضي النعمان ، مصدر سابق ، ص. 470 .

2) الدينوري ، **كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1984 ، ج 1 ، ص 614 .

3) Allaoua (Ammara) , Retour à la problématique du déclin économique de monde musulman médival le cas du agrebhammadide 11- 12 siècles , the magrebreviewprintrd on long life paper , vol 281 2003 pp9 11 .

خسر دنانير كثيرة بسبب الحرث فيها مرارا »[1]، والغالب أنّ معظم مدن الزاب كانت تحتوي على أنهار وأودية حسب ما أوردته المصادر مثل نهر سهر بالمسيلة ونهر بيطام بطبنة ونهر بسكرة، وربّما كانت هذه الأنهار في موسم الأمطار يزداد منسوب مياهها وتتسبب في فيضانات، وبالتّالي تتلف الزّرع والضّرع كما عان المغرب الأوسط من تعاقب الأوبئة خلال السنوات (307هـ) و (373هـ)[2] .

وفي سنة (571هـ) انتقل الطّاعون من المغرب الأقصى إلى المغرب الأوسط وانتشر في الحواضر والبوادي ما تسبب في موت الكثير من المزارعين والرّعاة وهجرة بعضهم لمناطق لم يصلها الوباء، قد أثّر على الفلاحة بشكل عام[3]، كما ضربت الزلازل البلاد وأدّت هي الأخرى إلى التدمير وخلق مشاكل في الفلاحة، ففي سنة (245هـ) ضرب زلزال خلف دمارا شمل المنشئات المائية من بينها القناطير والجسور[4]، وفي سنة (504هـ) وقعت زلازل عظيمة دامت شهر شوّال كاملاً[5]، كما شكلت الوحوش بما فيها الخنازير والطيور والفئران على الفلاحة بشكل عام[6]، كما أن الثعابين ألحقت الفساد بالمحاصيل الزراعية، إلى جانب العقارب الّتي كانت تنتشر في أنحاء كثيرة بالإقليم والتي كان من أخطرها العقارب السوداء التي كانت تنتشر في قلعة بني حماد وضواحيها[7] .

---

1) الدباغ ، مصدر سابق ، ج.1 ، ص ـ ص. 232 ـ 233 .

2) مؤلف مجهول ، **تاريخ الأندلس** ، تح : عبد القادر بوباية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،2007 ، ص ، ص. 203، 222 .

3) الحسين أبو لقطيب ، **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين** ، منشورات الزمن ، الرباط ، ص. 53 .

4) ابن الجوزي أبو الفتوح ، **مختصر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، تح : أحمد جمعة ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 2011 ، ص. 235 .

5) ابن عذاري المراكشي ، مصدر سابق ، ص. 305 .

6) الفرسطائي ، مصدر سابق ، ج. 4 ، ص. 271 .

7) الإدريسي ، نزهة المشتاق...، مصدر سابق ، ص ، ص. 255 ، 259 .

1 – 2 البشرية :

لم تكن العوائق الطبيعية وحدها التي واجهت مصير الفلاحة بالبلاد بل كان للعنصر البشري دور كبير جدًّا في تراجعها، فكانت الحروب والنزاعات قد عصفت بها، ولعلّ أبرزها الخراب الّذي تسبّبت به ملكة جبل الأوراس حينما واجهت حسّان فألحقت الخراب بمدينة باغاية[1]، وثورة صاحب الحمار ضدّ العبيديين في جبل الأوراس التي خلّفت دمارا وخسائر بشرية ومادية من بينها إتلاف المحاصيل الزراعية[2]، كما تعرّضت مدينة ميلة للتخريب ما أدّى إلى نفي سكّانها إلى مدينة باغاية سنة (378هـ) على يد العامل الزّيري أبي الفتح المنصور يوسف بن أبي محمد[3]، ثم خرّب مدينة طبنة ورحل إلى باغاية وألحق فيها الفساد وعبث ثم وصل إلى المسيلة وبلزمة[4] ، كما ألحق حمّاد بن بلكين دمارًا في المسيلة سنة (406هـ) خلف ضررًا في الأبنية والبيوت والزروع[5] .

كما لعبت الهجرات الهلاليّة دورًا هامًّا في إلحاق الدّمار الفلاحي بالمنطقة، حيث تسبّبت في وقوع السلب والنهب ومثال على ذلك إتلاف وتخريب المزارع والبساتين المنتشرة بنواحي القلعة، طبنة، المسيلة[6]، وقد أدّى هذا إلى وقف الحرث وتسبب في خراب الفلاحة[7]، واضطر السكان للخضوع لهم ودفع الضرائب والصدقات وجزء من محاصيلهم الزّراعية، وقد

---

1) المالكي ، مصدر سابق ، ص ، ص. 50 ، 53 .

2) القاضي النعمان ، مصدر سابق ، ص ـ ص. 335 ـ 336 .

3) ابن عذاري المراكشي ، مصدر سابق ، ج.1، ص ـ ص. 243 ـ 244 .

4) نفسه ، ص ، ص. 250 ، 252 .

5) نفسه ، ص. 286 .

6) محمد الطمار ، مرجع سابق ، ص ـ ص. 108 ـ 109 .

7) عز الدين عمر موسى ، **دراسات المغرب الإسلامي** ، دار الشروق ، بيروت ، 1983 ، ص. 114.

ذكر البكري خلال حديثه عن مدينة سطيف قائلا : «...**غلبتهم عليها للعرب، وكانوا يعشرونهم إذا دخلوها...** »[1]، كما فرضوا الجباية على المناطق التي استولوا عليها ومنعوا السكان من الحركة والتنقل إلاّ بإذنهم وتحت مراقبتهم، مثلما كان الحال في ضواحي جبل الأوراس كحصن بادس،وهو ما أدّى إلى ضرر مناطق عدّة منها: دار ملول ، ميلة ، باغاي، بالتالي اضطرّ السكان لاشتراكهم في الحرث والإنتاج[2] .

ولم تكن الحروب والقلائل وحدها المسببة في التراجع الفلاحي ، بل لعبت سياسة الدولة دورًا بالغًا، وفي هذا السياق يذكر صاحب المقدمة : «...**أنّ الجباية أوّل الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة وآخر الدولة تكون كثيرة الوزائع قليلة الجملة ، والسبّب في ذلك أنّ الدولة إن كانت على سنن الدّين فليست تقتضي إلاّ مغارم شرعية من الصّدقات والخراج والجزية وهي قليلة ...فيكثرون الوزائع حينئذ على الرّعايا...ويزيدون في كلّ وظيفة وزيعة لتكثر لهم الجباية...**»[3]، وقد فرضت العديد من الضّرائب على البلاد وذلك راجع لتعاقب الدّول على حكمها، فعلى سبيل المثال النظام الجبائي الفاطمي الّذي كان صارما في جمع الأموال ممّا انعكس سلبا على المجال الزراعي والرعوي[4]، فمدينة طبنة فُرِضَتْ عليها الكثير من الصّدقات والخراج[5]، وفي عهد الدولة الحمّادية أثّر الصراع الزّيري الحمّادي على أوضاع الفلاحة فكثرت التمردات وتراجعت الجبايات ممّا اضطرّ حمّاد إلى عهد صلح مع القبائل

---

1) البكري ، المغرب...، مصدر سابق ، ص. 76 .

2) الإدريسي، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص ، ص. 177 ، 263 ، 265 .

3) ابن خلدون ، **المقدمة** ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس ، خليل شحادة ، مر : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 2001 ، ص ـ ص. 344 ـ 345 .

4) داود الأعرج ، سياسة الدولة الزراعية... ، مرجع سابق ، ص. 124 .

5) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 85 .

واستصلاح الأراضي من جديد[1]، وعلى الرّغم من ذلك فنظام الجباية عند الحمّاديين كان أقلّ حدّة من النظام الفاطمي المتعسّف .

ـ ثانيا : النشاط الزراعي

لقد كانت للمقومات السالف ذكرها أثر واضح على مختلف الأنشطة التي عرفتها المنطقة، لاسيما النشاط الزراعي، الّذي كان يعتمد على أساليب وخصائص نوردها كالآتي :

1-عناصر العمل الزراعي :

1-1وسائل خدمة الأرض : تعدّدت وسائل خدمة الأراضي الزراعية وذلك لضمان محصول جيّد ووفير وهي :

1- **الأرض :** عرفت منطقة المغرب بما فيها الزاب أنواعا مختلفة من الأراضي سواء كانت أراضي خراج ، عشر، إقطاع ، ملك، وقف، موات، أو أراضي مشاعة، هذه الأخيرة التي شكّلت النّسبة الكبيرة في الأراضي[2]، خاصة في المغرب الأوسط، كما قسمت الأرض المخصصة للزراعة إلى ثلاثة أنواع وهي : البور[3]، القليب[4]، المعمور[1] .

1) النويري ، مصدر سابق ، ج. 24 ، ص. 114 .

2) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص ـ ص. 14 ـ 15 .

3) الأرض التي لم يسبق استغلالها ، فهي أراضي صعبة تحتاج إلى عمل كبير وعناية خاصة فهي في ذاتها طيبة ولا تصلح حتى تحرث بالقليب أو التزبيل (للمزيد أنظر : ابن بصال ، مصدر سابق ، ص. 75) .

4) الأرض التي تحرث ويرد أعلاها أسفلها مدة بعد مدة (للمزيد أنظر : ابن بصال ، مصدر سابق ، ص. 56) .

2- المحراث : يستعمل لتقليب الأرض وحرثها ويتكون من أجزاء خشبيّة وأخرى حديدية وهي السكّة ، وإلى جانب المحراث يحتاج المزارع إلى أداة الحرث أو ما يسمى بالماعون ؛ وتتكون من عناصر عدّة من بينها المضمد على الزوج ، والقرن بالحبال والرّسن والقتب والشّكال[2]، كما توجد محاريث ليس بها سكّة تستعمل في التربة الخفيفة خاصة في منطقة الأوراس[3] .

3- الزّوج أو الدّواب : عادة تكون من البقر سواء في شمال البلاد أو جنوبها، تستعمل للحرث وكذلك لجرف الأرض بها[4] .

4- الزّريعة : ويقصد بها الحبوب والقطّاني والفواكه وذكرت أحيانا باللسان الدّارجي وسميت الزّرارع والزّراريع وتستعمل عدة مكاييل لوزنها منها : الويب ، والقفيز ، السّمينة وغيرها ، وقد يتولىّ البذر عامل آخر غير الذي يتولى الحرث[5] ، كما كان الفلاحون ببلاد المغرب يختارون أجود أنواع البذور ويزرعونها ويتركون رديئها[6]، لأنّها تتحكم بشكل كبير فيتنوع

---

1) الأراضي التي حصد ما عليها وبقت فيها بقايا ذلك وهي أفضل من البور ، إلا أنها لا تبلغ جودة البور الذي يعتبر أكثر ملائمة للزراعة ، (للمزيد أنظر : كمال السيد أبو مصطفى ، **تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر المرابطين و الموحدين**، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر ، (د . س) ، ص. 98) .

2) الفرسطائي ، مصدر سابق ، ص ، ص. 439، 445، 447 .

3) غابريال كامبس ، **في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ** ، تح : العربي عبون ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ، 2009 ، ص. 108 .

4) يوسف النكادي ، **أساليب الزراعة والغراسة والتناوب بين الاستغلال والاستراحة في الأندلس خلال القرن الخامس هجري** ، ضمن كتاب الفلاحة والتقنيات الفلاحية في العلم الإسلامي في العصر الوسيط ، إشراف : حسن حافظي علوي ، منشورات عكاظ ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2011 ، ص. 247 .

5) محمد حسن ، **أصناف الإنتاج الزراعي في إفريقية من القرن (6هـ ــ 12م إلى القرن 9هـ ــ 15م)** ، ضمن كتاب الفلاحة والتقنيات الفلاحية في العلم الإسلامي في العصر الوسيط ، إشراف : حسن الحافظي علي ، منشورات عكاض ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2011، ص. 269 .

6) الونشريسي ، مصدر سابق ، ج.6 ، ص ـ ص. 56 ـ 57 .

المحصول ووفرته، وقد شدد أصحاب المعرفة الفلاحية على ضرورة تخييرها ولا يهدر الفلاح جهده وماله في زراعة بذور رديئة[1] .

5- **العمّال :** منهم الفلاح والأجير والرّقيق والخمّاسين والمالك العقاري وكذلك المرأة والرجل على حدّ سواء يشتركون في العمل[2]، ونجد ما أورده الفرسطائي في هذا الصّدد قائلا : « **وإن أذن الرّجل أن يحرث أرضه جائزله أن يحرثها بنفسه أو بعبيده وأجيره وكلّ من استعان به من النّاس** »[3] .

6 – تقليب الأرض : تسمّى في بلاد المغرب بالميّالي، وقد يكون ذلك لمرات عديدة، وبآلات مختلفة، فعادة ما يقع تحاشي زراعة الأرض لصلابتها، أو تلك التي لم ينبت فيها شيء أو يغلبها ماء[4] .

7- التّنقية : يعمل صاحب الأرض على تنقيتها من الحطب والحجارة وما يهدر بالحرث ويسوّيها للحرث ويصلح مساقيها، ويكون حرثه بآلة أو بآلتين وله أن يقيم سياج وزرب عليها لحمايتها[5] .

8- إصلاحها بالسماد : لخصها الفرسطائي بقوله : « **يجعل في تلك الأرض ما يصلحها للحرث مثل السّماد، ويحتاج ذلك إلى دواب لنقل السّماد وما تعالج به الأرض** »[6] .

9 – تهيئة السّواقي : يكون قبل نزول المطر، الذي يعدّ بداية موسم الحرث والزرع ، كما يسبق الحرث في حالات أخرى إصلاح المساقي ورفع الجسور أو كنس الآبار والعيون[7] .

---

1) الفرسطائي ، المصدر السابق، ص ـ ص. 429 ـ 430 .

2) محمد حسن ، المرجع السابق ، ص. 269 .

3) الفرسطائي ، مصدر سابق ، ص.409 .

4) محمد حسن ، مرجع سابق ، ص ـ ص. 269 ـ 270 .

5) الفرسطائي ، مصدر سابق ، ص. 409 .

6) نفسه ، ص. 336 .

7) محمد حسن ، المرجع السابق ، ص. 270 .

10- إراحة الأرض : ويكون ذلك بزرعها عام وتركها للراحة العام الذي يليه أو بحرث أقسام منها وترك أقسام أخرى لتستريح، وعادة ما يقع تحاشي حرث مواضع المنحدرات وكذلك الجسور والمواضع الوّعرة غير المحروثة من قبل، والغاية من ذلك الحفاظ على جودتها وجعلها ذات محصول جيّد ووفير، لتكون أيضا مراعي للمواشي وما تخلفه هذه الأخيرة من فضلات هي عبارة عن سماد يساعد على جودتها[1] .

2-1 طرق وتقنيات الغرس : تنقسم عملية غرس الأشجار إلى ثلاثة أنواع رئيسية نذكرها:

1-غرس النّوامي[2] :

يعتبر النوع الأسهل لأنّه لا يكلف الفلاح في الغالب جهدًا ولا مالاً لتوفر الفسيلة أمامه، بحيث يعتمد على الأغصان الثابتة في أصول بعض الأشجار أو على مقربة منه ، وقد عدّه البعض أفضل طرق الغرس[3]، وتتمّ هذه العملية بإمالة غصن أو أكثر من الفروع لا من الأصول، وطمره بالتراب حتى يصير له أصول ثم ينقل[4]، ينجح هذا النوع من الغرس في بعض أنواع الشجر كالنخيل ، التفاح، التين، اللوز[5] .

2 - غرس العيدان :

1) محمد حسن ، مرجع سابق ، ص. 270 .

2) القضب التي تنبت في أصول الأشجار أو بمقربة منها، وتسمى أيضا اللواحق واللقاح ، ويسمى النابت في أصول النخل ، (للمزيد أنظر : ابن العوام ، **الفلاحة الأندلسية** ، تح : أنور أبو سليم وآخرون ، مطبعة الجامعة الأردنية ، عمان ، 2012 ، ج.1 ، ص. 627) .

3) قسطوس ، مصدر سابق ، ص. 170 .

4) النابلسي ، **كتاب علم الملاحة في علم الفلاحة** ، تع : يحي مراد ، (د . ب) ، (د . س)، ص. 28 .

5) قسطوس ، المصدر السابق ، ص .173 .

تبدأ هذه العملية بقطع الغصن من الشجرة المختارة باستخدام منجل حادّا أو باليد شرط عدم أذيّة الشجرة الأم[1]، والأفضل أن يقطع الغصن من جهة الشرق أو الجنوب[2]، وتستعمل هذه الطريقة في بعض أنواع الخضر والفواكه مثل : الزيتون والذي يستحسن أن يكون ملستًا ، مستويًا ، معتدلاً[3]، إضافة إلى التوت، الرومان ، العنب ، البندق[4] .

3– الغرس عن طريق النّوى :

يتم إمّا بإلقائها في الأرض المراد الغرس فيها مباشرة وهي قليلة الاستعمال وذلك راجع لبعد الفلاح عن الأرض ما يصعب عليه حماية الفسائل الصّغيرة ويعاينها بعد نموّها، وإمّا غرسها مؤقتا في أماكن يسهل فيها رعايتها، ليتمّ نقلها بعد أن يشتدّ عودها وترتفع عن الأرض لأيّ موضع شاء[5]، ويمكن لمن خاف عدم نباتها غرس اثنان من النّوى في كلّ حفرة، « **فإن خاب أحدهما لم يخب الآخر** »[6] .

1–3أساليب السّقاية :

1) أبي الخير الأندلسي ، كتاب الفلاحة ، المطبعة الجديدة ، فاس ، 1931 ، ص. 21 .

2) النابلسي ، المصدر السابق ، ص. 28 .

3) قسطوس ، المصدر السابق ، ص. 215 .

4) النابلسي ، المصدر السابق ، ص. 28 .

5) النابلسي ، مصدر سابق ، ص ـ ص. 27 ـ 28 .

6) ابن العوام ، مصدر سابق ، ج.1 ، ص. 647 .

كانت المزروعات تروى إمّا سيحا أو بواسطة الآلات الرافعة، وتخبرنا المصادر مسميات عدّة للآلات السّقي بعضها مترادف كالدّلو والسّانية والنّاص، وأكثرها شيوعا النّواعير والدّواليب والشّواديف[1] ، ومن الأساليب الأكثر شيوعا في المغرب نذكر :

– **الدّالية** : هي السّانية ذات الّتي تدور عليها الدّلاء[2]، وهي دولاب يشغله الرجال وهي على ثلاثة أنواع حسب طول وحجم دولابها وهي الفارسية والكوفية والمحدثة[3]، وكان سوق كران[4]؛ وهو حصن أزلي له مزارع وسوان[5] .

– **الدّلاة** : الدّالية دلا الدّلو معروفة واحدة الدّلاء التي يسقى بها، يقال أدليت الدّلو ودلينها إذا أرسلناها إلى البئر، وقيل أدلاها ليسقي بها[6]، والدّلاة هي الدّلو الصغيرة[7]، وكان الماء يرفع من البئر بواسطة الدّلاء المصنوعة من الجلد وتربط بالحبل ثم تدلى إلى البئر وإذا امتلئ رفع، وفي هذه الحالة يستعان بالبكرة[8] .

– **الدّولاب** : هي الآلة التي تديرها الدابة ليستقى بها[9]، وهي عجلة أصغر من النّاعورة تعمل بحيوان واحد، ويمكن أن تروي سبعين جريبا من غلاة الشتوية أو ثلاثين جريبا من غلاة

---

1) عبد العزيز الدوري ، **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري** ، مركز الدراسات للوحدة العربية ، العراق ، 1948 ، ص. 72 .

2) القاضي النعان ، **دعائم الإسلام** ، تح : آصف علي فيضي ، دار المعارف ، الإسكندرية ، 2003 ، ص. 265 .

3) عبد العزيز الدوري ، المرجع السابق ، ص. 73 .

4) تسمى كرام هي مدينة قرب أشير تبعدها بمرحلتين ، (للمزيد انظر : محمد بن عميرة ، مرجع سابق ، ص. 225) .

5) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 89 .

6) ابن منظور ، مصدر سابق ، مج.2 ، ص. 1417 .

7) المعجم الوسيط ، مرجع السابق ، ص. 295 .

8) سليم الحاج سعد وبن موسى محمد ، مرجع سابق ، ص.107 .

9) المعجم الوسيط ، المرجع السابق ، ص. 305 .

الصيف[1]، وقد ذكر البكري أنّها استعملت بالمهدية لنقل الماء من الصّهاريج إلى القصر، ومن المرجّح وجودها في حواضر المغرب[2] .

-**النّاعورة** : أكبر من الدّولاب وهي عجلة أو دولاب مثبّت على قضيب يرتكز على قائمتين[3]، والنّاعور دولاب يديره تيار النهر ويحمل النّاعور كيزان لرفع الماء، ويمكن أن تروي النّاعورة 400 جريب من غلاة الشتاء أو 80 جريبا من غلاة الصّيف، وكان هذا النوع من وسائل الريّ موجود في المغرب الأوسط في الفترة قيد الدراسة[4] .

– **الشّادوف** : أداة لريّ الأرض وهي كلمة مصريّة قديمة، ويقولون شدف بمعنى يسقى بها[5].

– **الجرّة** : إناء من خزف كالفخار وجمعها جرٌ وجرار[6]، وتوضع الجرّة على كتفي الرجل بواسطة عصا من طرفيها حبلان في كلّ منهما جرّة لري الحقول والبساتين [7]، وقد نشر " رشيد بوريبة " صورة لجرّة عثر عليها في قلعة بني حماد[8] .

1-4 المحاصيل الزراعية :

تتّفق جميع مصادر التاريخ الإسلامي «...أنّ آدم لما هبط من الجنّة أخرج منها ومعه صرة من الحنطة وثلاثون قضيبا من شجرات الجنّة مُودعة أصناف الثّمار منها عشرة مما له

1) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 63 .

2) سليم الحاج سعد وبن موسى محمد ، المرجع السابق ، ص. 106 .

3) أسامة الطيب جعيل ، مرجع سابق ، ص. 221 .

4) سليم الحاج سعد وبن موسى محمد ، المرجع السابق ، ص. 106 .

5) المعجم الوسيط ، المرجع السابق ، ص.476 .

6) ابن منظور ، مصدر سابق ، مج.1 ، ص. 595 ، أنظر أيضا ، المعجم الوسيط ، مرجع سابق ، ص. 115 .

7) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 63 .

8) رشيد بوريبة ، مرجع سابق ، ص. 281 .

قشر نذكر منها : الجوز واللّوز والجلوز[1]...والخشخاش[2] والشّاه بلوط والرّانج[3]...ومنها ذات النّوى: الخوخ...والغيبراء[4] والنبق...والمقل[5] " والشاهلوج " الإجاص ، ومنها مما لاقشر لها وحجاب دون طعمها ولا نوى داخلها وهيا التفاح... والكمثرى والتين...، والأرنج والقثاء[6]...»[7] .

لقد ازدهرت الزّراعة في بلاد المغرب بصفة عامّة وفي إقليم الزاب بصفة خاصّة بفضل تنوّع المناخ و خصوبة الأراضي ووفرة المياه الذي كان له أثره الواضح في تنوّع المحاصيل والثّمار وقد أشار المؤرّخون والجغرافيّون إلى الأهميّة البالغة الّتي حظي بها الإقليم في ميدان الزّراعة وتربية الماشية[8] ، كما أوردت هذه المصادر أصناف المنتجات الفلاحية ببلاد الزاب

---

1) من جنس الشجر العظام ، وهو معروف، ورقه كورق التوت البستاني...وهي لينة جدا ، (للمزيد أنظر : أبي الخير الاشبيلي ، **عمدة الطبيب في معرفة النبات** ، تح : محمد العربي الخطابي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1995 ، ص. 136) .

2) أنواع كثيرة ، ومنه البستاني والبري ، وسبب تسميته هذه من أجل صوت الخشخشة التي يصدرها والشبيهة بصوت السلاح ، (للمزيد أنظر : أبي الخير الاشبيلي ، المصدر السابق ، ص. 217) .

3) النارجيل وهو جوز الهند ، (للمزيد انظر : كوكب دياب ، **المعجم المفصل في الأشجار والنباتات في لسان العرب** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،2001 ، ص. 101) .

4) نبات سهلي ، وقيل الغبراء شجرته والغبيراء ثمرته سميت غُبيراء للون ورقها وثمرتها إذا بدأت تحمر حمرة شديدة ، (للمزيد أنظر : كوكب دياب ، المرجع نفسه ، ص. 187) .

5) المُقل هو الثمر المعروف ، حمل الدوم، وحدته مقلة، والدوم شجرة تشبه النخلة في حالاتها ، (للمزيد أنظر : أبي الخير الاشبيلي ، مصدر سابق ، ص. 240) .

6) القثّاء وهو الخيار، (للمزيد انظر : كوكب دياب ، المصدر السابق ، ص.305) .

7) المسعودي **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، مر: كمال حسن ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2005 ،ج.1 ، ص. 28.

8) البكري ، المسالك ... ، مصدر سابق ، ص. 62 .

وخصّت كل مدينة بما تشتهر من مزروعات وعليه يمكن تصنيف هذا الإنتاج وفق نوعيّة المحاصيل ومناطق الّتي تشتهر بزراعتها[1] وهي كالآتي :

– الحبوب :

تشكّل الحبوب وخاصّة منها القمح والشعير الإنتاج الوفير في إقليم الزاب، فاشتهرت مدينة باغاي بكثرة غلاّتها وخصوصا الحنطة والشعير[2]، ومدينة طبنة هي الأخرى اشتهرت بزراعة الحنطة والشعير[3]، وكانت بادس تزرع القمح مرّتين في السنة[4]، كما كان سكّان مدينة مقرة يزرعون الحبوب[5]، ونقاوس هي الأخرى عرفت بزراعة الحبوب[6]، ومن غلات مدينة المسيلة الحنطة والشعير[7]، كما اهتمّ الحمّاديون بفلاحة القمح بالأخص نواحي القلعة وباغاية وطبنة وبنطيوس[8]، فكانت الحبوب وافرة، وقال عنها الإدريسي أنّها بلاد زرع وخصب وأضاف إلى ذلك أنّ الحنطة تختزن بها فتبقى العام والعامين ولا يدخلها الفساد ولا يعتريها تغيي، وأكدّ لوسيان قولفين كلام الإدريسي أثناء قيامه بحفريّات في القلعة على مطامير كثيرة محفورة في حصن دار قربية من حصن السلام[9] .

---

1) **للمزيد أنظر للملحق، رقم (05) ، ص. 195** .

2) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 84 .

3) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص. 265 .

4) الاستبصار ، مصدر سابق ، ص. 175 ، أنظر أيضا ، الحميري ، مصدر سابق ، ص. 75 ، أنظر أيضا ، البكري ، المسالك... ، المصدر السابق ، ص. 74 .

5) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ص. 263 .

6) إسماعيل العربي، **قلعة بني حماد ملوك القلعة وبجاية** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 ، ص. 23.

7) الاستبصار ، مصدر سابق ، ص. 85 .

8) رشيد بورويبة ، مرجع سابق ، ص. 129 .

9) نفسه، ص. 130 .

– البقول :

أخبرتنا المصادر الجغرافية أنّ البقول كانت متواجدة حول المدن ولكنّها لم تذكر أسماء الأنواع المزروعة[1]، فطبنة كانت تزرع جميع الحبوب فيها[2]، وكثيرة الزروع[3] .

ـ الأشجار المثمرة :

– أشجار النخيل : توفرت التمور في إقليم الزاب فلا يكاد يخلو وجوده من أيّ مدينة، فطولقة كانت كثيرة بساتين النخيل[4]، واشتهرت بمزارعها[5]، وبسكرة بلد التمور[6] لها غابة كثيرة من النخل وأكثر تمر بها الجنس المعروف بالكسبا ونوع آخر يسمىّ الليلري وهو أبيض كان مذاقه حسن[7]، وبنطيوس كثيرة الثمار والنّخيل والزرع[8]، وتهودا كثيرة البساتين والزرع والنخل وجميع الثمار[9] وفي المسيلة بساتين كثيرة من النّخيل[10]، وتعرب في بسكرة النّخيل، قال أحمد بن محمد المازوني في مدحها :

---

1) نفسه ، ص .131 .

2) الاستبصار ، مصدر سابق ، ص. 85 .

3) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، المصدر السابق ، ص. 263 .

4) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 72 .

5) الحميري ، مصدر سابق ، ص ـ ص. 400 ـ 401 .

6) الحميري، مصدر سابق، ص. 230 ، أنظر أيضا ، حسن الوزان ، مصدر سابق ،ج2، ص. 138 .

7) الاستبصار ، مصدر سابق ، ص 173 ، أنظر أيضا ، النميري ، مصدر سابق ، ص. 440 .

8) البكري ، المغرب...، مصدر سابق ، ص. 72 .

9) الاستبصار ، مصدر سابق ، ص. 175 .

10) نفسه ، ص. 168 .

ثم أتى ببسكرة النّخيل قد اغتدى في زُيّه الجميل[1]

– **أشجار الزيتون** : تواجدت أشجار الزّيتون في الإقليم منذ عهد الرومان الذين عملوا على تفريغ الأراضي من القطعان وتشجيرها بما يلاءم المناخ من الأشجار المثمرة وعلى رأسها الزيتون[2]، فبسكرة كانت كثيرة النخل والزيتون[3]، وآذنة لها قرية يكسم زيتها من أطيب الزيوت[4] ، وطولقة كثيرة البساتين بالزيتون[5].

– **أشجار الجوز واللّوز** : لقد كانت نقاوس معروفة بكثرة لوزها وجوزها اللّذان يحملان إلى قلعة بني حمّاد وبجاية[6]، كما كانت سطيف تزرع الجوز[7].

– **الكروم** : ذكرت كتب المصادر أنّ مدن إقليم الزاب كانت كثيرة الكروم ، فالمسيلة كانت فيها كروم وأجنّة تزيد على كفايتهم وحاجاتهم[8]، وطولقة كثيرة الأعناب[9]، كما اشتهرت نقاوس بزراعة الكروم[10] .

– **التين والرمان والسفرجل** : توفرت في بسكرة ثمار التين والرمان[1]، وتين نقاوس يعدّ الأجود، ويحمل إلى قسنطينة[2]، وفي المسيلة السّفرجل المعنّق ويحمل إلى القيروان[3]، وميلة كثيرة الفواكه من بينها السّفرجل[4] .

---

1) البكري ، المغرب...، المصدر السابق ، ص. 52 .

2) محمد البشير الشنيتي ، **أضواء على تاريخ الجزائر القديم** ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2003 ، ص. 109 .

3) الاستبصار ، المصدر السابق ، ص. 173 .

4) أسامة الطيب جعيل ، مرجع سابق ، ص. 221 .

5) الحميري ، مصدر سابق ، ص ص. 400 ـ 401 .

6) الاستبصار ، المصدر السابق ، ص. 172 ، أنظر أيضا ، الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص. 264 ، انظر أيضا، البكري ، المغرب... ، المصدر السابق ، ص. 230 .

7) رشيد بوروبية ، مرجع سابق ، ص. 133 .

8) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 85 .

9) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص 72 ، أنظر أيضا ، الحميري ، مصدر سابق ، ص ـ ص.400 ـ 401.

10) صالح يوسف بن قربة ، **تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر** الاسلامي ـ دراسة تاريخية وأثرية ـ ، منشورات الحضارة ، بئر التوتة ، الجزائر ، 2009 ، ص. 250 .

– **القطن والكتان** : من بين المحاصيل التي تمّ إنتاجها في عدد من مدن الزاب وبكميات كبيرة[5]، تواجد القطن والكتان في طبنة[6]، وأهل مقرة يزرعون الكتان[7]، ومن غلات المسيلة القطن[8]، وبها مزارع كثيرة تنتجه[9].

– **النباتات الطبية** : من النباتات الطبية التي كانت تنمو في كافة جبال وغابات وأحراش المغرب بما فيها البلاد الزابية والتي كان العشابون يجمعونها ويبيعونها في الأسواق لمن أراد التداوي بها، هناك نبات ينبت بناحية القلعة يشربه أهلها لتحصنوا من ضرر العقارب[10]، يسمىّ الفوليون الحرائي على حسب تسمية الإدريسي فذكر في هذا الصّدد :«...**وبهذه المدينة أيّ القلعة عقارب كثيرة سود تقتل في الحال وأهل القلعة يتحرّزون منها ويحصّنون من ضررها ويشربون لها نبات الفوليون الحرائي ويزعمون أنّه ينفع شرب درهمين منه لعام كامل فلا يصيب شاربها بشيء من ألم تلك العقارب وهذا عندهم مشهور وقد اخبر بذلك من يوثق به في وقتنا هذا وحكا عن هذه الحشيشة أنّه شربها وقد لبسته العقرب فسكن الوجع مسرعا ثم انّه لبسته العقارب في سائر العام ثلاث مرّات فما وجد لذلك اللسب ألما وهذا النّبات ببلدة القلعة كثير** »[11] .

---

1) النميري ، مصدر سابق ، ص. 440 .

2) حسن الوزان ، مصدر سابق ، ص. 53 .

3) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص. 85 .

4) الحميري ، المصدر السابق ، ص. 569 .

5) خديجة بورملة ، مرجع سابق ، ص. 94 .

6) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85 ، أنظر أيضا ، الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص. 263 .

7) نفسه.

8) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 85 .

9) الحميري ، المصدر السابق ، ص. 558 .

10) رشيد بوروبية ، مرجع سابق ، ص. 133 .

11) الإدريسي ، **وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، اعتنى بتصحيحه ونشره ، هنري بيريس ، الجزائر، 1957 ، ص. 56 .

ثالثا : الثروة الحيوانية والسمكية :

1-1 الثروة الحيوانية وتوزيعها في إقليم الزاب :

جاء في القرآن الكريم في هذا الصّدد قوله تعالى: ﴿ **وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ** ﴾[1]، كما تجدر الإشارة إلى أنّ المصادر التي اطّلعنا عليها خاصة الجغرافية قد قدمت لنا بعض الإشارات عن وفرة الثروة الحيوانية في الزاب بشكل عام دون تفصيل في مواضع وبشكل مفصل نوعا ما في مواضع أخرى ، لذلك سنحاول في هذا العنصر ذكر ما كان يزخر به إقليم الزاب من ثروة حيوانية، وأيضا التعرف على كل نوع على حدا ، فقد تعدّدت أنواعها واختلف توزيعها بين مناطق الزاب :

1- المواشي : تأتي في طليعة الحيوانات الأكثر اهتماما في المنطقة والمتمثلة في :

1-1 الأغنام : كانت من أشهر الأصناف الحيوانية انتشارا في المغرب الإسلامي عموما بما فيها الزاب، فتعدّ تربية الأغنام أساس الكثير من العمليات الإنتاجية مثل إنتاج اللبن، الصّوف، اللّحم ، و السّمن...[2]، وذلك حسب ما ذكره ابن حوقل حول الانتشار الواسع لهذا الصنف في كل مدن مدينة طبنة والمسيلة[3]، خاصة أنّ هذه الأخيرة موجودة في ساحل من

---

1) سورة النحل ، الآية 05 .

2) عادل بديرة ، **بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط (دراسة الواقع الاقتصادي والاجتماعي وتأثيرها على سلوك والذهنيات من القرن 4 ـ 7هـ إلى 10 ـ 13م)** ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ، تخصص تاريخ وسيط ، إشراف : مفتاح خلفات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، الجزائر، 2017 ـ 2018 ، ص. 67 .

3) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 85 .

الأرض[1] ، ونفس الشيء فقد أورد الإدريسي هذا الصنف أيضا في مدينة المسيلة[2]، كما أنّ أهل المسيلة كانوا على درجة كبيرة من الغنى لأنّ بلادهم طيب كثير الزرع والماشية .

كما ظلّت الأغنام من أكثر المواشي طلبا وتفضيلا خاصّة لسكان الأرياف، لما تحتويه لحومها من فوائد كثيرة ، كما حرصوا أيضا على اختيار الشاه الصالحة للأضحية بما يتلاءم مع هذه المناسبة الدينية، ومن الأدلة الواضحة على أهميّتها أنّ اغتصابها من قبل الأعراب أثار جدلاً كبيرًا عند الفقهاء سواء بشأن بيعها أو بيع لحومها أو دفع الزكاة المستحقة... الخ[3].

2-1 <u>الأبقار:</u> تواجد هذا النوع من المواشي أيضا في المنطقة بالرغم من قلّة عددها مقارنة بالأغنام، فنجد أنّ سكان السّهول هم أكثر ممارسة لتربيتها لأنّها مناطق دائمة الخضرة والعشب، وتكمن أهميّتها في الاستفادة من لحومها وجلودها و ألبانها واستخدامها في أعمال الفلاحة، ومجالات أخرى كالتجارة والحروب، ومن الدّلالات التي تؤكّد على استعمالها في الحروب[4]، تلك الرّواية التّاريخية التي حفظتها لنا المصادر خاصة الإباضية منها حول ثورة مخلد بن كيداد ضدّ الحكم الفاطمي، حيث استخدم هذا الأخير خمسمائة ثور لفكّ الحصار الذي ضرب عليه من طرف الفاطميين في منطقة لأوراس[5]، وهذا العدد ليس بالقليل ما يدلّ

1) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص. 254 .

2) مارمول كربخال ، مرجع سابق ، ج.3 ، ص. 13 .

3) سكينة عميور، مرجع سابق ، ص. 155 .

4) سكينة عيمور ، مرجع سابق ، ص. 155 ـ 156 .

5) أبي زكريا يحي بن أبو بكر، **كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا** ، تح، إسماعيل العربي ، دار الغرب الإسلامي ، ط .2 ، بيروت ، 1982 ، ص. 179 .

على كثرة الأبقار بهذه المناطق، كما كانت طبنة وافرة الماشية من البقر والغنم، وسائر الكراع[1]، وقد كثرت عند أهل المسيلة المواشي من البقر[2].

2- الدّواب : اقتضت الحكمة الإلهية خلق هذا النّوع من الحيوان والإنسان لقوله تعالى : ﴿ **وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَ يَخْلُقُ مَالَا تَعْلَمُونَ** ﴾[3]، حيث يقوم هذا النوع من الحيوانات بأعمال مهمّة منها الحمل والجرّ إضافة إلى المشاركة في كلّ أعمال الفلاحة أهمّها الدّرس، وكذلك زبلها إذا برد ومرّ عليه عام كان جيّدًا لكلّ بقل ضعيف[4]، ومن أنواع هذا الصنف نذكر :

1-1 الخيول : احتلّت مكانة هامّة في حياة مجتمع المغرب الإسلامي عموما، فكانت رمز الهدايا والأعطيات، والفروسيّة والفخر والاعتزاز كما أنّها من الأمور التي لا يمكن الاستغناء عنها في الحروب والسفر...الخ، كما كانت رمزا للقوّة وشرف القبائل وبالتالي تجريدها منها، كانت من الأهداف العسكرية لإذلالها وهزيمتها[5]، ومن الإشارات الدالة على تواجدها في بلاد الزاب أنّ عقبة بن نافع عند حصاره لمدينة باغاية قد أخذ لهم خيلاً لم يرو في مغازيهم أصلب و لا أسرع منهم وكانت من نتاج خيل لأوراس[6]،، كما أهدى جعفر بن حمدون

---

1) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 85 .

2) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق، ص. 254 .

3) سورة النحل ، الآية 08 .

4) نوال بلمداني ، **نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (4 ـ 5هـ/ 10 ـ 11 م)** ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، في التاريخ الوسيط، إشراف : فاطمة بلهواري ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، الجزائر، 2013 ـ 2014 ، ص. 89 .

5) سكينة عميور ، مرجع سابق ، ص. 157 .

6) الرقيق القيرواني ، مصدر سابق ، ص. 110 ، أنظر أيضا ، الحميري ، مصدر السابق ، ص. 77 .

صاحب لمسيلة لإسماعيل بن منصور هديّة منها **25 فرسا ومثلا نجباء**، وقد ظلّت هذه المنطقة مصدرا للخيول المتواجدة بها بكثرة[1] .

كما يمكن استنباط بعض الإشارات من بعض المصادر التاريخية عن تواجد الخيول وإنتاجها، فكان من جملة ما أجراه المعزّ على ابن عمّه حمّاد في إقامته كل يوم ثلاثاء ثلاثون فرسا بسروج الذهب[2]، كما بعث صندل عامل باغاية عام (408هـ ـ 1018م) هديّة إلى المعزّ فيها 335 برذونًا [3] بالسّروج المحلاّت [4]، ولعلّ تصدير المملكة الحمّادية للخيول العربية والبربرية إلى أوروبا دليل على أعداد الخيول الوفيرة التي تتوفر بها المنطقة[5]، كما احتوت مدينة أشير على سوائم الخيل، وذكر ابن عذاري أنّ والي بسكرة بعث بهدية إلى المعزّ بن باديس قوامها أكثر من ثلاثمائة حصان ومائة فرس أنثى[6] .

بالرغم من الآثار السلبيّة التي أحدثها الهلاليون في المغرب الأوسط بما فيها الزاب التي اشتهرت بتربية الحيوانات خاصّة الخيول[7]، وانتخاب الأنواع الأصيلة حتى اشتهرت المنطقة الممتدة من برقة إلى تلمسان بتربية الخيول« **العتاق الحساب المدرية عند الأعراب** » وتأثرت بهم بعض القبائل الزناتية حيث كانت شهرتهم في ركوب الخيل وترويضه مصدر إعجاب من طرف الأندلسيين، فقد ذكر ابن حيّان على لسان الخليفة الأموي المستنصر بالله

1) ابن حماد ، مصدر سابق ، ص ـ ص. 36 ـ 37 .

2) ابن أبي الدينار، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس** ، مطبعة الدولة التونسية ، تونس ، 1282 ، ص. 81 .

3) (برذون) ، نوع من الخيل من غير نتاج العرب ، (للمزيد أنظر: ابن منظور ، مصدر سابق ، مج.1 ، ص. 253) .

4) ابن أبي الدينار، المصدر السابق ، ص. 81 .

5) إسماعيل العربي ، دولة بني حماد... ، مرجع سابق ، ص. 247 .

6) ابن عذاري المراكشي ، مصدر سابق ، ج.1 ، ص. 273 .

7) عبد الحميد خالدي ، مرجع سابق ، ص. 192 .

إعجابه بفرسان بنو برزال وهم يروّضون الخيل ويستعرضونها بما يلي : « **فكأنّما ولدت قيامًا تحتهم و كأنّهم ولدوا على صهواتها** »، كما أعجب أيضا بانقيادها لهم كأنّها تفهم كلامهم[1] .

2-1 <u>الحمير والبغال :</u> كان لهذا النوع من الحيوانات أهميّة بالغة في حياة الإنسان، لاستعمالاتها المختلفة، كالركوب و السفر ونقل الأعمال، لذلك نهى الفقهاء عن أذيّة البهائم والعنف بها كإثقالها بالأعمال وإرهاقها في سرعة المشي بالقرب والزّج، وقد أشار الرّحالة والجغرافيون إلى الحمير والبغال من خلال قولهم سائر الكراع[2] .

أما بالنسبة لأماكن تواجد هذه الثروة الثمينة في بلاد الزاب فتفيدنا بعض المصادر الجغرافية الوسيطية بنصوص تكشف عن انتشارها منها ناحية المسيلة التي ذكر ابن حوقل أنّها كانت كثيرة الدواب، كما كانت طبنة وافرة الكراع[3]، أيضا أشار الإدريسي إلى أنّ القلعة بها السّوائم والدّواب[4]، ووصف ابن رشيد البغل في ديوانه بقوله: « **فأوصيكم بالبغل شرا فإنه من العير في سوء طباع قريب و كيف يجيء البغل يوما شر و فيه للحمار نصيب** »[5]، ومن الشخصيات التي ركبت البغال دون الخيل مخلد بن كيداد حين خرج عن الفاطميين[6] .

---

1) ابن حيان ، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس** ، شرحه واعتنى به : صلاح الدين هواري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2006 ، ص ـ ص. 150 ـ 151 .

2) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 85.

3) نفسه .

4) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص. 261 .

5) رشيد بورويبة ، مرجع سابق ، ص.175.

6) ابن عذاري المراكشي ، مصدر سابق ، ج.1 ، ص. 219 .

بالرّغم من النظرة السيئة التي طالما يوصف بها هذا الحيوان إلاّ أنّ المؤكد أنّ هذا الحيوان كان متواجد بأعداد كثيرة في منطقة نظرا لأهميّته البالغة في هذه الأعمال .

2-1 الثروة السّمكية :

الجدير بالذكر أنّ هذه الثروة لم تقتصر على الساحل لوحده بل توفّرت كذلك في أنهاره، فقد اشتهرت المسيلة بصيد السّمك، وبهذا الصّددیذكر الإدريسي في وصفه المدينة أنّها على نهر فيه ماء كثير مستنبط (منبسط) على وجه الأرض وليس بالعميق وهو عذب وفيه سمك صغير فيه طوق حمر حسنة ، ولم يرى في بلاد الأرض المعمورة سمك على صفته ، وأهل المسيلة يفتخرون به ويكون مقدار هذا السّمك من شبر إلى ما دونه ، وربما اصطيد منه الشيء الكثير فاحتمل منه إلى القلعة بني حمّاد[1] ، بحيث كان يزيّن موائد الملوك والأمراء[2] .

1) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص. 254 .

2) إسماعيل العربي ، دولة بني حماد... ، مرجع سابق ، ص. 234 .

الفصل الثالث :

الصناعة في إقليم الزاب

أولا : الصناعة الغذائية

ثانيا : الصناعة النسيجية

ثالثا : الصناعة المعدنية والزجاجية

رابعا : الصناعة الفخارية والخزفية

تأتي الصناعة في المقام الثاني بعد الزراعة من ناحية الأهميّة في الإقليم، نظرا لغناه الطبيعي بمختلف مواد الخام الزراعية والحيوانية والتي ساهمت في ظهور عدة صناعات التي من شأنها سد حاجيات الإنسان وهي كالآتي :

أولا : الصناعة الغذائية

تشير الآيات الكثيرة من القرآن الكريم في العديد من المواضع إلى المواد الخام للصناعات الغذائية وذلك في قوله تعالى : ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ وَذَلَّلْنَهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَاكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ** ﴾[1]، وقد عرف لنا الباحث عادل بديرة الصناعة الغذائية، بأنّها تحويل المواد الغذائية السريعة التلف إلى مواد أكثر ثباتا يمكن الاحتفاظ بها عدّة أيام أو أسابيع وفي بعض الأحيان لعدّة شهور أو لسنوات حسب طريقة الحفظ المتبّعة، وبهذا يمكن جعل الغذاء متوفر طيلة السنة خاصّة في مواسم رداءة الإنتاج بسبب الجفاف أو غير ذلك من الأمور الأخرى[2].

1) سورة يس ، الآية 71 ، 73 .

2) عادل بديرة ، مرجع سابق ، ص. 74 .

وقد عرفت بلاد الزاب الكثير من المواد الغذائية الزراعية لتوفر الحنطة وأيضا مختلف الخضر والفواكه في مختلف مدن الزاب[1]، ولذلك فقد عمل أهل الزاب كغيرهم من سكان المغرب على توفير احتياجاتهم الغذائية نذكر منها :

1- الأرحية :

أشار المقدسي أنّ الأرحية توضع على أفواه الأنهار فإذا خرج الماء أداربها[2]، وهذا يبيّن أنّ جريان الماء يساعد على ذلك، وإلاّ فإنّ الناس يرفعون منسوب المياه عليهم ثمّ يدعونها تتساقط كالشلالات فتعمل قوّة التساقط على إدارة العجلة التي تطحن الحبوب[3]، كما أنّ هناك بعض الأرحية التي كانت بواسطة الحيوان ، إلى جانب هذه الأرحية الصناعية الكبرى كانت هناك أرحية خاصة تدار باليد في المنازل وهي في الغالب من عمل النساء[4]، وبهذا الصّدد ذكر لنا القاضي النعمان إشارة إلى أنّه في العهد الفاطمي كانت إحدى النساء الشيعيّات في عهد عبد الله الشيعي « **تساهم فيصنع الطعام للمجاهدين، حتّى أن يديها كانت تدميان من الطحن...**» ، ويضيف وغيرها ممّن هم مثل حالها من النساء يطول الكتاب بذكرهنّ[5] .

---

1) الإدريسي، المغرب العربي... ، مصدر سابق ، ص ، ص. 120 ، 137 .

2) المقدسي ، مصدر سابق ، ص. 125 .

3) كمال السيد أبو مصطفى ، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال النوازل والفتاوى المعيار المعرب للونشريسي** ، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر، 1996 ، ص. 68 .

4) جودت عبد الكريم يوسف، مرجع سابق، ص.108 .

5) القاضي النعمان ، **إفتتاح الدعوة** ، تح : فرحات الدشراوي ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1975 ، ص. 132 .

وبما أنّ القمح والشعير هما المادتين الأساسيتين في غذاء السكان والاستفادة منه لا تتحقق إلاّ بعد العمليات التي تجرى عليه مثل الطحن والخبز، وبالتالي يمكن القول أنّ الأرحية والأفران كانت منتشرة في بلاد الزاب نظرا لتوفر المنتوج في العديد من مدنه مثل باغاي، طبن، المسيلة[1] ، بادس[2]، طولقة[3]، وأنّها قد نصّبت على كلّ نهر من الأنهار التي ذكرت سابقا في الإقليم على الرّغم من أنّ المصادر الإسلامية لم تذكر عنها شيئا في الزاب مثل عددها والذي ذكر بالتفصيل في مدن كثيرة من المغرب الأوسط والذي كان في أغلب الفترات تابعا له[4]، وقد احتوت مدينة على بسكرة أرحاء متعدّدة لطحن الحبوب تعمل بالماء[5]، كما كثرت الأرحاء والمطاحن أيضا بمدينة طبنة[6] .

2- الغرابيلي[7] :

1) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص ـ ص. 84 ـ 85 .

2) الاستبصار ، مصدر سابق ، ص. 175 .

3) حسن الوزان ، مصدر سابق ، ج.2 ، ص. 140 .

4) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ـ ص.88 ـ 89 ، أنظر أيضا ، البكري ، المغرب...، مصدر سابق ، ص. 65 .

5) العياشي ، **الرحلة العياشية** ، تح : سعيد الفاضلي وسليمان القرشي ، دار السويدي للنشر ، 2006 ، مج.2 ، ص. 540 .

6) سجية بوساق ، **المظهر التجاري لمدن المغرب الأوسط طبنة مدينة الزاب أنموذجًا** ، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية ، ع.18 ، جامعة قسنطينة ، (د . س) ، ص. 376 .

7) المحترف لحرفة وصناعة وبيع وإصلاح الغرابيل ومفردها غربال ، وهي أداة فرز و تنقية الحبوب تجدل من خيوط جلدية يحكمها إطار خشبي دائري ، (للمزيد أنظر : محمد عمارة ، **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية** ، دار الشروق ، بيروت ، 1993 ، ص. 405) .

كان صاحب هذه الصنعة أو الحرفة يحمل لقب الغرابيلي، حيث اختّصت هذه الفئة بصناعة الأداة اللاّزمة لإعداد الخبز وهي الغربال نظرا لعلاقته بالحبوب ، ويرجع جودت عبد الكريم وجود أصحاب هذه الصنعة في كل مدينة وقرية من بلاد المغرب الأوسط[1] .

3– الخبّاز[2] :

كان الحصول على الخبز يتم بطريقتين : الأولى وهي الّتي تتم في الفرن و كانت منتشرة في كل مدن العالم الإسلامي، والتي يمكن إدراجها ضمن فئة الصنّاع الّتي تضمّ أولائك الرجال الذين اتّخذوا من تحضير الخبز في أفرانهم للناس[3]، أمّا الطريقة الثانية فهي في المنزل حيث تتولىّ المرأة مهمّة العجن ثمّ تحضير الخبز، وهذا يعني أن على صاحب البيت أن يخبئ الطحين والدقيق في منزله[4].

الملاحظ أنّ الأرحاء ذات أهمية بالغة في الحياة الريفية البدوية فكان السكان بعد الحصول على الدقيق يقومون بعجن الخبز في منازلهم[5]، حيث هناك من النّساء من يحضّرن العجينة في البيت، ثم يبعث مع الصبيان للطّهي وهي الطريقة الثالثة للحصول على الخبز[1]

---

1) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 110 .

2) بفتح الحاء والباء المشددة ممدودة ، وهو المحترف لحرفة العجين والخبز و تسوية الخبز بأنواعه المختلفة ، (للمزيد أنظر : محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص. 185) .

3) جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص. 109 .

4) نفسه .

5) أسامة الطيب جعيل ، مرجع سابق ، ص. 174 .

4- الطبّاخ [2] :

نظرا للتطور التجاري الذي عرفه إقليم الزاب بفضل موقعه الرابط بين الطرق التجارية، بالتالي سيؤدي إلى ظهور فئة الطبّاخين فهي التي تقوم بخدمة جليلة لمختلف الغرباء وغيرهم فهكذا يكون مأواهم في الفندق و طعامهم في السوق وحتىّ الموظفين كانوا يأخذون طعامهم من عند الطبّاخ[3] .

5-عصر الزيتون :

من الصناعات التي ازدهرت ببلاد المغرب الإسلامي عموما بما فيها الزاب، هذا الأخير الذي اشتهرت مختلف مدنه بوفرة إنتاج أشجار الزيتون وذلك منذ أيام الرومان الذين عمدوا على غرسه ليكون من أهمّ المصادر الاقتصادية للدولة[4]، كما نجد بين النّصوص الجغرافيّة الإسلامية أوصافا دقيقة حول توفر بلاد الزاب على منتوج الزيتون، هذا ما ذكره الحميري في وصفه لمدينة طولقة بقوله : « **وهي كثيرة البساتين بالزيتون** »[5]، ونفس الشيء نجده عند صاحب الاستبصار عند تطرقه لبسكرة فقال : « **هي كثيرة النخل و الزيتون** »[6]،

---

1) الونشريسي ، مصدر سابق ، ج.8 ، ص. 322 .

2) المحترف لحرفة طهي الطعام ، (للمزيد أنظر : محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص. 348) .

3) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 111 .

4) محمد البشير الشنيتي ، أضواء ... ، مرجع سابق ، ص. 109 .

5) الحميري ، مصدر سابق ، ص.401 .

6) الاستبصار ، مصدر سابق ، ص. 173 .

وكان الزيت المستخرج من مدن الزاب من أطيب الزيوت وهذا بما يؤكّده البكري بقوله : « **ومدينة أذنة لها قرية يكسم زيتها أطيب** »[1].

وقد عثر في منطقة طبنة على شقي مطحنة زيت الزيتون[2]، كما كانت المعاصر كالمطاحن تدور بالماء أو الدّواب، وعصر الزيتون يتم بطريقة بدائية وهي متّبعة إلى الآن ، فحبوب الزيتون تهرس بواسطة عجلة يديرها حيوان[3]، ثمّ يمرّ الزيت المهروس إلى المعصرة لتأتي المرحلة الثانية أين يتمّ غلي الزيتون وعجنه ثم يترك فيطفو الزيت، وقد كان الزيت المستخرج يحفظ في قلال[4]، أو زقاق[5]؛ التي تصنع من جلود الأغنام[6] .

كما توجد صنعة أخرى مرتبطة بالزيتون وهي تمليحه فكانت العمليّة تقوم على شقّ كلّ من حبة زيتون إلى نصفين ثمّ جعلها في وعاء من خزف وينثر عليه جزء من الملح ويترك حتىّ يذوب ذلك الملح فيه ثمّ يحول الزيتون إلى وعاء آخر [7]، ويؤكل هذا الزيتون المملّح مع الخبز ويستعمل طعاما كما يدخل زيته أيضا في استعمالات عديدة منها :

---

1) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 144 .

2) قراوي عبد النور ، مرجع سابق ، ص.209 .

3) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 46 .

4) مفردها " قلة " والجمع قلال وهي جرة ضخمة تتسع قربتين من القرب الكبار ، (للمزيد انظر : محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص. 465) .

5) الزق من الأهب : وهو كل وعاء اتخذ لشراب ونحوه ، (للمزيد انظر : حمد الله إدريس ، محمد عصبة ، **المعجم الجامع حرف الزاي** ، إشراف : يحي عبد الرؤوف جبر ، مذكرة مكملة لمتطلبات درجة الماجستير ، كلية الآداب ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، 2003 ، ص. 169) .

6) جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص. 46 .

7) قسطوس ، مصدر سابق ، ص. 221 .

الإضاءة أو العلاج لقوله ـ ﷺ ـ : « **إئتدموا بالزيت و دهنوا به فإنّه شجرة مباركة** »[1]، كما يستعمل زيته في تحضير الطعام فقد كان السكان الأوراس يشترونه من الأسواق بأسعار زهيدة ويستعملونه في طعامهم[2] .

6– تجفيف الفواكه و صناعة المعجون :

من المرجّح أنّ سكان الزاب قد قاموا بتجفيف الفواكه المنتجة في أراضيهم وبطبيعة الحال إذ توفر المحصول بكثرة يستعمل الفائض منه في التجفيف أو البيع[3]، فقد عرفت مدن الإقليم محاصيل الفواكه التي من الممكن استعمالها في التجفيف مثل التين[4]، والكروم في المسيلة[5]، ونقاوس التي كانت ثمارها من أجود الثمار فكانت تجفّف وتحمل قصد البيع إلى قسنطينة[6] ، والمسيلة التي كانت توجد بها فاكهة السفرجل[7]، إضافة إلى ميلة[8] .

كما قام السكان أيضا بصنع معجون الفواكه والرُبّ[9]، مثل معجون ورُبُّ السفرجل، كما لجأ سكان طبنة إلى تجفيف بعض الفواكه كالتّين والعنب لاستهلاكه في غير فصله بهدف

1) جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص. 46 .

2) موسى رحماني ، مرجع سابق ، ص. 160 .

3) أسامة الطيب جعيل ، مرجع سابق ، ص. 174 .

4) حسن الوزان ، مصدر سابق ، ج.1 ، ص. 53 .

5) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 85 .

6) مارمول كاريخال ، مرجع سابق ، ج.2 ، ص. 383 .

7) ابن حوقل، المصدر السابق ، ص. 85 .

8) الحميري، مصدر سابق ، ص. 569.

9) عصارة التمر وما يطبخ من التمر والعنب ، (للمزيد أنظر : القاموس المحيط ، مصدر سابق ، ص. 321) .

الحفاظ على ديمومة الغذاء من جهة والمساهمة في تنشيط الحركة الصناعية من جهة أخرى[1] .

ثانيا : الصناعة النسيجية

جاء في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تذكر النسيج مما أعطى أهميّة لها ولصناعتها ، يقول الله عز وجل في محكم تنزيله : ﴿ **واللهُ جَعَلَ لَكُم مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمُ مِنْ جُلوُدِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوَمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتاَعًا إِلَى حِينِ**﴾[2]، وعرّف ابن منظور النسيج بقوله نسج النسجُ، ضمّ الشيء فانتسج، والنّسج معروف، ونسج الحائك الثوب ينسجه نسجًا، والنّساج صاحب الحرفة[3]، وحائك الثياب، والمنسج هو موضع النسج جمع مناسج[4]، والقصّار هو الذي يقوم بدق القماش لتحويره وتمليسه[5] .

1) سجية بوساق ، مرجع سابق ، ص. 377 .

2) سورة النحل : الآية ، 80 .

3) ابن منظور ، مرجع سابق ، مج.6 ، ص. 4406 .

4) المعجم الوسيط ، مرجع سابق ، ص. 917 .

5) محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص. 458 .

وتعدّ صناعة النسيج من بين أهمّ الصنائع الّتي أخذت نصيبا خاصا من الاهتمام في البلاد[1]، كما تعتبر من الصنائع الرئيسية في المغرب الأوسط عموما والبلاد الزابية بصفة خاصة، وذلك عائد لحاجة الناس إليها على اختلاف طبقاتهم وفئاتهم[2]، واعتبر الغزالي أنّ صناعة الغزل والخياطة إحدى الصنائع العشر الأخيار عند السلف[3]، وأطنب ابن خلدون أهميّتها للبشر الذين فكّروا في الدفء ويحصل ذلك باشتمال المنسوج للوقاية من الحرّ والبرد وذكر في هذا الصدد «...**ولابدّ لذلك منإلحام الغزل حتىّ يصير ثوبا واحد، وهو النسج والحياكة** ...»[4] .

وتعتمد صناعة النسيج التي تعتمد بشكل أساسي على الإنتاج الزراعي كالقطن والكتان والحرير، والإنتاج الحيواني كالصّوف والجلود كما كان لهذه المواد الأثر البالغ في انتعاش نشاط النسيج بمختلف المراكز الحضرية والقروية[5]، ومن هذه المواد الأولية خاصّة ما تعلق كصوف الأغنام التي كانت موجهة للحياكة، ووبر الجمل الذي يصنع منه بعض الألبسة الخاصة وشعر الماعز الذي يستخدم في نسج الخيام، ولم يقتصر النسيج على استخدام المواد الحيوانية بل استخدم القطن كذلك[6]، كما كانت هناك استعمالات للنسيج كصنع

1) محمود هدية ، **اقتصاد النسيج في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط** ، هنداوي للنشر والتوزيع ، (د . ب) 2017 ، ص. 13 .

2) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 89 .

3) أبو حامد الغزالي ، **إحياء علوم الدين** ، دار المناهج ، المملكة العربية السعودية ،2011 ، ج.2 ، ص. 84 .

4) ابن خلدون ، المقدمة...، مصدر سابق ، ص. 516 .

5) عمر بلبشير ، **مساهمة في دراسة النشاط الصناعي والحرفي في المغرب الإسلامي من خلال النصوص النوازلية والجغرافية** ، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية ، ع.4 ، جوان 2013 ، ص. 294 .

6) نفسه ، ص. 296 .

الملابس والأثاث[1]، وصناعة النسيج تعتمد بالدرجة الأولى على الصوف الذي انتشر في المغرب نظرا لامتلاكها الثروة الحيوانية الهائلة[2]، وقد شجع على كثرة الإنتاج من المنسوجات وجودته عاملان أوّلهما عادة اللباس المغربية والثاني الإقبال الكبير على شراء المنسوجات فكانت من عادات أهل المغرب اتخاذ الثياب الصوفية في الشتاء وفي فصل الصيف يلبسون الثياب من الكتان والقطن[3]، كما عرفت البلاد صناعة أجمل الأقمشة إضافة لأنسجة أخرى من القطن[4]، وكما أشرنا سابقا أنّ صناعة النسيج تنقسم من حيث موادها الخام إلى قسمين :

1-المواد النباتية : تضم كل من القطن والصوف والحرير إلاّ أنّ هذا الأخير لم يكن يصنع في إقليم الزاب أو أنّ المصادر لم تذكرها بل اكتفت بذكر القطن والصوف .

1-1 القطن :

القطن معروف ووحدته قطنة ، هو شجرة مثل شجرة المشمش ويبقى عشرين سنة وأجود أنواعه الحديث[5]، والقطن من جنس النباتات الزراعية اللّيفية المشهورة من الفصيلة الخبازية، وفيه أنواع وأصناف كثيرة، وثمرته هي مادة بيضاء وبرية ناعمة، أوبارها متداخلة ، تختلف في الطول والمتابنة، كما تشمل على بذور تلتصق بها، وتغزل خيوطا تصنع منها

1) موريس لومبار ، الإسلام في مجده الأول من القرن 2 إلى القرن 5هـ /8 ـ 11م ، تر وتع ، إسماعيل العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، المغرب ، 1990 ، ص. 268 .

2) نفسه ، ص. 269 .

3) عز الدين أحمد موسى ، مرجع سابق ، ص. 222 .

4) مارمول كربخال ، مرجع سابق ، ج.2، ص. 296 .

5) كوكب دياب ، مرجع سابق ، ص. 212 .

الثياب[1]، والقطّان هو بائع القطن كما يقوم بندف القطن ليصبح صالحا لحشو الوسائد والمراتب[2]، كما أولت صناعة القطن اهتمام سكان بلاد المغرب الأوسط حيث يباع في الأسواق ويصنع منه اللباس الخاص بالملوك والقضاة والأغنياء والعامة، كما يصنع منه القماش الخاص بتكفين الموتى وقماش كساء العمائم[3]، ودليل على مدى انتشار زراعة هذه المادة الرئيسية في صناعة الملابس، وقد ازدهرت زراعة القطن نتيجة تشجيع الخلفاء بالصناعات المختلفة التي من بينها صناعة القطن[4] .

وسبقت الإشارة إلى وفرة إنتاج القطن بمجموعة من المدن الزابية كمدينة طبنة[5] والمسيلة[6]، وكانت صناعة الغزل والنسيج صناعة قويّة متكاملة في مملكة بني حمّاد وكانت حقول المسيلة ونقاوس وطبنة بكثرة[7]، كما ازدهرت القلعة في صناعة الأكسية التي« **ليس لها مثيل في الجودة والرقة لا الوجودية التي تصنع بوجدة تساوي كسامن عمل القلعة ثلاثين دينارا...**»[8] ، وذهب الحموي إلى أنّ القلعة كانت مشهورة بالألباد والملابس الجميلة والأقمشة المزركشة[9]، كما اشتهر الحمّاديين في صناعة العمائم، وذكر رشيد بورويبة أنّ

---

1) المعجم الوسيط ، مرجع سابق ، ص. 747 .

2) محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص. 46 .

3) بسام كامل عبد الرزاق مثقدان ، **تلمسان في العهد الزياني (633 ــ 962هـ/1235 ــ 1555م)** ، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التاريخ بكلية الدراسات العليا ، إشراف : هشام بورميلة ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس، فلسطين ،2002 ، ص.177 .

4) عمار عمورة ، **الجزائر بوابة التاريخ من قبل التاريخ إلى 1962**، دار المعرفة ، الجزائر ،ج.1 ، ص. 204 .

5) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص. 363 .

6) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 85 ، أنظر أيضا ، الحميري ، مصدر سابق ، ص. 358 .

7) إسماعيل العربي ، دولة بني حماد... ، مرجع سابق ، ص. 239 .

8) الاستبصار ، مصدر سابق ، ص. 170 .

9) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ،ج.4 ، ص. 164 .

العمائم الحمّادية تشبه كثيرا تلك التي عند الفاطميين من خلال قطع الزخرف أو المنقوشة في ألواح خشبية معروضة في المتحف الإسلامي بالقاهرة من خلالها وصف لنا العمائم الحمّادية[1]، وبصفة عامّة كانت بلاد المغرب الأوسط تصنع أتقن الأنسجة وخاصّة في صناعة العمائم المرصّعة بخيوط الذهبية[2]، ونسج الحبال والنسيج التقليدي[3]، كما كانت الملابس تصنع وذكر صاحب البيدق أنّ المهدي عند إقامته بالعاصمة الحمّادية كان ينهي الناس من الأرقاق الزرارية ولباس الفتوحيات للرجال ويقول لا تزينوا بزي النساء لأنّه حرام وهذا دليل كافي على قمّة الازدهار الّذي عرفته الصناعة النسيجية في عهد بني حمّاد[4]، كما وصف لنا الحموي جمال وروعة نسيجها حين قال : «...**ليس لهذه القلعة منظر ولا رواء حسن...وبها الأكسية واللبابيد القلعية الصفيقة النسج الحسنة المطرزة بالذهب...**»[5] ، كما كانت منسوجات القلعة تتمتّع بشهرة خاصّة في المشرق والمغرب[6] .

2-1 الكتان :

الكتان بتخفيف التاء جمع كتانة، شجيرة غبراء صغيرة[7]، وهو معروف عند العرب سمى بذلك لأنه يخيس ويلقى بعضه على بعض حتى يكتن[8]، وهو نبات من الفصيلة

1) رشيد بورويبة ، مرجع سابق ، ص.137 .

2) صالح يوسف بن قربة ، تاريخ مدينتي... ، مرجع سابق ، ص. 252 .

3) يحي بوعزيز ، مرجع سابق ، ص. 13.

4) مختار حساني ، **تاريخ الجزائر الوسيط** ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2013 ، ج.5 ، ص. 57 .

5) ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج.4 ، ص. 390 .

6) إسماعيل العربي ، دولة بني حماد... ، مرجع سابق ، ص. 240 .

7) أبو الخير الاشبيلي ، مصدر سابق ، ص. 305 .

8) ابن منظور ، مصدر سابق ، مج.5 ، ص.3824 ، كوكب دياب ، مرجع سابق ، ص. 220 .

الكتانية حولي يزرع في المناطق المعتدلة والدافئة، زهرته زرقاء تعرف باسم بزر الكتان يعتصر منها زيت حارّ ويتّخذ من أليافه النسيج المعروف[1] .

وكان يستعمل الكتان في صنع الثياب والأحذية وغيرها، وحينما فرّ جعفر بن علي إلى الأندلس كان ممّا استقبل به « **ثلاث قباء من كتان وأربعة وأربعون من الخباء من كتان** »[2]، وكان أبو بكر بن هذيل يشتري الكتان فتغزله زوجته وينسج له أبدانا[3] .

وقد كانت المدن الزابية تنتج مادة الكتان مثل مدينة طبنة ومدينة مقرة[4]، كما كانت مادة الكتان تصدر للعديد من مدن المغرب الأوسط كما أنّ البادية الجميلة وما حولها الكثير من الكتان[5]، كما مثّلت مدينة طبنة منطقة هامة لزراعة الكتان في إقليم الزاب إذ أشار ابن حوقل إلى زراعته في طبنة رغم أنّه لم يعطينا وصفا عن كيفية زراعته واستعمالاته واكتفى بذكره[6]، كما كانت مدينة بسكرة تصنع بها البرانيس والقنادير والحنابل ، كما كان بها كتان جيد[7] .

2- المواد الحيوانية :

1) المعجم الوسيط ، مرجع سابق ، ص. 776 .

2) ابن حيان ، **المقتبس في ذكر بلد الأندلس** ، تح : علي الحجي ، دار الثقافة ، بيروت ، (د . س) ، ص. 40 .

3) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 93 .

4) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص. 263 .

5) حسن الوزان ، مصدر سابق ، ج.2 ، ص. 33 .

6) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 88 .

7) مختار حساني ، **الحواضر والأمصار الإسلامية** ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2011 ،ج.5 ، مرجع سابق ، ص. 14 .

2-1 الصوف :

تعدّ تربية الماشية من بين أهمّ القطاعات الّتي كانت تدعم بلاد المغرب اقتصاديا ذلك لتوفرها في بلاد المغرب الأوسط وفي هذا أشار الإدريسي في ذكره لإحدى مدن المغرب « **وبها بادية لأهلها مواشي وأغنام كثيرة** »[1]، كما أشاد صاحب الاستبصار عن وفرة المواشي في البلاد[2] .

يعتبر إقليم الزاب من الأقاليم الفلاحية بامتياز نظرا لامتلاكه ثروة نباتية وحيوانية هائلة وكانت هاته الأخيرة تدعم الحياة الاقتصادية في بلاد المغرب، كما أنّ المصادر الجغرافيّة في ذكرها للبلاد الزابية أطنبت في كثرة الماشية والدواب وسائر الكراع خاصة في المناطق الداخلية كثيرة المسارح والمراعي مثل القلعة[3]، طبنة[4]، مقرة، والمسيلة[5]، وقد كانت هذه الصناعة قوية ومتكاملة في مملكة بني حمّاد والنساء هُنّ اللواتي يمارسنها بكثرة، كما بها صوف ناعم جدًّا والبصيص بحيث ينزل مع الذهب بمنزلة البرسيم[6]؛ وهو نوع من الحرير[7]، وتوفرت مادة الصوف بكثرة في المسيلة ونقاوس وطبنة[1]، كما كان في مدينة ميلة عدد من الصناع يحترفون نسج الصوف الذي تصنع منه أغطية الأسرّة[2] .

---

1) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص. 258 .

2) الاستبصار ، مصدر سابق ، ص. 165 .

3) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 85 .

4) نفسه.

5) مارمول كربخال ، مرجع سابق ، ج.3 ، ص. 13 .

6) الحموي ، مصدر سابق ، ج.4 ، ص. 390 .

7) محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص. 26 .

2-2 الخياطة والحياكة :

بعد استخراج المواد الأولية وغزلها ونسجها بالالتحام الشديد تأتي المرحلة الثانية وهي الخياطة فيذكر ابن خلدون«...**لتقدير المنسوجات على اختلاف الأشكال والعوائد ، لتفصل بالمقراط قطعا مناسبة للأعضاء البدنية ثمّ تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلا أوتنبيتا أو تفسحا...**»[3]، وتعرف الخياطة حرفة قصّ وتفصيل وخياطة الملابس، والخيّاط هو المحترف فيها[4] .

وكانت حرفة الخياطة خاصّة بالنساء على وجه عام[5]، كما كانت كلّ مدينة وقرية في البلاد ولها حاكتها وكانت لهم أسواق خاصّة اعتمادا على تنظيمها، والجدير بالذكر أنّ هذه الصنعة كانت قليلة الدخل وينظر إليها نظرة احتقار[6] ، ويمكن تمييز نوعين من الخياطة الأوّل محليّ تقوم به النساء في البيوت ، ثمّ يباع في الأسواق[7] ، فكان أبو بكر بن هذيل «...**عيشه من غزل زوجته كان يشتري أبدانا ، فما كان فيها من فضل تقوتا به واشترى**

---

1) إسماعيل العربي ، دولة بني حماد... ، مرجع سابق ، ص. 239 .

2) حسن الوزان ، مصدر سابق ،ج.2 ، ص. 60 .

3) ابن خلدون ، المقدمة... ، مصدر سابق ، ص. 516 .

4) محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص. 205 .

5) الدباغ ، **معالم الإيمان** ، تح : محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضي ، مكتبة الخانجي ، مصر ، (د. س) ، ج.2 ، ص. 266 .

6) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 98 .

7) نفسه ، ص. 99 .

برأس المال كتانا...»[1]، والنوع الثاني كان يتمّ في حوانيت خاصّة كما كانت هناك دور للطراز الّتي تنتج البسط والثياب والأعلام والفرش يستخدم فيها الصّاغة للحياكة[2] .

أمّا فيما يخصّ حرفة الخياطة فمن المرجّح أنّها انتشرت في جميع مدن البلاد الزابية خاصّة وأنّها تمتلك المادة الخام بكثرة ،من الملابس الّتي كانت تحاك واشتهرت بها المنطقة بشكل العام حياكة البرنوس من مادة الصوف[3] .

2-3 الصّباغة :

الصباغة هي صناعة صبغ وتلوين الخيوط والمنسوجات على اختلاف أنواعها بالألوان، وعرّف صاحب هذه الحرفة بالصبّاغ[4]، وارتبطت صناعة الأصباغ ارتباطا وثيقا بصناعة النسيج منذ بداياتها ، والّتي عرفت ازدهارا كبيرا في جميع البلاد الإسلامية بما فيها المغرب الأوسط ، فكانت لها مراكزها الصناعية المشهورة، واستخلصت الأصباغ من مصادر نباتية وحيوانية[5]، واشتهر بنو وأزلفن باستعمالهم الحنّاء للصباغة[6]، والزعفران الموجود في

1) الدباغ ، مصدر سابق ، ج.2 ، ص. 266 .

2) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 99 .

3) يحي بن خلدون ، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** ، طبع بمطبعة بيير بونطانا الشرفية ، الجزائر ، 1903م، مج.1 ، ص. 22 .

4) محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص. 205 .

5) علي جمعان الشكيل ، **صناعة الأصباغ في الحضارة الإسلامية** ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، ع.27 ، (د . ب) ، (د . س) ص. 147 .

6) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص. 253 .

مجانة[1]، ويرى بعض المؤرّخين أن العنصر اليهودي احتكر صناعة الصباغة، ولربما ترفع عنها المسلمون بوصفها مهنة ممتهنة، ولاعتبارهم أنّ اليهود نجسا، وكانت لهم أسواق وقد ذكر المقدسي أنّ في أحد أبواب القيروان باب الصبّاغين، وكانت عملية الصباغة تكلّف غاليا وأجور العاملين فيها تشكّل أربعة أضعاف أجرة الصبّاغين[2] .

واشتهرت طبنة بالصباغة نظرا لتوفر مادة الخام ومواد الصباغة فقد أحرزوا تقدما كبيرا في صناعة المنسوجات، فتفنّنوا في تزويقها بالرسوم والألوان كغيرهم من صنّاع البلاد الإسلامية[3] .

ثالثا : الصناعة المعدنية والزجاجية

1- <u>الصناعة المعدنية :</u>

عرّف ابن منظور المعدن وقال : « عدن فلان بالمكان يعدن عدنا وعدونا وعدنت البلاد، والمعدن بكسر الدال وهو المكان الذي يثبت فيه الناس أي يقيمون فيه ...، ومعدن الذهب والفضة سمّى معدنا لإنبات الله فيه جوهرها »[4] .

1) الحموي ، مصدر سابق ، مج.5 ، ص. 56 .

2) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص ـ ص. 97 ـ 98 .

3) قراوي عبد النور ، مرجع سابق ، ص. 206 .

4) ابن منظور ، مصدر سابق ، مج.4 ، ص ـ ص. 2843 ، 2844 .

تتطلب الصناعة المعدنية المواد الخام والخشب وقد سهّل على البلاد الزابية توفر مادة الخشب لكثرة الغابات في العديد من مدنها، أمّا المعادن فكانت قليلة وكانت تستورد[1] ، كما أنّ الصناعات المعدنية أخذت اهتماما خاصا من قبل السلطة خاصة تلك الّتي تتعلّق بصناعة الأسلحة[2]، وتنقسم صناعة المعادن بدورها إلى أنواع :

1- 1 صناعة الحديد :

كان يصنع من مادة الحديد بعض الأدوات المنزلية،فكانت الأبواب تصنع من الحديد ومن بين الأدوات السكّاكين والخناجر الملاعق والإبر والكلاليب وأمواس الحلاقة والمواقد وحذوات الخيول والمسامير وبعض الأدوات الخاصّة بالمجال الفلاحي كالمحاريث والمساحي والفؤوس...الخ[3] ، ويذكر الإدريسي أنّ مدينة بجاية في العهد الحمّادي كانت بها « **معادن الحديد الطيب موجود وممكنة** »[4]، كما كانت تصنع الأسلحة من مادة الحديد ، ومن بين آلات الحرب التراس والرماح والسروج واللجم والدروع والمغافر ويمكن إضافة الحراب[5].

وقد اشتهرت مدن الإقليم بصناعة الآلات الحربية، وكان لها رجالها فيذكر لنا القاضي النعمان نص مفاده أنّ الدّاعي الشيعي لمّا حاصر مدينة بلزمة «...**وكان فيهم رجل من أهل**

1) أسامة الطيب جعيل ، مرجع سابق ، ص. 175 .

2) محمد عيسى الحريري ، **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1215م .869هـ/1465م)** ، دار القلم للنشر والتوزيع ، ط.2 ، الكويت ،1987 ، ص. 285 .

3) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 121 .

4) الإدريسي ، المغرب العربي... ، مصدر سابق ، ص. 116 .

5) الإدريسي ، المغرب العربي... ، مصدر السابق ص. 212 .

مجانة ،يعرف بأبي عبد الله، لهلسان، فكان يحملهم على العناد والإصرار، ويصنع لهم المجانيق والعرادات وآلات الحرب »[1]، كما أورد صاحب البيان أنّ صاحب الحمار عندما تمّ القبض عليه قرب جبل كتامة تمّ حبسه في قفص من حديد[2]، كما اشتهرت مدينة الغدير بصناعة الدّروع حتىّ غدا اسمها غدير الدروع[3]، وكان في القلعة دار للأسلحة[4]، فضلا عن مجموعة من رؤوس السّهام والحراب والأقفال والمسامير الّتي كشفت عنها الحفريات في المنطقة[5] .

1– 2 صناعة الذهب والفضة (الحلي والزينة) :

وهي من أهمّ الصناعات القديمة الّتي عرفتها البشرية منذ وقت مبكّر،والصيّاغة هم أرباب صياغة وتجارة أدوات حليّ الذهب والفضّة ونحوهما من المعادن والجواهر الكريمة والنفيسة والصّاغة تطلق أيضا على مكان عملهم[6] .

لم يكن الذهب والفضّة متوفران في إقليم الزاب[7] ، لكن الحصول عليهما كان سهلا ويسيرا فكانت القوافل التجارية كفيلة بتوفيرها ، وتعدّدت استعمالات الذهب فصنعت النّقود

1) القاضي النعمان ، إفتتاح الدعوة...، مصدر سابق ، ص. 178 .

2) ابن عذاري المراكشي ، مصدر سابق ،ج.1 ، ص. 220 .

3) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 221 .

4) الإدريسي ، المغرب العربي... ، مصدر سابق ، ص. 117 .

5) صالح يوسف بن قربة ، تاريخ مدينتي... ، مرجع سابق ، ص. 403 .

6) محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص. 324 .

7) أسامة الطيب جعيل ، مرجع سابق ، ص. 175 .

والدنّانير، وحليّ للنساء من أقراط وأساور وعقود ودبابيس وخواتم وخلاخيل وصنعت منه بعض الأواني مثل الأباريق والأقداح والأكواز[1] وبالنسبة لإقليم الزاب فأشارت بعض المصادر عن الذهب ، فقد عثر على بقايا أثرية للمقابر والقصور في منطقة الدوسن تعود للرّومان ،حيث وجد الصيادين عند نزول المطر قطع ذهبية مرسوم عليها أشكال ورموز رومانية تدلّ على الثراء المادّي الكبير للمدينة[2] ، وقد عثر الباحث " رشيد بورويبة " على بعض الحليّ المكتشفة في القلعة والّتي تمّ نقلها إلى متحف سطيف وقسنطينة ، عبارة عن أقراط ومشابك وأسورة وعقد[3] ، كما هناك اكتشافات أخرى للحليّ وأدوات الزينة قام بها **Golvin** في القلعة وهي تحتوي على أقراط ومشابك وخواتم[4] .

وقد استخدمت في صناعة الحليّ وزخرفتها طرق عديدة ، مثل الحرق والحفر والترخيم والترصيع بالأحجار الكريمة ،ومعظم الحليّ المكتشفة في القلعة مصنوعة من معدن الفضّة وقد حفزت دارسيها إلى معرفة جوانب من الحياة الاجتماعية في القلعة حيث تخضع أشكالها واستعمالها للعادات والتقاليد الاجتماعية الموروثة[5] ، ويشير حسن الوزان أنّ منطقة الدوسن اكتشفت فيها بقايا من الفضّة تعود هي الأخرى للحقبة الرّومانية[6] .

1) جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص. 122 .

2) حسن الوزان ، مصدر سابق ، ج.2 ، ص. 141 .

3) Bourouiba.R , OP.Cite . pp 67 ـ 77 .

4) Golvin . LM . Archéoqojiques à la Qal'a des banuhammad , Comptes rendus des séances de l'académie des Inscriptions et Belles ـ Letters , 1962 , pp 391 ـ 401 .

5) صالح يوسف بن قربة ، تاريخ مدينتي... ، مرجع سابق ، ص. 406 .

6) حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج.2 ، ص. 141 .

وكانت الفضّة هي الأخرى لها استعمالات مشابهة للذهب ، فاستعملت لسكّ النقود وفي الحليّ وفي تحلية بعض الأدوات مثل السّروج واللجم ، وكان أهل كتامة يركبون الخيل بسروج فضيّة[1] .

1– 3 صناعة البرونز والنحاس :

النُّحاس بضم النون مشددة وفتح الحاء ممدودة ،هو الفلز المعروف تصنع منه الآنية والقدور وغيرها[2]، وجاء ذكره في القرآن الكريم : ﴿ **يُرْسِلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَانِ** ﴾[3]، والنّحاس بفتح النون والحاء مشددتين، مع مد الحاء، هو صاحب حرفة تبييض الأواني النّحاس، والنّحّاسون هم العاملون في صوغ وتنظيف وتجارة النّحاس، بأدواته المختلفة، وأنواعه المختلفة[4] .

وجدت مادة النّحاس في بلاد المغرب الأوسط، وذكر لنا البكري أنّ في جبال كتامة معادن النّحاس، وقد استعمل في صناعة الكثير من الأدوات[5]، كالأدوات المنزلية ، فقد صنعت المهاريس، وأورد الصبّاغ أنّ هاشما أبا عمر مان له مهراس من نحاس من تركة أبيه[6]، كما صنعت الطّناجر النّحاسية، وعلى ما يبدو أن النّحاسين كانوا يخلطون النّحاس

1) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 103 .

2) محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص. 587 .

3) سورة الرحمن ، الآية 35 .

4) محمد عمارة ، المرجع السابق ، ص.587 .

5) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 103 .

6) الدباغ ، مصدر سابق ، ج.2 ، ص. 344 .

ببعض المعادن كالرّصاص،كما كان النّحاسون يصنعون الجرار النّحاسية التي يحمل عليها السقّاءون المياه، وصنعوا الأجراس التي تعلق في رقاب الدّواب[1] .

أمّا بالنسبة لهذه الصناعة في إقليم الزاب فقد نالت القلعة شهرة عالية في صناعتها بحيث كشفت الحفريات الأثرية وجود عدّة قطع من النّحاس والبرونز في عدّة مناطق منها[2]، والمرجح أنّها كانت من الصناعات البالغة الأهميّة، كما حضيت بعناية فائقة في صناعة التحف كصناعة الأقفال والثريّات والتماثيل الصغيرة، كما عرفت إقبالا شديد من قبل الصنّاع الذين تركوا بصمات واضحة لاسيما في الدقّة والجودة في إنتاج التّحف[3].

ومما يدلّ على هذه البراعة والدقّة في الصّنع تلك النماذج التي عثر عليها، ولعلّ أجملها البرونز هيئة الطائرين أحدهما شبيه بالحمام؛ كان عبارة عن مقبض للآنية ، كما تميز بالدقّة عن الطائر الآخر من حيث طول العنق والمنقار، أمّا الطائر الآخر كان جزءا من غطاء إناء ، إضافة إلى بعض التشكيلات الصناعية من القضبان والأسلاك الرقيقة، التي تمّ اكتشافها وهناك نماذج كثيرة،وما يميّز هذه الصناعات التنوع الشديد في التشكيل والصياغة، فبعضها صيغ على هيئة قضبان مجدولة ذات رسوم هندسيّة بسيطة مثل المعينات والمستطيلات[4] .

1) جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص. 104 .

2) إسماعيل عربي ، قلعة بني حماد..، مرجع سابق ، ص. 148 .

3) صالح يوسف بن قربة ، تاريخ مدينتي... ، مرجع سابق ، ص. 404 .

4) نفسه ، ص ـ ص. 404 ـ 405 .

4-1 الملح :

لقد كان في العصر الوسيط بمنطقة بسكرة جبل من الملح،وقد وصفه البكري في قوله : «...**وبها جبل ملح يقطع به الملح كالصّخر الجليل ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملون في أطعمتهم...**»[1] ، ويفهم منه أنّ هذا الملح الموجود في مدينة بسكرة كانت تصدر الملح للعديد من مدن المغرب الإسلامي .

2- الصناعة الزجاجية :

جاء تعريف الزجاج في المعجم الوسيط بأنّه جوهر صلب سهل الكسر شفاف يصنع من الرمل والقليّ[2] ، فالزجاج بصورته العامّة هو خليط من الرمل و الحجر الجيري وكربونات الصودا مع إضافة بعض الأكسيد أحيانا للحصول على اللّون المطلوب[3] ، ليتمّ صهرها جميعا في أفران خاصة بحرارة عالية تقدر بـ 1500 درجة مئوية لتتحول في الأخير إلى عجينة يمكن تشكيلها حسب الرغبة[4] وقد استخدمت في العصر الإسلامي طرق عديدة في

1) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 52 .

2) المعجم الوسيط ، مرجع سابق ، ص. 389 .

3) هناء عبد الخالق ، **الزجاج الإسلامي في متاحف و مخازن الآثار في العراق** ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1976 ، ص. 35 .

4) نفسه .

صنع الأواني الزجاجية مثل ، الضغط على القالب والقطع وأيضا نفخ الحر وكذلك النفخ في القالب[1] .

أمّا عن تواجد هذه الصناعات في إقليم الزاب فإنّ المصادر الإسلامية الوسيطة لم تورد ذكرها ، إلاّ أنّ علماء الآثار ومن خلال الحفريات الّتي أجريت خاصّة بقلعة بني حمّاد حيث عثر على قطع وكسور من الزجاج الملوّن[2] .هذا فضلا عن اكتشاف بقايا مصنوعة من الجصّ والمرصّعة بالزجاج الملوّن و بعض القطع من القوارير[3] وعرى الأباريق وأعناق الأواني والقعور أحيانا بزخارف مُقَوْلَبَةُ في شكل مجوف[4]، إضافة إلى زجاجات العطور والصّحاف ما يوضح أنّ صناعة الزجاج كانت مزدهرة في القلعة[5] .

أمّا فيما يخصّ الزجاج الحمّادي فقد استعمل البريق المعدني منها اللّون البنفسجي والأحمر والأصفر والأخضر والأزرق وهو ما وجد في زجاج القلعة[6]، ويضيف " الهادي روجي إدريس " أنّ اللّون الغالب في هذه الصناعة هو اللّون الأبيض بالإضافة إلى أنّ الحمّاديون كانوا يضربون ويطبعون الصّنوج[7] المصنوعة من زجاج[1]، وتكمن الحكمة من

1) صالح يوسف بن قربة ، تاريخ مدينتي... ، مرجع سابق ، ص ـ ص. 412 ـ 413 .

2) صالح يوسف بن قربة ، تاريخ مدينتي... ، مرجع سابق ، ص. 411 .

3) **للمزيد أنظر الملحق ، رقم (06) ، ص. 196** .

4) الهادي روجي إدريس ، مرجع سابق ، ج.2 ، ص. 439 .

5) عبد الحليم عويس ، مرجع سابق ، ص. 425 .

6) صالح يوسف بن قربة ، تاريخ مدينتي... ، مرجع سابق ، ص. 417 .

7) مشتقة في الأصل من الكلمة الفارسية (سكة) بمعنى الحجر أو الموزون ويراد الثقل أو العيار أو الوزن (للمزيد انظر : المرجع نفسه ، ص.421) ، وسنجة الميزان ما يوضع في الميزان مقابل ما يوزن لمعرفة قدره (للمزيد أنظر : أحمد الشرباصي ، **المعجم الاقتصادي الإسلامي** ، دار الجيل ، (د . ب)، 1981 ، ص. 256) .

صناعتها من الزجاج ؛هي تحقيق العدالة ورفع الغبن عن كلّ من البائع و المشتري[2]، ومن بين الصّنج المكتشفة في القلعة نذكر الصّنجة الزجاجية التي تحمل على وجهها عبارة في سطرين الأولى **(الأمر)** والثانية **(كلّه لله)**، كما أنّ صالح بن قربة قد حاول قراءة السّطر الثالث من الصّنجة الزجاجية السابقة الذكر ويرجّح أنها مكتوب لا قوة إلا بالله ، وبهذا فإنّه في رأيه ينسبها إلى العهد الموحدي[3] .

رابعا : الصناعة الفخارية والخزفية

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **خَلَقَ اَلإِنْسَانَ مِن صَلْصَلٍ كَالْفَخّارِ** ﴾[4] ، ويعرّف الفخار على أنّه خزف من الخزف أي الطّين المطبوخ المصنّع[5]، أمّا الخزف يعرّفه المقري أنّه الطّين المعمول آنية قبل أن يطبخ وهو الصّلصال فإذا شوي فهو الفخار[6]، أمّا التعريف العام للفخار والخزف في القاموس المحيط ؛ أنّه كلّ ما صنع من الطّين وأحرق بالنّار فصار فخّارًا[7]، وفي المصطلح الأثري فإنّ الفخار ما كان مصنوعا من طينة طبيعية

1) الهادي روجي إدريس ، مرجع سابق ، ج.2 ، ص. 439 .

2) صالح يوسف بن قربة ، تاريخ مدينتي... ، المرجع السابق ، ص. 423 .

3) نفسه ، ص ـ ص. 425 ـ 426.

4) سورة الرحمان ، الآية 12 .

5) محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص. 422 .

6) المقري ، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** ، مكتبة لبنان ، لبنان ، 2009 ، ص. 64 .

7) القاموس المحيط ، مرجع سابق ، ص ، ص. 272 ، 277 .

غير مطلية بطلاءات زجاجية أو تلوينيّة، أمّا الفخار فهو ما كان مصنوعا من طينة طبيعية مضافا إليها مادة السيلك والكاولين ومغطّى بطانه ومزجّج بطلاءات تلوينيّة وزجاجيّة[1] .

أمّا عن أماكن تواجد الصناعات الفخارية في نواحي الزاب فقد كان منذ الوجود الرّوماني بالمنطقة حيث تعتبر مدينة زابي منطقة صناعية فخارية بامتياز؛ لتوفر الطين الملائم لصنع الفخار[2]، وتعرف صناعة الفخار والخزف تقدما كبيرا خصوصا في مدينة القلعة لتصبح أول مركز صناعي لإنتاجهما، وذلك انطلاقا من مميّزات المدينة الصالحة للتشكيل[3]، إذ تعرف الصناعة الخزفية انتشارا بالقلعة، وهذا ما أكّدته الأبحاث لاسيما جورج مارسيه الذي يرى« **بأن ليس هناك أدنى شك في أنّ المنطقة قد عرفت مصانع للفخار** »[4]، من جهة أخرى فقد دلّت الاكتشافات الأثرية على وجود أفران ورماد[5]، كما تمّ أيضا اكتشاف القرميد[6] القلعي الذي بلغت مقاساته **(380 ملم)** من حيث الطول، وقد قدره **(178 ملم)**، أمّا قطر قاعدته فيقدر**(110 ملم)** وسمكه **(14 ملم)**، والآخر الذي تراوحت مقاساته بين الحجر الكبير الذي بلغ **(270ملم ، 107ملم، 40ملم)** والحجر المتوسط **(220ملم، 105ملم، 45ملم)**، أمّا الحجر الصغير منه فمقاساته **(205ملم، 105ملم ، 24ملم)**[7] .

---

1) صالح يوسف بن قربة ، تاريخ مدينتي...، المرجع السابق ، ص ـ ص. 357 ـ 358 .

2) محمد البشير الشنيتي ، الجزائر أثناء الاحتلال الروماني... ، مرجع سابق ، ج.1 ، ص. 178 .

3) ديفل سميحة ، **أهل المراكز الصناعية في المغرب الأوسط** ، مجلة آثار ، ع.15 ، جامع الجزائر 2 أبو قاسم سعد الله ، الجزائر ، 2016 ، ص. 195 .

4) G.Marcais . les poteries et faiences de la Qal'a des Bani Hammad , Contribution a l'étude de la Céramique Musulmane , Constantine , 2013 , p28 .

5) صالح يوسف بن قربة ، تاريخ مدينتي...، مرجع سابق ، ص. 359 .

6) الأجر وهو الحجارة لها خروق يوقد عليها حتى إذ نضجت بنا بها (للمزيد أنظر: ابن منظور ، مصدر سابق ، مج.5 ، ص. 3606) .

7) محمد الطمار ، مرجع سابق ، ص. 234 .

كما تنوعت مواضيع الزخارف الموجودة بالقلعة بين استخدامات كتابية مثل الخطّ الكوفي، وهندسية مثل الزخرفة بخطوط مستقيمة أو متشابكة أو معمارية، إضافة إلى استخدامات نباتيّة مثل زخرفة اللفائف والغصّون وذلك لتأثّره بمحيطه الطبيعي وأخيرا مواضيع الكائنات الحية مثل زخرفة رسوم الحمير، الخيل[1]، الرسوم الآدمية وغيرها[2] .

وقد وجدت في القلعة وأشير أنواعا مختلفة من الزخارف منها الخزف العادي والمطلي وأيضا المزخرف بالرسوم وكذلك الخزف المفروض، كما وجد في القلعة الخزف ذو البريق المعدني حيث استعمل هذا الأخير عوض الأواني الفضيّة الذهبية وأصله من الصلصال المعروف ليضاف له بعض المواد التي تكسبه بريقا معدنيا ما يجعله صالحا ليكون بديلا لأواني الذهب والفضّة[3] ، وقد تعدّدت الأواني وأدوات هذا الصنف الأخير وتنوعت بحسب الوظيفة التي كانت تؤديها في الاستعمال اليومي الّتي من بينها الخاصّة بعامّة الناس وهي واسعة الاستخدام، ونوع جد رفيع الصّنع يقتصر على الخاصّة فقط، ومن تلك الأدوات نجد الأواني الطعام المتمثلة في الصحون، الأطباق، الأقداح[4]، أواني الشرب كالأباريق والقلل

1) **للمزيد انظر الملحق ، رقم (07) ، ص. 197 .**

2) عبد العزيز لعرج ، **الإبداع الفني والصناعي في مجال الخزف بقلعة بني حماد وعلاقات القلعة بالمراكز الخزفية مشرقا ومغربا**، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس (398هـ/1427م ،2007/1007) المسيلة أيام 11/10/90أفريل2007م ، جامعة المسيلة ، الجزائر ،2007 ، ص ، ص. 188 ، 193.

3) محمد الطمار ، مرجع سابق ، ص. 234 .

4) مفردها القدح من الآنية استخدمته للشرب ، (للمزيد أنظر : ابن منظور ، مصدر سابق ، مح.5 ، ص. 3541) .

والجرار والأزيار[1]، إضافة أيضا للأدوات المخصّصة للإنارة كالمسارج[2]والمصابيح والقناديل على اختلاف أشكالها وأحجامها[3] .

أمّا اللّون الغالب في زخارف هذه البقايا هو اللّون البنّي والأخضر، أما الأصفر فهو قليل الظهور، بينما الأزرق لم يظهر إلاّ في القطع التي يعود تاريخها إلى فترات متأخرة[4]، إضافة إلى اللّون الأبيض الذي يستخدم كطلاء للأرضيّة على بطانة تغطّي جسم الإناء[5] .

كما يؤكد الباحث قراوي عبد النور قيام صناعة فخاريّة في مدينة طبنة وذلك من خلال آثار القرميد المقشم، إضافة إلى العثور على قطع فخاريّة متلاصقة و عوجاء مصنوعة من طين أبيض وخوخي مائل إلى الاحمرار والمطليّة بطلاء أبيض مزيّنة بزخرفة، ويضيف أنّ انتقال صناعة القرميد واستعماله في بقيّة مدن المغرب الأوسط كان من مدينة طبنة ومردّه إلى ذلك أنّها سبقتهم في التّحضر[6]، كما وجدت بقصر الدّوسن بعض القطع الفخاريّة التي تعود إلى العهد الحمّادي[7] .

1) الذي يوضع فيه الماء ، وجمعها أزيار ، (للمزيد أنظر : القاموس المحيط ، مصدر سابق ، ص. 407) .

2) المصباح الزاهر الذي يوقد بتيلة والدهن ، (للمزيد أنظر : محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص. 283) .

3) سرحان حليم ، **ملامح من فخار بني حماد في القرن الخامس الهجري ــ دراسة أثرية ــ** ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، ع.11 ، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة ، الجزائر ، ديسمبر 2016 ، ص ـ ص.153 ـ 154 .

4) إسماعيل العربي، دولة بني حماد... ، مرجع سابق ، ص. 241 .

5) عبد العزيز لعرج ، مرجع سابق ، ص. 186 .

6) قراوي عبد النور، مرجع سابق ، ص ـ ص.209 ـ 210 .

7) مختار حساني ، الحواضر والأمصار...، مرجع سابق ، ص. 20 .

على العموم فقد كشفت العديد من الأبحاث الأثرية على وجود الصناعة الفخاريّة والخزفيّة في بعض مدن الزاب وبطبيعة الحال أنّها توجد مدن إنتاجية للفخار بالمنطقة تحتاج للكشف عنها .

الفصل الرابع :

النشاط التجاري في إقليم الزاب

أولا : المراكز التجارية

ثانيا : الطرق والمسالك التجارية

ثالثا : الأسواق والأسعار

رابعا : النظام التجاري في الزاب (وسائل التعامل)

خامسا : التبادل السلعي

تعتبر التجارة من الأنشطة التجارية التي مارسها الإنسان منذ زمن بعيد ، وقد تعدّدت آيات كثيرة في القرآن الكريم تحثّ على ممارسة التجارة ، يقول الله تعالى : ﴿ **يَأَيُّهَا اَلذِين ءَامَنُواْ لَا تَاكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةٌ عَن تَرَاض مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُواْ أَنْفُسَكُمُ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾[1]، فقد ساهم النشاط التجاري في اقتصاد إقليم الزاب، وذلك من خلال توفر العديد من العناصر الرئيسية التي تعدّدت في نجاحها سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي نذكرها :

أولا : المراكز التجارية

تتّفق جلّ المصادر الجغرافية خلال العصر الوسيط على أنّ التجارة في إقليم الزاب كانت نشطة بها خاصة بحواضرها الكبرى التي أصبحت مراكز تجارية مهمّة تستقطب عددا كبيرا من التجار من مختلف الأمصار، و من بين أشهر هذه المراكز نذكر :

1- طبنة :

تعدّ مدينة طبنة من أشهر المراكز التجارية منذ القرن (2هـ - 8م)، حيث يسمّيها اليعقوبي : « **مدينة الزاب العظمى** »[2]، إضافة إلى الموقع الاستراتيجي بين مفترق الطرق ما

1) سورة النساء ، الآية 29 .

2) اليعقوبي ، مصدر سابق، ص. 190 .

بين الزاب و الأوراس وبلزمة [1]، كما تعدّ نقطة عبور هامّة بين القيروان وسجلماسة ممّا ساعد على النشاط التجاري بها[2]، وهي لا تزال في أوائل القرن (4هـ - 10م) مركزا صناعيا وتجاريا هامّا[3]، وقد وصفها ابن حوقل خلال القرن (4هـ) بأنّها مدينة غنية بمحاصيلها الزراعية وامتلاكها ثروة عظيمة من البقر والغنم، إلاّ أنّها تعرّضت في عهده إلى الانحطاط والضيق وتحولت عزّتها إلى مذلّة وأصبح سكانها قلّة وشتات مشردّين في مختلف البلاد بسبب الفتن والنزاعات بين أهلها[4] .

إلّا أنّ المدينة استعادت مكانتها السابقة في عهد بني حمّاد، و ذكرها البكري بأنّ بها قصور وأرباض وصهاريج على نهر بيطام الذي يسقي جميع بساتينها وفحوصها وأهلها، وكان بالمدينة أسواق كثيرة وليس من القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها[5]، لتستمرّ المدينة بالدور الذي تقوم به وتمتع بمكانتها التجارية في عهد الإدريسي الذي وصفها « **طبنة مدينة الزاب الحسنة وبها صنائع وتجارات وأموال لأهلها متصرفة في ضروب التجارات** »[6]، فكانت مدينة طبنة تتسم بجميع الخصائص التي تميز المدن الإسلامية الثانوية وتمثل مركزا تجاريا مهمّا في الفترة الوسيطة[7] .

---

1) الهادي الروجي إدريس ، مرجع سابق ، ج.2 ، ص. 91 .

2) الطاهر بونابي ، **التصوف في الجزائر خلال القرنيين 6 و 7 الهجريين /12 و 13 الميلاديين ـ نشأته ، تيارته ، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي** ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2004 ، ص. 90 .

3) الهادي الروجي إدريس ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 91 .

4) ابن حوقل، مصدر سابق، ص. 85 .

5) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 50 .

6)الإدريسي، المغرب العربي ... ، مصدر سابق ، ص. 119 .

7) إسماعيل العربي ، دولة بني حماد ... ، مرجع سابق ، ص. 235 .

2- ميلة :

مدينة قديمة سمّيت " **milev** "، تعتبر مركز دفاعي منذ العهد البيزنطي[1]، وقد تمّ تحريف اسمها إلى ميلة من طرف العرب،كما حدّد اليعقوبي موقعها القريب من البحر بقوله : « **سواحل البحر قريبة من هذه المدينة و لها الكثير من المراسي** »[2] .

وقد شهدت مدينة ميلة في العهد الحمّادي نهضة اقتصادية ونشاط تجاري مستمر ساعدها في ذلك الأراضي الزراعية الخصبة المحيطة بها ، فضلا عن موقعها الاستراتيجي في ملتقى الطرق التجارية التي تربطها بالمدن والحواضر الافريقية الداخلية منها والساحلية مثل : قسنطينة ، سطيف ، نقاوس ، سكيكدة ، بجاية وغيرها[3] ، وهذا ما تؤكّده مختلف الأوصاف التي ذكرها الجغرافيين والرّحالة المسلمين ، فيصفها البكري بقوله : « **أنّ بها ربض وجامع وأسواق وحمامات وهي من مدن الزاب** »[4] ، كما قال عنها الإدريسي : « **ميلة حسنة كثيرة الأشجار والثمار والفواكه ومحاسنها ظاهرة** »[5] ، كما تحدث عنها صاحب الاستبصار بقوله : « **ميلة كثيرة الأسواق والمجار...**»[6] ، لتتراجع مكانتها خلال العهد الموحّدي إلى مدينة قسنطينة[7] .

---

1) الطاهر الطويل ، مرجع سابق ، ص. 61 .

2) اليعقوبي ، مصدر سابق ، ص. 190 .

3) عبد العزيز الفيلالي ، إبراهيم بحاز ، **مدينة ميلة في العصر الوسيط** ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2007 ، ص ، ص. 42 ، 44 .

4) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص 64 .

5) الإدريسي ، المغرب العربي... ، مصدر سابق ، ص. 121 .

6) الاستبصار ، مصدر سابق ، ص. 166 .

7) عبد العزيز فيلالي ، إبراهيم بحاز ، المرجع السابق ، ص. 45 .

3– المسيلة :

كانت هي الأخرى مركزا تجاريا هامّا في بلاد الزاب، إذ أنّ الفاطميين منذ تأسيسها أعدّوها لتلعب دورا عسكريا واستراتيجيا يتمثل في مراقبة الطريق الرابط بين المغرب الأوسط والأدنى (إفريقية)[1]، فكان موقع هذه المدينة في المكان الوسط جعلها محاطة بالمدن الكبرى والعامرة بالمنطقة، كما أصبحت ملتقى المسالك والطرق التجارية[2]، فوصف ابن حوقل المسيلة وجعل منها ممرّا رئيسيا يفوت عليها مسلكان هامّان يربطان بين القيروان وفاس[3]، وقد كانت المسيلة خلال القرن (5هـ ـ11م) منطقة زراعية لأنواع وافرة من المحاصيل الزراعية والأراضي الرّعوية التي تعيش بها مختلف الحيوانات ومركز عبور لطرق الثلاثة بين الشرق والصحراء والشمال، كما استفادت القلعة من هذه المحطّة التجارية استفادة كبيرة بتدعيمها للتجارة الداخلية بين المدن والريف[4]، فقال عنها الإدريسي : أنّها عامرة بالناس والتجار[5]، وبالتالي أصبحت مدينة المسيلة ذات أهميّة اقتصادية ونقطة مركزية تراقب المسالك التجارية[6] .

---

1) صالح بن قربة ، تاريخ مدينتي...، مرجع سابق ، ص. 24.

2) محمد سعداني ، **أسرة بني حمدون الأندلسية ودورها في المغرب والأندلس خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي** ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية ، إشراف : محمد بن معمر ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، 2007 ـ 2008 ، ص. 58 .

3) صالح بن قربة ، تاريخ مدينتي... ، المرجع السابق ، ص. 24 .

4) عبد العزيز فيلالي ، **قلعة بني حماد الحضارة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 50هـ / 11م** ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، (د . س) ، ص. 11 .

5) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص. 254 .

6) صالح بن قربة، تاريخ مدينتي...، مرجع السابق ، ص. 24 .

4- القلعة :

تعدّ القلعة من أشهر المراكز التجارية خاصة في عهد الدولة الحمّادية لاسيما قبل اختطاط مدينة بجاية، فقد تربعت على عرش الحواضر الإسلامية الاقتصادية وذلك بفضل موقعها الذي يرى البعض أنّ سبب اختياره هو قربها من مدينة المسيلة الواقعة في أسفل المرتفعات التي شيّدت عليها القلعة من جهة، وأيضا إشراف المسيلة على طريق القوافل منذ العهد الفاطمي من جهة أخرى، وأكّد هذا الترابط ما لاحظه الإدريسي من أنّ المدينتين متجاورتين متكاملتين[1]، فهو يربط أيضا بين مجالين الصّحراوي والمتوسطي من جهة، والمشرق والمغرب الإسلاميّين من جهة ثانية[2]، وهذا ما أكّده البكري أيضا بقوله:« **هي اليوم مقصد التجار وبها تحلّ الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب** »[3] .

كما فتحت القلعة أبوابها لكلّ باحث عن الأمن من مختلف المذاهب و الأديان ففي تلك الفترة كان العرب والبربر، السنيّون، الشيعيّون، الإباضيّون، يعيشون جنبا إلى جنب خاصة بعد سقوط القيروان[4]، وبهذا الصدد ذكر ابن خلدون : «...**ورحل إليها من الثغور والقاصبة والبلد البعيد طلاّب العلوم وأرباب الصنائع لميثاق أسواق المعارف والخزف والصنائع بها...**»[5]، وظلّت القلعة تستقبل الوافدين عليها من إفريقية والمغربين الأوسط والأقصى ومن

---

1) عبد العزيز فيلالي ، قلعة بني حماد... ، مرجع سابق ، ص. 9 .

2) بوبة مجاني ، **ألفية مدينة القوافل القلعة الحمادية ودولتها** ، مجلة القلعة الثقافية ، ع.2 ، ديسمبر 2004 ، مجلة دورية تصدرها دار الثقافة الشهيد الحملاوي لولاية المسيلة ، ص. 26 .

3) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 49 .

4) إسماعيل العربي ، دولة بني حماد... ، مرجع سابق ، ص. 129 .

5) ابن خلدون ، العبر... ، مصدر سابق ، ج. 6 ، ص. 227 .

الأندلس وصقلية بعد سقوطها بيد الرومان[1]، فبفضل هذه العناصر الوافدة تطورت بسرعة وأصبحت من أكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا وأحسنها قصورا ومساكن وخصبا وحنطتها الرّخيصة ولحومها السّمينة[2] .

وللحفاظ علىهذه المكانة عملت السلطة الحمّادية على تأمين الطرق وحراستها وإقامة المحاريس والشواهد لهدي القوافل، كما عمدت على تنظيم الأسواق وتوفير الراحة للتجار لضمان سهولة تحركاتهم التجارية[3]، لتستمرّ بدورها التاريخي والتجاري إلى أن تعرّضت للاختناق؛ نتيجة الغزو الهلالي ما اضطرّ بنو حمّاد لإيجاد ملجأ لهم في مدينة بجاية[4] .

5- بسكرة :

شكلت مدينة بسكرة أيضا محطّة اقتصادية هامّة في البلاد الزابية وذلك نظرا لموقعها المتميز الذي يتحكم في الممرّ الرابط بين الصحراء و التل فاعتبرت بذلك بوابة الصحراء[5]، فكانت محطة تجارية وجسرا يربط بين مدن شمال المغرب الأوسط ببلاد السودان فضلا على أنّها بلد فريد للغنَى ذو إمكانيات واسعة حيث وصفها الإدريسي بقوله : « **أنّها حصن منيع بها سوق و عمارة** »[6]، وبهذا عدّت مدينة بسكرة محطة رئيسية في مفترق الطرقات[1] ، كلّ

1) محمد الطمار، مرجع سابق ، ص. 136 .

2) الإدريسي ، المغرب العربي... ، مصدر سابق ، ص. 109. .

3) بوبة مجاني ، مرجع سابق ، ص.27 .

4) موريس لومبار ، مرجع سابق ، ص. 108 .

5) العياشي ، مصدر سابق ، ص. 540 .

6) الإدريسي ، المغرب العربي.. ، المصدر السابق ، ص. 121 .

هذا مكنّها لتصبح من بين مدن المغرب الكبرى والعاصمة الحقيقية لمدينة الزيبان بتمامها وكمالها[2] .

ثانيا : الطرق والمسالك التجارية

اعتبرت الدراسات والأبحاث أنّ كل من القرن(3 ـ 4 هـ / 9 ـ 10م)، وهما القرنيين الذين تأسست فيهما جغرافيّة المسالك والممالك في العالم الإسلامي[3]، كما اعتبر القرن (4هـ) قرن الجغرافية العربية العظيم وهيمنة مواصلات القوافل على المجتمعات الإسلامية الكبرى[4].

1– كيفية حساب المسافات عند الجغرافيين المسلمين :

استعمل الجغرافيون المسلمون عدة طرق لحساب المسالك والطرق البرية كما أعطوا تسميات لكل طريقة ، ونذكر على سبيل المثال :

– الفرسخ :

---

1) علي الهطاي ، مرجع سابق ، ص 121 .

2) روبار برنشفيك ، مرجع سابق ، ج.1 ، ص. 327 .

3) أغناطيوس كراتشكوفسكي ، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، نق إلى العربية: صلاح الدين عثمان هاشم ، دار الثقافة ، 1957، ج.1 ، ص 197 .

4) أندري ميكيل ، **جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر** ، تر: إبراهيم خوري ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1953 ، القسم الثاني ، ص 68 .

اختلف في أصل كلمة الفرسخ فهناك من يعتقد أنّ الكلمة فارسيّة وأصلها فرسنك ، وهناك من قال أنّ أصلها عربي[1] ، يستخدم الفرسخ لقياس المسالك ويقدر الفرسخ بثلاث أميال[2]، وحدّده المقدسي بقوله« كل مائة فرسخ اثنا عشر ألف ذراع »[3] ، والفرسخ الواحد يساوي اثنا عشر ألاف ذراع ، كما يساوي سبعة آلاف خطوة[4]،و بعملية حسابية من أجل تحويل الفرسخ بالكيلو متر، الذراع يساوي 48 سم أي 12000×48=5.760كم[5] .

– الميل :

الميل هو ثلث الفرسخ[6] ، وحدّده القاضي النعمان حين قال : « **والميل ثلاثة آلاف ذراع** » [7] ، فيساوي إذن 3000×48=144000سم أي 1.440كم[8] .

– المرحلة :

1) الحموي ، مصدر سابق ، ج .1 ، ص ـ ص 35 ـ 36 .

2) إبراهيم محمد أحمد البلولة ، **إسهامات العلماء المسلمين في تطوير علم الجغرافيا** ، مجلة دراسات دعوية ، ع.7 ، يناير 2004 ، ص 3 .

3) المقدسي ، مصدر سابق ، ص. 65 .

4) الحموي ، المصدر السابق ،ج.1 ، ص. 36 .

5) أسامة الطيب جعيل ، مرجع سابق ، ص. 154 .

6) المقدسي ، المصدر السابق ، ص. 66 .

7) القاضي النعمان ، مصدر سابق ، ص 277 .

8) أسامة الطيب جعيل ، المرجع السابق ، ص 154 .

كان استعمال المرحلة أكثر شيوعا في كتب الرّحالة أثناء ذكرهم المسافات بين مدينة وأخرى [1]، وحدّدت المرحلة الواحدة بست فراسخ[2]، وقد تزيد أو تنقص، وبما أنّ الفرسخ يساوي 5544 مترا ،فإنّ المرحلة في هذه الحالة تكون ما بين 33 كلم أو 38 كلم، وتعتبر المرحلة مسيرة يوم واحد مشيًا على الأقدام[3] .

– المجرى :

وحدة قياس المسافات البحرية ويساوي المجرى 102 ميلا، وإذا ما اعتبرنا أنّ الميل يساوي1453م، فإنّ المجرى يساوي 148.206كلم[4] .

تعد الطرق الرابطة بين مدن الزاب متعدّدة، وقد أنشأها الرومان التي تدعمت بمنافذ جديدة إزاء الطرق القديمة وهذا راجع لنمو المدن وحركة التجارة الكبرى[5]، وهناك نوعين من الطرق :

1– <u>الطرق الداخلية :</u>

1) جودت عبد الكريم ، مرجع سابق ، ص 75 .

2) المقدسي ، مصدر سابق ، ص . 106 .

3) جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص. 75 .

4) نفسه .

5) نفسه ، ص. 154 .

عرفت بلاد الزاب بكثرة مسالكها التجارية وتغيّرها حسب الفترات التاريخية المرتبطة أساسا بالوضعية السياسية للدول المتعاقبة على حكم البلاد[1]، وقد أطنبت لنا المصادر في ذكر هذه الطرق، ومن بين أهم الرّحالة والجغرافيين الذين قدّموا لنا وصفا دقيقا عن مسالك وطرق بلاد الزاب ابن حوقل الذي زار الإقليم في العهد الفاطمي وتعرّض للنشاط التجاري وفي مقدّمة ذلك المسالك التجارية[2]، كما وصف شبكة الطرق المواصلاتية في الإقليم« **ولباغاي طريق الآخذ على بلزمة إلى نقاوس وطبنة، ويتصل هذا الطريق بطريق مجانة إلى تيجس الى قسنطينة إلى ميلة إلى سطيف إلى المسيلة** »، وعلى حسب ما أورده ابن حوقل أنّ هذا الطريق طويل يربط بين عدّة مدن في البلاد وهو الطريق الشمالي[3]، وهناك طريق آخر يربط بين باغاي ودوفانة؛ قرية في جبل الأوراس إلى دار ملول إلى طبنة، ثمّ إلى مقرة وصولا إلى المسيلة[4] .

كما ذكر المسافات التي تربط بين كل مدينة والأخرى، فمن المسيلة إلى أشير مرحلتان، ومن طبنة إلى بسكرة مرحلتان، ومن بسكرة إلى تهودة مرحلة[5]، ووصف البكري طريقا من مسكيانة إلى باغاية وصولا إلى جبل الأوراس، ثمّ من بلزمة إلى مزاتة، وهناك طريق يصل من نقاوس إلى طبنة[6]، ذكر لنا الإدريسي منافذ جديدة تربط بين مدن الإقليم، فنالك طريق طويل يربط كل من باغاية، بلزمة، سطيف، القلعة ويصل إلى بجاية[7]، حتّى أنّه

1) على الهطاي ، مرجع سابق ، ص. 119 .

2) مختار حساني ، تاريخ الجزائر...، مرجع سابق ، ص 25 .

3) ابن حوقل ، مصدرسابق ، ص. 85 .

4) نفسه .

5) نفسه ، ص. 87 .

6) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 50 .

7) **للمزيد من المعلومات انظر الملحق رقم (08) ، ص. 198 .**

قدر المسافات الرابطة بين كل مدينة وأخرى، فمن القلعة إلى الغدير 18 ميلا[1]، ومن المسيلة إلى طبنة مرحلتان، ومن المسيلة إلى مقرة مرحلة ومن هذه الأخيرة إلى طبنة كذلك مرحلة،ثم يصف طريق جنوبية تربط بين مدينة طبنة ونقاوس وبنهما مرحلتان، من نقاوس إلى المسيلة أربع مراحل، ومن نقاوس إلى حصن بسكرة مرحلتان[2] .

وأورد المقدسي الطريق من باغاي، دار ملول، طبنة، مقرة، المسيلة، وبين كل واحدة والأخرى مرحلة على الترتيب، ومن المسيلة إلى أشير ثلاثة أيام[3]، كما أكدت لنا هذه المسالك الداخلية والمحلية على تماسك وتواصل الطرق بين مختلف البلاد الزابية وهو ماساهم في جعلها ممرًا حيويًا لتجارة القوافل[4] .

2- الطرق الخارجية :

تناولت المصادر الجغرافية هذه المسالك وبينوا مراحلها ومسافاتها وما بها من صعوبات، وتسهيلات[5]، ويمكن توضيح هذه الطرق نذكر :

1) الإدريسي ، نزهة المشتاق...، مصدر سابق ، ص ـ ص 260 ـ 261 .

2) الإدريسي، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص ـ ص. 263 ـ 264 .

3) المقدسي ، مصدر سابق ، ص. 246 .

4) علي الهطاي ، مرجع سابق ، ص 116 .

5) فاطمة بلهواري، **التبادل التجاري بين مدن المغرب الأوسط خلال القرن الرابع هجري** ، مجلة إنسانيات ، ع. 42 ، أكتوبر، ديسمبر 2008 ، ص . 63 .

– الطريق البري الأول :

يبدأ هذا الطريق من القيروان، ويتفرع منه ثلاث طرق تلتقي عند المسيلة، كما يتوسط الطريق الأول فرعين آخرين، الأول من القيروان إلى تاهرت ويمر هذا المسلك بباغاية وبلزمة وطبنة وأذنة ببلاد الزاب إلى أن يصل إلى تاهرت[1]، ووصف ابن حوقل هذا الطريق الذي يجتاز مرجمانة؛ والتي تعتبر مفترقا للطرق ويتفرع منها طريقان، واحد باتجاه مسكيانة غربا ثم باغاية ومن هذه الأخيرة انقسم هذا الطريق إلى فرعين، واحد باتجاه، بلزمة، نقاوس، طبنة، وهذا الطريق يصل إلى مدينة ميلة وسطيف ثم أشير .

أمّا الفرع الأول من باغاي نحو مدينة دوفانة ودار ملول إلى طبنة مقرة والمسيلة لتنتهي عند تهيرت، ليصل عند مدينة فاس، أمّا الفرع الثاني الشمالي العام فيربط القيروان بالمسيلة،حيث يمرّ على كتامة والأربس، ويسير باتجاه مدينة تيجس ومنه إلى قرى عديدة إلى المسيلة[2]، والفرع الثالث الجنوبي الذي يربط القيروان بالمسيلة ويمر على مناطق الواقعة جنوب جبال الأوراس وهي منطقة الجريد والواحات، ويربط هذا الطريق المسيلة بطبنة ثم تهودا وبادس، وينتهي في قفصة[3] .

– الطريق البري الثاني :

1) فاطمة بالهواري ، مرجع سابق ، ص. 67 .

2) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص ـ ص. 84 ـ 85 .

3) فاطمة بلهواري ، المرجع السابق ، ص. 69 .

يقع هذا المسلك باتجاه الغرب نحو مدينة تاهرت وفاس أين التقاء القوافل التجارية البرية الداخلية، وحدّد المقدسي مسافته فذكر أنّه يبدأ من تاهرت إلى أشير ثمّ المسيلة ثمانية أيام زمنها إلى مجانة وصولا إلى القيروان، وهذا الطريق يعتبر أقصر الطرق إذ لا يتعدىّ مسافته أربعة عشر يوما[1]، ووصف ابن حوقل هذا الطريق بين فاس والمسيلة بالعكس حيث ابتدأ من فاس ومنتهيا بالمسيلة مرورا إلى القيروان[2]، كما أشار أنّ هذا الطريق بموازاة الساحل ويتفرع هو الآخر إلى طريقين، الأول باتجاه الشرق إلى تاهرت والثاني يسير بموازاة البحر إلى مدن الشلف وتنس والخضراء وينحرف الطريق إلى مدينة مليانة ليصل بعدها إلى مدينة أشير التي تبعد عن مدينة المسيلة بثلاثة مراحل والمؤدية إلى القيروان[3] .

– <u>الطريق البري الصّحراوي الثالث :</u>

وصف الإدريسي المسافة بين الزاب والسودان الغربي ويقول : « **ومن مدينة المسيلة إلى ورقلان اثنا عشر مرحلة كبار...ومن ورقلان إلى غانة ثلاثون مرحلة، ومن ورقلان إلى كوغة نحو شهر ونصف...**»[4]، وهذه الطرق تحرك التجار وقوافلهم المحمّلة بالسلع المختلفة إلى الإقليم وإلى المدن المجاورة[5]، وأورد ابن حوقل الطريق الصحراوي وقال : « **ما بين بلاد المغرب وبلد السودان مفاوز وبراري منقطعة قليلة المياه متعذرة المراعي لا تسلك**

1) المقدسي ، مصدر سابق ، ص. 247 .

2) ابن حوقل ، مصدر السابق ، ص ـ ص 88 ـ 89 .

3) نفسه ، ص. 89 .

4) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص ، ص. 260 ، 262 .

5) أسامة طيب جعيل ، مرجع سابق ، ص. 158 .

إلا في الشتاء »[1]، ويربط هذا الطريق تاهرت بالقيروان عبر مدينة ورقلة، فكان المسافر يخرج من تاهرت إلى ورقلة ومنها إلى بسكرة ثمّ إلى القيروان، وهو نفس الطريق الذي سلكه يعقوب الرستمي عند مغادرته تاهرت فارًّا من عبد الله الشيعي، وقد كان طريقا محفوفا بالمخاطر وشاقّا، ورغم هذا فهو سريع لقلة التوقف فيه[2].

الظاهر أنّ هذه المسالك قد اجتمعت في إقليم الزاب وأحاطت به شبكة من الطرق التجارية سواء القديمة أوالجديدة[3]، ومنها طريق الذهب والرقيق القديم الرابط بين غانة ومصر عن طريق بلاد النوبة التي تحولت بسبب ما يواجه القوافل من مخاطر اللصوصية وما شابهها، واتجهت إلى بلاد المغرب ،فغدت القيروان وبلاد الجريد ورجلان وتاهرت وتلمسان وفاس وسجلماسة مراكز تجارية هامة تفرعت منها شبكة طرق عديدة[4] .

كما تفرع من بسكرة طريق جنوبية نحو توزر عاصمة قسطيلية فأورد البكري « **إلى مدينة توزر وهي آخر أقاليم بلد قسطيلية وبينها وبين بسكرة خمسة أيام** »[5]، والطريق الثاني نحو ورجلان باتجاه بلاد السودان والذي يمر عبر تمبكتو، وبهذا أصبحت بلاد الزاب منطقة ربط بين مختلف الكيانات السياسية في بلاد المغرب ،كما زادت أهميتها بفضل نشاط حرتها التجارية ومسالكها ، كما لعب الموقع الذي برز دوره في نمو المنطقة وانتعاشها

1) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 87 .

2) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 207 .

3) **للمزيد من المعلومات أنظر الملحق رقم (09) ، ص. 199 .**

4) صورية مديازة ، مرجع سابق ، ص. 88 .

5) البكري ، المسالك... ، مصدر سابق ، ص. 743 .

اقتصاديا وتحولها إلى قطب أساسي في التجارة ببلاد المغرب على طول الطرق الرابطة بين جميع الجهات المحلية والإقليمية[1] .

ثالثا : الأسواق والأسعار

1- <u>الأسواق :</u>

وردت كلمة الأسواق في عدّة مرات في القرآن الكريم لقوله عزّ وجلّ ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ اَلْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ اَلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي اَلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكاَنَ رَبُّكَ بَصِيرًا** ﴾[2] .

والسُّوق **لغة:** بضم السين مشددة وممدودة وجمعه أسواق ، وهو مكان البيع والشراء ويضع الناس فيه بضائعهم[3]، وذكر الونشريسي أنّ السوق مكان التقاء التجار والسلع[4] ، أمّا المعنى **الاصطلاحي** : للسوق فعرّفه ابن خلدون: « **إعلم أنّ الأسواق كلّها تشتمل على حاجات الناس فمنها الضروري وهي الأقوات من حنطة وما معناها...ومنها الحاجي والكمال يمثل الفواكه والملابس** »[5] .

---

1) علي الهطاي ، مرجع سابق ، ص. 121 .

2) سورة الفرقان ، الآية ، 20 .

3) محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص. 299 .

4) الونشريسي ، مصدر سابق ، ج.2 ، ص. 05 .

5) ابن خلدون ، المقدمة...، مصدر السابق ، ص. 453 .

لقد شكلت الأسواق عصب الحياة الاقتصادية في المجتمع المغربي، وهذا ما أطنبته كتب الجغرافية، الحسبة، النوازل، الفقهية وغيرها[1]، وكانت تقوم حيث التجمعات السكانية، ولها أماكن مخصصة للتبادل التجاري وللتزود بما يحتاج الناس[2]، فيقصدها القريب والبعيد،كما وفرت السلطة شروط الأمن من أجل الحفاظ على الهدوء وعدم التعرض للسرقة وما شابه[3]، كما كانت تقام معاهدات مع القبائل مبنيّة على حسن الجوار والرعاية والحماية، وأحيانا كانت تقام الأسواق في حمى أحد الأمراء كم تأخذ اسمه ومن هذا سوق حمزة وسوق ابراهيم وسوق يوسف[4].

وتختلف وظائف السوق بحيث لم تكن مقتصرة على البيع والشراء فقط بل تعدّت وظائف أخرى سواء كانت سياسية أواجتماعية أو ثقافية، وأشار الإدريسي أنّ لقرية ريغة سوق « **صالحةيباع بها ويشترى ويقضى منها حوائج أخرى** »[5]، ومن بين هذه الحوائج التّشهير بالناس حيث ذكر الخشني أنّ سليمان بن عمران طلب منه « **اذهب إلى صاحب السوق من سوق الجمال...كي يبعث إلي بأربعة جمال حتى أطوف عليها رجالا شهدوا عندي زورا** »[6]، كما كانت الأسواق ملاذا للفارّين وميدانا للبحث عنهم، فيروي لنا عبد الواحد المراكشي قولابن عمار :

---

1) فاطمة بلهواري ، مرجع سابق ، ص. 74 .

2) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 134 .

3) أسامة الطيب جعيل ، مرجع سابق ، ص.179

4) جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص. 135 .

5) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص. 254 .

6) الخشني ، **قضاة قرطبة وعلماء إفريقية** ، نشره وصححه السيد: عزت العطار الحسني، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1953 ، ص. 238 .

أصبحت في السوق يُنادى على رأسي بأنواع من المال

والله ماجار على ماله من ضمني بالثمن الغالي[1].

وذكر الدّرجيني أنّ صبيا يتيما جاء أبا معروف بدران بن جواد من أجل استغاثته فقال له « **يا عمي رأيت سيف أبي في يدي دلال في السوق لبيعه وانما ناوله اياه بعل أختي وحقي في السيف باق ، فسأحضرأبا معروف الدلّال أشهر نصيب الابنة دون نصيب أخيها** » ، ويفهم من كلامه أنّ السوق كانت ملاذا لبيع المسروقات[2]، كما كانت الأسواق تفتح مجال للتعارف والالتقاء والتقاط الأخبار والاطلاع على مستجدات الحياة، والوعظ والإرشاد كما يقع فيها المنافرة والغدر والدعوة لمذهب معين والعثور على المفقودين[3].

أمّا عن أنواع الأسواق فقد كشفت لنا المصادر عن وجود نوعين أساسين من الأسواق كان ينظمها المجال الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي[4] وهما كالآتي :

– الأسواق اليومية أو الدائمة :

1) عبد الواحد المراكشي ، مصدر سابق ، ص ـ ص. 123 ـ 124 .

2) الدرجيني ، **طبقات المشايخ بالمغرب** ، تح : ابراهيم طلائ ، مطبعة البعث ، الجزائر ، (د. س) ، ج.2 ، ص. 326 .

3) شباب عبد الكريم، **جوانب من النشاط الاقتصادي في المغرب الأوسط خلال فترة القرنيين 7 ــ 8هـ/13 ــ 14م ـ الأسواق نموذجا** ـ ، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة الطاهر مولاي ، سعيدة ، (د.س) ص. 415 .

4) فاطمة بلهواري ، مرجع سابق ، ص. 74 .

وهي الأسواق الثابتة داخل كل المدينة ، والتي لا تكاد تخلو أيّ منها ، ويعدّ توزيعها على نطاق واسع من بلاد المغرب الإسلامي[1]، فكانت تعج بضروب السلع وأصناف المتاجر وتقاطر عليها التجار من كل حدب وصوب[2]، ذكر الإدريسي أنّ حصنت أكلات به سوق دائمة و فواكه ولحوم كثيرة[3] .

– الأسواق المؤقتة :

تقام هذه الأسواق في أيام معلومة من الأسبوع أو الشهر، كما كانت حاجة سكان القرى والأرياف البعيدة عن مراكز المدن سببا في قيامها[4]، كما تعرف باسم ذلك اليوم حيث يبنى السوق في الصباح ويفض في آخر اليوم[5]، وكثيرا ما أوردتها المصادر الجغرافية بنوع من الدقة في تحديد أيامها[6]، فعلى سبيل المثال سوق الأحد[7]، سوق الثلاثاء، سوق الخميس[8]،

---

1) كريم عاتي الخزاعي ، **أسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري** ، الدار العربية للموسوعات ، (د . ب) ، (د . س)، ص. 27 .

2) فاطمة بلهواري ، مرجع سابق ، ص. 74 .

3) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص. 262 .

4) كريم عاتي الخزاعي ، المرجع السابق ، ص. 49 .

5) خالد بلعربي ، **الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني** ، دورية كان التاريخية ، ع.6 ، ديسمبر 2009 ، ص. 33 .

6) فاطمة بلهواري ، الحياة الإقتصادية... ، المرجع السابق ، ص. 74 .

7) العزيزي الجوذري ، **سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين** ، تق وتح : محمد كامل حسين ومحمدعبد الهادي شعيرة ، دار الفكر العربي ، مصر ، ص. 88 .

8) الحموي ، مصدر سابق ، ج.1 ، ص. 239 .

وسوق الجمعة[1]، يذكر الإدريسي أن في مدينة أشير « **حصن له سوق يوم معروف يجلب إليه كل لطيفة** »[2] .

وبطبيعة الحال عرفت مدن إقليم الزاب العديد من الأسواق التي أوردتها كتب الرحلة والجغرافية فعلى سبيل الذكر، أن مدينة المسيلة لها أسواق[3]، وميلة كثيرة الأسواق والمتاجر[4]، ودار ملول أسواقها قائمة[5]، وباغاي ربض عليه أسواق[6]، ثمّ أصبحت أسواقها تقام داخل المدينة بعدما خربت أرباضها[7]، وتهودا بها أسواق، وببادس أسواق وبسائط[8]، وبمدينة نقاوس فيها الأسواق قائمة، وطبنة بها صنائع وتجارات وأموال لأهلها متصرفة في ضروب من التجارات[9]، وفي تيجس سوق صالح[10]، وفي بلزمة ربض وسوق[11].

2- الأسعار :

1) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 152 .

2) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص. 254 .

3) البكري ، المسالك... ، المصدر السابق ، ص. 722 .

4) الإستبصار ، مصدر سابق ، ص. 166 .

5) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، المصدر السابق ص. 264 .

6) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 84 .

7) الحميري ، المصدر السابق ، ص. 86 .

8) البكري ، المسالك ....، المصدر السابق ، ص ص.741 ، 743 .

9) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص ـ ص. 263 ـ 264 .

10) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص. 87 .

11) الحميري ، المصدر السابق ، ص. 103 .

رغم أنّ جلّ المصادر والمراجع لم تتحدث عن الأسعار بإسهاب، إلّا أنّ الشيء القليل عنها يفيد بأنها كانت في متناول السكان فكانت تتأثر بالظروف المحيطة بها، فعندما يسود الرخاء والازدهار تنخفض الأسعار والعكس صحيح، إضافة إلى سياسة الدولة الاقتصادية كاحتكار السلعة وتخزينها[1] وبهذا الصدديذكر ابن الأثير أنّ المهدي الفاطمي أمر عامل المسيلة أنّ «... **أن يكثر من الطعام ويخزنه ويحتفظ به ففعل ذلك** »[2] ، كما أضاف ابن خلدون عاملا آخر بقوله : أنّ الأمصار كثيرة العمران يتكون بها الغلاء على عكس الأمصار الصغيرة والقليلة العمران تكون رخيصة الأسعار، ولذلك كانت الأسعار في الأمصار الكبيرة أغلى من أسعار الأمصار في المدينة[3]، كما كانت الحروب والأزمات التي تحلّ بالبلاد تؤدي إلى غلاء الأسعار مثلما حدث في حروب المنصور الفاطمي مع أبي يزيد بن مخلد حيث أشار ابن حماد بخصوص ثمن جرّة الماء في مجرى حديثه عن هذه الحروب بقوله : « **بلغت الجرّة من المياه ثلاثة دراهم وشربة ماء كذلك...**»[4] ، بالمقابل من ذلك جاءت سنوات عمّ فيها الرخاء ونزلت الأمطار فرخصت الأسعار وهذا ما شهدته القيروان سنة (318هـ ـ 930م)[5] .

أمّا بالنسبة إلى الأسعار في بلاد الزاب فقد تميزت بعض مدنه بالرّخص غالبا، وربما هذا دليل على الوفرة والكثرة ، فكانت ميلة رخيصة الأسعار، فضلاعن قلعة بني حماد التي

1) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 459 .

2) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج.7، ص. 36 .

3) ابن خلدون ، المقدمة... ، مصدر سابق ، ص ـ ص. 35 ـ 36 .

4) ابن حماد ، مصدر سابق ، ص. 68 .

5) ابن عذاري المراكشي ، مصدر سابق ، ج.1 ، ص. 195 .

كانت حنطتها رخيصة[1]، إضافة إلى أنّ أكسيتها كانت ذات جودة ويساوي كساء من عملها " **30 دينار**"[2]، كما وصل قنطار العنب في الغدير **درهمين** وهي رخيصة الطعم واللحم وجميع الثمار[3]، كما أنّ كمية الفليون التي يحتاج إليها من أراد التحصّن من تضرر العقارب سنة كاملة كانت تساوي **درهمين**[4] ، وأشار البكري إلى أنّ مدينة سطيف كانت رخيصة الأسعار[5].

هذا إضافة إلى اهتمام بعض مدن الزاب بإنتاج سلع وفيرة وبأثمان رخيصة مثل المسيلة[6]، وذكر ابن حوقل سعر الملح الوارد إلى السودان من بلاد الإسلام التي يقصد بها بلاد المغرب ما بين **مائتين وثلاثمائة دينار** للحمل الواحد[7]، إلاّ أنّه لا يذكر سعره ببلاد الزاب الذي يستخرج ممن مدينة بسكرة .

رابعا : النظام التجاري في الزاب (وسائل التعامل) :

1– نظام الحسبة :

1) الحميري ، مصدر سابق ، ص. 559 .

2) الاستبصار ، مصدر سابق، ص. 170 .

3) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 60 .

4) رشيد بورويبة ، مرجع سابق ، ص. 146 .

5) البكري ، المغرب... ، المصدر السابق ، ص. 76 .

6) نفسه ، ص. 59 .

7) ابن حوقل، مصدر سابق ، ص. 98 .

عرف ابن منظور الحسبة لغة وقال: « **وحسب الشيء يحسبه بالضم حسبا وحسابا وحسابة : عدّه ، وقال الأزهري وانّماسمّي الحساب في المعاملات حسابا ، لأنّه يعلم بما فيه كفاية ليس به زيادة على المقدار ولا نقصان** »[1]، والحسبة من الاحتساب، ويقال فلان من الحسبة في الأمر، أي أحسن التدبير والنظر فيه ، وعلم الاحتساب علم باحث عن الأمور الجارية بين أهل البلد في معاملتهم التي لا يمكن التمدن من دونها[2] ، ويراد بها العدّ، والقصد ومن ذلك قول رسول ـ ﷺ ـ : « **احتسبوا أعمالكم، فإنّ من احتسب عمله، كتب له أجر عمله وأجر التّدبير** »[3] .

أما معناها الاصطلاحي فعرّفها ابن خلدون : « **إنما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين يعين لذلك من يراه قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة** »[4]، والحسبة في الشرع وظيفة دينية أساسها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[5] .

---

1) ابن منظور ، مصدر سابق، مج.2 ، ص ـ ص. 865 ـ 866 .

2) الماوردي ، **الرتبة في طلب الحسبة** ، دراسة وتح : مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية ، منشورات علاء سرحان دار الرسالة ، القاهرة ، 2002 ، ص. 36 .

3) موسى لقبال ، **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها)** ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، 1971 ، ص. 20 .

4) اين خلدون ، المقدمة... ، مصدر سابق ، ص ـ ص. 280 ـ 281 .

5) سهام مصطفى أبو يزيد ، **الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي** ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، 1986 ، ص. 43 .

ويعدّ نظام الحسبة من الوظائف التي اختصت بها المدينة في الإسلام، حيث كان لها دور بالغ في تكوين عناصر المدينة وتسيرها من المراقبة المتواصلة للنشاطات المختلفة داخلها[1] ، وكانت الأسواق منذ نشأتها خاضعة للإشراف والرقابة[2]، فقد أطنب السقطي أن الرسول صلى الله عليه وسلم « **مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت إصبعه بللا، فقال : ما هذا يا صاحب الطعام، فقال أصابتهالسماء يا رسول الله ، فقال : أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ، من غش فليس مني** »[3] .

كما كانت في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم اهتمام بالغ للأسواق[4] ، كما فوض أمر السوق والإشراف عليه إلى موظف له شروط أهمها: صاحب خلق، النظافة ، الرفق ، اللين ، العفافة ، يتوارى عن قبول الهدايا من أرباب الصناعات...الخ من صفات[5] .

وعرفت الحسبة في بلاد المغرب باسم أحكام السوق أو خطّة الاحتساب، أمّا عامل الحسبة فكان اسمه **والي السوق** أو **صاحب السوق**[6]، وفي عصر المرابطين والموحدين عرف بمصطلح **الحسبة**[7]، وقد ظهرت هذه وظيفة في بلاد المغرب في عصر الولاة، فكانوا يشرفون عليها بأنفسهم وفي هذا الصدد ذكر ابن عذاري أنّ الوالي أبي العقال الأغلب الملّقب

---

1) بلحاج طرشاوي ، **الحرف والمهن في المغرب الأوسط من خلال كتب الحسبة دراسة في تحفة الناضر للإمام العقباني** ، مختبر البحوث الاجتماعية والتاريخية ، ع.04 ، جوان 2013 ، ص. 341 .

2) صالح يوسف بن قربة ، تاريخ مدينتي... ، مرجع سابق ، ص. 218 .

3) السقطي ، **في آداب الحسبة** ، تح : ليفي بروفينسال وكولان ، باريس ،1831 ، ص ـ ص. 4 ـ 5 .

4) الشيزري ، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** ، نشره السيد الباز العريني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، 1946 ، ص. 12 .

5) نفسه، ص ، ص. 8 ، 9 ، 10 .

6) سهام مصطفى أبو يزيد ، مرجع سابق ، ص ـ ص. 41 ـ 42 .

7) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 293 .

بخزر« **لمّا ولي أمن الناس وأحسن إليهم...وأجرى على العمال...وقطع النبيذ من القيروان وعاقبعلى بيعه** »[1]، كماعمل عبد الله الشيعي كمحتسب في مدينة طبنة سنة(293هـ ـ 906م)، كما استغلّ هذا المنصب من أجل نشر دعوته حيث غير المنكر وراقب الحياة[2]، كما كان مخلد بن كيداد يحتسب على الناس في كثير من أفعالهم وعلى جباة الأموال[3] .

وكانت طبنة كغيرها من مدن إقليم الزاب كثيرة الأسواق على ذكر المصادر لكن لم تشر إلى أوضاعها، إلاّ أننّا نفترض أنّها كانت تخضع إلى نظام وأحكام مثل سائر أسواق المدن الإسلامية، فكانت لكل حرفة وسلعة موضع في المدينة وذلك حسب نوعيتها وقيمتها ودرجة تلوّثها، وهنا يظهر دور صاحب السوق في تنظيمها والإشراف عليها[4]، وقد خضعت القلعة هي الأخرى لأحكام السوق وفق مبدأ التصنيف أو الإنصاف؛ حيث تمّ إبعاد البضائع والسلع المتجاورة تفاديا للضرر لكن غير معروف إن كانت أسواق المدينة تركّزت حول المسجد الجامع كما هو حال المدن الإسلامية، لكن طوبوغرافية المدينة المنحدرة لا تسمح بانتشار الأسواق فيها[5] .

وقد جنى التصنيف الحرفي فوائد جمّة عادت بالنّفع على الحرفيين والصناع والتجار لوجود علاقة ترابط بين الباعة والصناع والمشتريين، فضلا عن خلق جوّ التنافس في

1) ابن عذاري المراكشي ، مصدر سابق ،ج.1 ص. 107 .

2) ربوح عبد القادر ، **نظام الحسبة في المغرب والأندلس (الماهية ، التطور التاريخي ، الأدوار)** ، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية ، ع. 13 ، ديسمبر 2015 ، ص.79 .

3) ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ج.1 ص. 273 .

4) قراوي عبد النور ، مرجع سابق ، ص. 278 .

5) صالح يوسف بن قربة ، تاريخ مدينتي...، مرجع سابق ، ص. 218 .

الأسواق وتيسير مهمة صاحب السوق في المراقبة العامة خصوصا مراقبة تفشي ظاهرة الغش والتزوير واحترام المبدأ الإسلامي لا ضرر ولا ضرار، وهكذا لعب المحتسب دورا أساسيا في استقرار الوضع العام للأسواق من بيع وشراء وبعث الثقة بين الناس لأنّ مهمته الأساسية الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر[1] .

2– نظام النقود :

أمّا عن النقود المستعملة في عملية البيع والشراء فكان سكان المغرب الإسلامي بما فيها الزاب لا يعرفون التعامل بالنقود التي لم تكن متوفرة قبل فترة الحكم الأغلبي[2]، فكان التبادل التجاري عن طريق المقايضة؛ حيث استعملوا المواشي بأنواعها إضافة إلى بعض المنتجات النباتية كالتمور والحبوب، وكان التاجر يقبل السلعة التي تلعب دور النقود ليس لذاتها بل لاعتبارها سلعة يمكن استبدالها[3]، فنجد الإدريسي قد ذكر لنا أنّ سكان الجزائر بني مزغنة « **أكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم** »[4] .ليتراجع هذا التعامل مع اتّساع الحياة الاقتصادية حيث ظهر التعامل بالدينار الذهبي والدرهم الفضّي أيام الحكم الأغلبي التي كانت منطقة الزاب تحت نفوذهم[5]، ففي سنة (196هـ ـ 808م) قام الأمراء الأغالبة بنقش أغلبية أسمائهم على السكّة[6].

---

1) نفسه ، ص. 219 .

2) أسامة الطيب جعيل ، مرجع سابق ، ص. 184 .

3) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 172 .

4) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص. 258 .

5) **للمزيد أنظر الملحق رقم (10) ، ص. 200 .**

6) صالح بن قربة ، **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد** ، موفم للنشر، الجزائر ، 2011 ، ص ـ ص. 177 ـ 178 .

لتحلّ محلّها بعد ذلك النقود الفاطمية في التعاملات الاقتصادية وذلك بعد سيطرة هذه الأخيرة على المنطقة، وتستمر في ذلك إلى غاية قيام المعز بن باديس بقطع العلاقة مع الفاطميين ، وأمر بتبديل السكة سنة (441هـ ـ 1053م)[1]، وسبك ما كان عنده من الدنانير التيعليها أسماء بني عبيد فسبكت[2]، وكانت أموالا عظيمة ثم بث في قطع سكتهم وزوال أسماؤهم من جميع الدنانير والدراهم بسائر عمله[3]، ليبقى التعامل بالنقود الفاطمية في عهد الدولة الحمّادية وذلك من خلال النقود التي عثر عليها بقلعة بني حماد والتي تحمل اسم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله[4]، كما كانت الدراهم الموحدية تشكل هي الأخرى عملة رئيسية في المعاملات والتبادل التجاري× فقد أصبحت هذه الأخيرة أساسا للمعاملات النقدية مع بعض الأقطار الإسلامية وظلّت متداولة في الأسواق الدولية[5] .

3– المكاييل والموازين :

استخدمت المكاييل والموازين منذ القدم، وقد وردت في العديد من الآيات يقول الله تعالى:﴿ **وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ اَلذِينَ إِذَا اَكْتَالُوْا عَلىَ اَلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ**

---

1) ابن الخطيب، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام للوزير الغرناطي لسان الدين ابن الخطيب** ، تح وتع : أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، دار البيضاء ، المغرب ، 1964 ، ص. 73 .

2) **للمزيد أنظر الملحق ، رقم (11) ، ص. 201 .**

3) ابن عذاري المراكشي ، مصدر سابق، ج.1 ، ص. 278 .

4) صالح بن قربة، المسكوكات المغربية... ، المرجع السابق، ص ص. 507 ـ 508.

5) خديجة بورملة ، **التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في حوض البحر المتوسط من القرن (6 ــ 7هـ/ 12 ــ 15م)** ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط ، إشراف : عبد القادر بوباية ، قسم التاريخ وعلم الأثار ، جامعة أحمد بن بلة وهران ،2017 ـ 2018م ، ص ـ ص. 164 ـ 165 .

يُخْسِرُونَ ﴾[1]، كما يأمرنا سبحانه وتعالى بإيفاء الكيل والميزان بقوله :﴿ **وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ** ﴾[2]، وفي الحديث النبوي عن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « **الوزن وزنمكة و المكيال مكيال أهل المدينة** »[3] .

أمّا بالنسبة للمكاييل والموازين فيمدن المغرب الإسلامي فقد اختلفت أسمائها ومقاديرها اختلافا واضحا[4] ، على الرغم من أنّها تتشابه في بعض المدن ، وقد استعملوها في حياتهم اليومية وأيضا في معاملاتهم التجارية[5] ، فذكر المؤرخون والجغرافيون البعض منها وهي :

1- المكاييل :

عرف سكان المغرب الإسلاميبما فيها الزاب عدة مكاييل فكانت بمثابة مقادير اصطلاحية تختلف من مكان إلى آخر ، كما أن بعض المكاييل يقتصر استعمالها على منطقة واحدة لا يتعداها[6] ، ومن بين وحدات المكاييل المستعملة نذكر :

1) سورة المطففين ، الآية ، 1 ، 3 .

2) سورة الأنعام ، الآية ، 153 .

3) أبي داود،سنن ابي داود ، تح : شعيب الأرنؤوط ومحسن كامل قروبللي ، دار الرسالة العالمية ، دمشق ، 2009 ، ج.5، ص.227 .

4) موسى لقبال ، الحسبة المذهبية...، مرجع سابق ، ص. 75 .

5) قراوي عبد النور ، مرجع سابق ، ص. 199 .

6) كريم عاتي الخزاعي ، مرجع سابق ، ص 169 .

2- المُدّ :

كان المدّ المستعمل هو المدّ النبوي الذي يساوي 0.733 لتر[1] ، وهو ليس أكثر من رطل ونصف ولا أقلّ من رطل وربع ، وقد جلب من المدينة إلى بلاد المغرب والأندلس[2] ، إلاّ أنه تغير عبر الأزمنة حيث زيد أو نقص فيه، والمدّ المعروف في المغرب الأوسط هو المدّ القروي أو المغربي[3]، ويعدّ من المكاييل السائدة في معظم مناطق بلاد المغرب، حيث ذكر الونشريسي بهذا الصدد أنّ أهل المغرب كانوا يخرجون زكاة الفطر والكفارة بهذا المدّ، ليضيف أنّ المدّ النبوي كان يساوي مدا أونصف مّد قروي[4]، ويبدو أنّ المدّ يختلف من مدينة إلى أخرى فنجد مدّ تيهرت ومدّ ميلة وغيرها من الأمداد[5]، فذكر البكري بخصوص مكيال أهل تيهرت؛ وهي من الحواضر التابعة للدولة الحمّادية في عهده أنّ مدّهم الذي يكتالون به خمسة أقفزة ونصف قرطبية[6] .

3- الصّاعُ :

1) رشيد بورويبة ، مرجع سابق، ص. 178 .

2) الونشريسي ، مصدر سابق ، ج.1، ص. 399 .

3) كمال السيد أبو مصطفى ، مرجع سابق ، ص. 84 .

4) الونشريسي ، مصدر سابق ، ج.2 ، ص ـ ص. 73 ـ 74 .

5) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 184 .

6) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 69 .

يعادل أربعة أمداد نبوية وهو مكيال أهل المدينة ويقدر بأربع حفنات[1]، ومن الأحكام المتعلقة بالصّاع في الشريعة زكاة الفطر فهي صاع في غالب قوت البلاد، ومن المرجح أن يكون صاع بلاد المغرب الإسلامي مساويا لصاع الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لضروريات الزكاة[2] .

4- الويبة :

تستعمل لكيل الحبوب وكانت تسمىّ بالدوار خلال العهد الفاطمي على حسب المقدسي[3] ، كما أشاربن فضل الله العمري، أنّها تقارب 12 مدًّا قرويًا بالمدّ النبويوهي ثمانية بالكيل الحفصي[4] ، كما يبدوا أنّها كانت مستعملة في جميع أنحاء بلاد المغرب بكيل ثابت ماعدا باغاية التي خصّ البكري الويبة فيها بالذكر أنّها تساوي هناك أربع و ستون مدّا نبويا[5] .

5- الوَسْقُ :

1) يوسف القرضاوي ، **فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها و فلسفتها في ضوء القرآن الكريم والسنة** ، مؤسسة الرسالة ، ط. 2 ، 1973 ، ج.1 ، ص ، ص. 374 ، 381.

2) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 187 .

3) المقدسي ، مصدر سابق ، ص. 240 .

4) ابن فضل الله العمري ، **مسالك الأنصار في ممالك الأمصار** ، تح : محمد عبد القادر خريفات وآخرون ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة ، 2001، ج.4 ، ص. 87 .

5) البكري ، المغرب... ، المصدر السابق ، ص. 145 .

يستعمل لكيل الحبوب والسوائل ويقدر حمل البعير بـ 60 صاعا نبويا كل صاع أربعة أمداد نبوية[1]،وذكرت مديازةنقلا عن الدرجينيأنّه قد ورد الوسق بقوله : « **قدر الكساء يحمل البعيروسقه حبًا ويحمل البعير وسقه عسلاً** »[2] .

6– القفيز :

من المحتمل أنّ القفيز المستعمل في بلاد المغرب هونفسه في سائر مدن المنطقة فكان يستعمل لكيل السوائل كالزيت والحبوب فأشار البكري للقفيز القيرواني بقوله : « **القفيز بالقيروان وأعمالها ثماني ويبات والويبة أربعة أثمان والثمن ستة أمداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم** » ، ويضيف أنّ قفيز الزيت عندهم ثلاثة أرطال فلفلية[3] ، أي ما يعادل 1.23 كلم[4] ، بينما المقدسي يرى أنّ القفيز اثنان وثلاثون ثمناوالثمنستة أمداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم[5]،وللقفيز أجزاء أخرى منها، نصف القفيز[6] ، ربع القفيز،ربع النصف[7] .

---

1) فالتس هنتس ، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المدى** ، تر عن الألمانية : كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، 1970 ، ص. 79 .

2) صورية مديازة ، مرجع سابق ، ص. 100 .

3) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص ـ ص. 26 ـ 27 .

4) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 185 .

5) المقدسي ، مصدر سابق ، ص. 240 .

6) القاضي عياض ، **تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض** ، تح : محمد الطالبي ، المطبعة الرسمية التونسية ، 1968، ص. 30 .

7) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق، ص. 186 .

7– القادوس :

مكيال مغربي يقدر بثلاثة أمداد بمدّ الرسول صلى الله عليه وسلم[1] ، منالمكاييل المستعملة في بلدان المغرب الإسلامي[2] .

8– الصحفة :

مكيال إفريقي (تونسي) وكل صحفة إثنا عشر مدًّا بالحفصي[3] ، فقال البكري بخصوصها أن أهل تنس كان كيلهم يسمى بالصحفة وهي تساوي 48 قادوسا ، أي مايعادل 144مدًّا نبويًّا[4] ، و هي تختلف من مدينة إلى أخرى فيذكر أن مدينة نيكور فيالريف المغربي كان كيلها يسمّى الصحفة وبدورها تساوي 15 مدًّا ونصف الصحفة عندهم يسمّى السدس[5] .

9– القلبة :

1) فالتس هنتس ، مرجع سابق، ص. 65 .

2) صالح بن قربة ، تاريخ مدينتي... ، مرجع سابق ، ص. 249 .

3) أحمد الشرباصي ، مرجع سابق ، ص. 251 .

4) البكري ، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 62 .

5) نفسه ، ص. 92 .

ثمن الصّاع وتساوي أربعة أرباع، وكل ربع يساوي نحوأربعة كيلوغرامات بحسب الوزن الحديث[1] .

10- القسط :

مقدار لكيل السوائل[2]، وهو يساوي نصف صّاع[3]، إضافة إلى مكاييل أخرى منها الربع، الثمن، الخروبة[4]، الحفنة، الكرُّ، المُدْيُ، القلّة[5]،المطرأو المطيرة، القبضة[6] ، عمورة[7] .

3-2 الموازين :

كانت الأوزان الرئيسية المستعملة في الغالب مصنوعة من الرصاص ، ويطبع عليها إسم الحاكم ويعاد طبعها من حين إلى آخر ، وأيضا يعاقب كلّ من يحاول التلاعب والغش في الأوزان ، كما أن الأوزان ضرورية لتسهيل التعامل بين الناس، إضافة إلى الحالات التي

1) موسى لقبال ، الحسبة المذهبية... ، مرجع سابق ، ص. 77 .

2) القاضي عياض ، مصدر سابق ، ص. 159 .

3) علي جمعة محمد ، **المكاييل والموازين الشرعية** ، القدس للاعلان والنشر ، ط.2 ، القاهرة ، 2001 ، ص. 38 .

4) فالتس هنتس ، مرجع سابق ، ص ـ ص. 61 ـ 62 .

5) علي جمعة محمد ، المرجع السابق ، ص ، ص. 42 ، 46 .

6) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 189 .

7) موسى لقبال ، الحسبة المذهبية... ، المرجع السابق ، ص. 75 .

لا يصلح فيها الكيل والعد[1] ، ومن الموازين المستعملة في بلاد الزاب وغيرها من بلدان المغرب الإسلامي نذكر :

– القنطار :

وحدة هامة للموازين وهو أنواع ، وقد اختلف المؤرخون في تقدير القنطار نظرا لتعدد المادة المراد وزنها، ومنه، قنطار الزيت ، قنطار الفلفل ، وهي متنوعة بصفة عامة[2] ، فذكر البكري أن قنطار الزيت في تاهرت يساوي قنطاران غير الثلث قرطبية[3] ، يقدر ب 82 كيلوغرام[4]، كما يصف أيضا قنطار الفلفل وغيره من المواد بأنه قنطار عدل[5]، يزن 49 كيلوغرام[6]، كماأشار هانتس إلى وجود قنطار في الجزائر خاص بالبضائع الدقيقة والتوابل يزن 44 ، 79 كيلوغرام[7] .

– الرّطل :

1) جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص. 183 .

2) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ،ص.183. .

3) البكري ، المغرب...، مصدر سابق ، ص. 69 .

4) جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص. 183 .

5) البكري، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 69 .

6) جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص. 183 .

7) فالتس هانتس ، مرجع سابق ، ص. 43 .

تختلف الأرطال من منطقة إلى أخرى هذا ما أكده المقدسي بقوله : « **وأما الأرطال فكانت بغدادية في الإقليم كله إلا الذي يوزن به الفلفل بأنه يشف على البغدادي بعشرة دراهم والآن هو المستعمل في أعمال القائمين بالمغرب** »[1]، فكان للرطل أنواع شتى منه : الرطل الفلفلي لوزن الفلفل، والرطل العادي لوزن اللحم وسائر الأشياء، فكان رطل اللحم يساوي عشرون رطلا فلفليا في باغاية ويساوي ثلاثة أرطال عادية تقريبا في تنس، أمّا في تيهرت فكان رطل اللّحم يساوي خمسة أرطال عادية[2]، كما نجد من الموازين الخاصة بالرطل نصف الرطل؛ الذي كان يساوي أيام الفاطميين 205، 206 غرام[3]، ويوزن بربع الرطل أيضا[4] .

– الأوقية :

تعتبر من أشهر الموازين وهي من حيث العيار نوعين: أوقية شرعية تقدر بـ 40 درهما[5]، وأوقية اصطلاحية متغيرة بتغير الحقبات والأقطار، بل حتى بتغير المدن والمقاطعات في البلد الواحد[6] ، وقد ذكر الجوذري في كتابه ما نصه : « **فإذا عمل بذلك خذ منه نصف رطل ووزن أوقية من عقيد العنب...**»[7]، هذا ما يدلّ على استعمال هذا النوع

1) المقدسي ، مصدر سابق ، ص. 240 .

2) خديجة بورملة ، الحياة الإقتصادية ... ، مرجع سابق ، ص. 101 .

3) الجوذري ، مصدر سابق، ص. 108، أنظر أيضا ، جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 180 .

4) القاضي عياض ، مصدر سابق ، ص. 98 .

5) علي جمعة محمد ، مرجع سابق ، ص. 21 .

6) محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص. 75 ، أنظر أيضا ، ابن خلدون ، المقدمة...، مصدر سابق ، ج.1 ، ص. 449 .

7) الجوذري ، مصدر سابق ، ص. 108 .

من الموازين زمن الفاطميين، وعلى الأرجح بقاء، استعماله في المنطقة بعد رحيل الفاطميين إلى الديار المصرية حيث ذكر لنا البكري بقوله:« **ورطل اللحم 67 أوقية، ورطل سائر الأشياء 22 أوقية...**»[1] .

– المثقال :

استعمل المثقال كوحدة للوزن في المغرب الإسلامي فكانت الإشارة لذلك عند الجوذري بعبارة:« **وزن المثقال** »[2]، ويعتبر وحدة وزن الذهب المقدر بـ **72** حبة من الشعي، هذه المقادير كلها ثابتة بالإجماع على حد قول بن خلدون[3]، في حين يرى البعض أنّ المثقال« **وزن ثلاثة قراريط من الفضة، والقراط ثلاثون حبة من شعير أوسط** »، أي 5،30غرام[4] .

– الدّرهم :

يعتبر الوحدة الأكثر استعمالا للمواد قليلة الوزن وقد انتشر استعماله في أرجاء مدن المغرب و اختلفت قيمته من منطقة لأخرى هذا ما أكدّه البكري بقوله:« **درهم تنس ودرهم**

1) البكري ، المغرب...، مصدر سابق ، ص. 62 .

2) الجوذري ، مصدر سابق ، ص. 108 .

3) ابن خلدون ، المقدمة... ، مصدر سابق ، ج.1، ص. 448 .

4) جودت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 181 .

أرشقول »[1]، وربما خصهما بالذكر لاختلافها عن باقي البقاع التي زارها، كما قدم لنا ابن خلدون وصفا دقيقا للدرهم بقوله : « **فاعلم أن الإجماع منعقد منذ صدر الإسلام وعهد الصحابة والتابعين، أنّ الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثقال من الذهب، والأوقية منه أربعين درهما وهو على هذا سبعة أعشار الدينار**»[2] .

– الصّنجة :

عبارة عن أقراص زجاجية لا تستحيل إلى زيادة أو نقصان وكانت تعير النقود، وقد اكتشفت بحفائر القلعة العديد الصّنوج ترجع أغلبها إلى العهد الفاطمي[3]، كما استعملت عدّة موازين أخرى ببلاد المغرب الإسلامي عامة منها : الدينار[4]، القيراط[5]، الخروبة[6]، المُنّ[7]، وتختلف الأوزان باختلاف السلع، إضافة إلى أنّ لكلّ منطقة قيمة لأوزانها تبعا لانخفاض أو ارتفاع الأسعار[8] .

---

1) البكري، المغرب... ، مصدر سابق ، ص. 62 .

2) ابن خلدون ، المقدمة... ، المصدر السابق ، ج.1، ص. 448 .

3) صالح بن قربة ، تاريخ مدينتي... ، مرجع سابق ، ص.248 .

4) أحمد الشرباصي ، مرجع سابق ، ص ، ص. 163 ، 173 .

5) المقريزي ، **الأوزان والأكيال الشرعية** ، تح : سلطان بن هليل بن عيد المسمار ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، 2007 ، ص. 64 .

6) إبراهيم بحاز ، **الدولة الرستمية (160 ـ 296هـ/777 ـ 909م) ، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية** ، نشر جمعية التراث ، ط.2 ، القرارة ، الجزائر ، 1993 ، ص. 181 .

7) علي جمعة محمد ، مرجع سابق ، ص. 28 .

8) صورية مديازة ، مرجع سابق ، ص. 100 .

الملاحظ أنّ بلاد المغرب الإسلامي عامة لم تعرف نظاما موّحدا للمكاييل والموازين ربما مردّه إلى أنّ المنطقة لم تعرف طيلة الفترات التاريخية التي مرت بها سلطة المركزية واحدة ، تبسط نفوذها وتفوق قوتها على كامل ربوعه .

3-3 المقاييس :

فيما يتعلق بالمقاييس فإنّها تنقسم إلى ثلاثة أنواع خاصة بالأبعاد والمساحات والمسافات هذه الأخيرة التي ذكرناها سالفا، لذلك سنركز على مقياسي الأبعاد والمساحات .

فبالنسبة لمقاييس الأبعاد نجد من بينها، الذراع، القبضة، الأصبع، الشب، وحسب رشيد بورويبة أنّه عثر على مقياس واحد وهو الذراع الرشاشي عند الحمّاديين، إلاّ أنه في عهد الحفصيين كانوا يستعملون مختلف المقاييس فكان الذراع يساوي **0،48م** والشبر **0.24م** والقبضة **0،08م** والأصبع **0،02م**[1]، وعلى الأرجح أنّها كانت مستعملة قبل العهد الحفصي في مختلف أقاليم المغرب الإسلامي .

أمّا فيما يخص مقاييس المساحات المستعملة ، الزّوج ؛ وهو المساحة التي يحرثونها في فصل واحد، ولا تكاد كتب الجغرافيين والرّحالة تخلو من المقاييس السالفة الذكر، فنجد

1) رشيد بورويبة ، مرجع سابق، ص. 148.

من بسكرة إلى طبنة مرحلتان[1]، وسعة صور أرشقول ثمانية أشبار[2]، وبين قلعة مغيلة دلول و البحر خمسة فراسخ[3]، فنجد من المسيلة إلى قلعة بني حماد12 ميلا[4]، وبين قلعة بني حماد وبجاية أربعة أيام[5] .

خامسا : التبادل السلعي

ويعني به مجموعة المعاملات الجارية التي حصلت داخل أقاليم ومدن المغرب، وشملت المبادلات بالسلع والبضائع التي تمّ إنتاجها محليا أو التي جلبت من خارج الإقليم[6]، وقد وضحت النّصوص الجغرافية أنّ بلاد المغرب الأوسط كانت تنتج جميع المواد المختلفة الزراعية والصناعية منها ، وهذه المواد غالبا ما كانت تزيد عن حاجيات السكان وبالتالي توجه إلى التصدير[7]، وساهمت عدّة عوامل في انتعاش هذه العملية لعلى أبرزها: توفر الطرق والمسالك، إضافة إلى كثرة الأسواق كما أشرنا سابقا .

1– صادرات بلاد المغرب :

1) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 86 .

2) البكري، المغرب...، مصدر سابق، ص. 77 .

3) نفسه ، ص. 69 .

4) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، مصدر سابق ، ص. 254 .

5) الإستبصار ، مصدر سابق ، ص. 129 .

6) فاطمة بلهواري ، مرجع سابق ، ص. 77 .

7) خديجة بورملة ، الحياة الاقتصادية... ، مرجع سابق ، ص. 100 .

أطنبت المصادر الجغرافية لهذه الفترة التاريخية عن الازدهار التجاري الذي تميّزت به مدن إقليم الزاب، نظرا للثروة الفلاحية والصناعية التي تمتلكها مدنه، فعند الحديث عن صادرات البلاد نجذ أنّ أهل المسيلة كان لهم من السفرجل المعنّق ما يحمل إلى القيروان[1]، وجوز مدينة نقاوس كان يحمل إلى حمّاد وإلى بجاية وإلى أكثر تلك البلاد[2] ، وعرفت بسكرة بأجود أنواع التمور؛ وهو الجنس الليباري الذي كان صاحب القيروان يأمر عامله بمنع بيعه[3]، كما كان السمك يحمل من المسيلة إلى القلعة[4]، وكان في بسكرة جبل جليل من الملح يقطع كالصّخر ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملونه في طعامهم[5]، كما كان يجلب منها أطيب التمر إلى تونس وبجاية[6] .

2- الصادرات إلى بلاد المشرق :

قدّم لنا ابن حوقل حوصلة عامة عن المنتجات التي يتمّ تصديرها من المغرب إلى المشرق في قوله : « **فأما ما يجهز من المغرب إلى المشرق...النساء كسلامة البربرية أم أبي جعفر عبدالله بن محمد بن علي ، والغلمان ، العنبر والحرير وأكسية الصوف الرفيعة والدُّنية إلى جباب الصوف، وما يعمل منه،والأنطاع والحديد والرصاص والزيبق والخدم**

1) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 85 .

2) الإستبصار ، مصدر سابق ، ص. 173 .

3) البكري ، المسالك... ، مصدر سابق ، ص. 713 ، أنظر أيضا ، الحميري ، مصدر سابق ، ص. 144.

4) الإدريسي ، نزهة المشتاق... مصدر سابق ، ص. 254 .

5) البكري ، المسالك... ، مصدر السابق ، ص.117 .

6) القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1915 ،ج.5 ، ص. 107 .

المجلوبون من أرض السودان والخدم المجلوبون من أرض الصقالبة ، والخيل النفيسة والبغال والإبل والغنم ومالديهم من ماشية البقر وجميع الحيوان الرخيص »[1] .

3– الصادرات نحو بلاد الأندلس :

كانت تصدر بلاد الزاب منتجاتها إلى الأندلس عبر ميناء بجاية وغيرها من الموانئ، فتوجهت منتجات الحنطة والتين والفستق والزيوت المختلفة إليها[2]، وكان في مدينة سطيف الجوز الكثير ومنها إلى سائر البلاد[3] ؛ ولعلّه كان يصدر للعدوة الأندلسية .

4– الصادرات نحو بلاد السودان :

صدرت مدن الإقليم إلى ممالك السودان العديد من المواد الغذائية والنسيجية والجلدية ومختلف المواد التي تستغل في مختلف الصناعات الحيوية كمادة الملح التي كانت بسكرة تصدره، ونظرا لندرته في بلاد السودان فقد استخدم كعملة التي يتصارف بها في الأسواق مثل الذهب والفضّة، زيادة على ذلك الحنطة والشعير[4]، وذكر الإدرسي في قوله عن هذه

---

1) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص. 195 .

2) أسامة الطيب جعيل ، مرجع سابق ، ص 182 .

3) القلقشندي ، مصدر سابق ،ج.5 ، ص. 111 .

4) ميلود بن حاج ، **العلاقات التجارية ما بين دول المغرب الأوسط وممالك السودان الغربي (160 ــ962هـ/776 1554م)** ، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية ، مج.3 ، ع.1، يناير2020 ، ص ـ ص. 208 ـ 209 .

البلاد « **كما ليس** في **بلاد السودان شيء من الفواكه الرطبة إلا ما يجلب إليها من التمر من بلاد سجلماسة أو الزابيجلب إليهم أهل ورقلان** »[1] .

وانتقلت سلع الزاب والمغرب عموما والأندلس ومصر إلى بلاد الحبشة وشملت هذه السلع التمر، الزبيب، المتاع، ثياب الخز، الكتان، الزئبق، والزعفران[2]، أما الحديث عن واردات الإقليم ، فكانت القوافل التي تغادر المغرب الأوسط تعود محمّلة بسائر السلع ومن جميع الاتجاهات[3] :

2- الواردات من دول الجوار (إفريقية والمغرب الأقصى) :

كان الحمّاديون يتاجرون مع الزّريين الخشب[4]، كما جلب القنب والكرويّا والعصفر والعسل والسّمن والحبوب والزيوت من تونس[5]، وجلب الموز والفستق من قابس وقفصة إلى طبنة وباقي البلاد[6]، من المواد المستوردة أيضا الأكسية السوسية[1]، ومن مدينة سبتة جلب قصب السكر[2]، ومن سجلماسة جلبت الحنّاء والكمّون والكروياء والنيليج[3] .

---

1) الإدريسي ، نزهة المشتاق... ، المصدر السابق ، ص 20 .

2) الزُهري ، **كتاب الجغرافية** ، تح : محمد حاج الصادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر،(د . س) ، ص ـ ص 123 ـ 124.

3) جودت عبدالكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص. 221 .

4) رشيد بورويبة ، مرجع سابق ، ص. 150 .

5) ابن حوقل، مصدر سابق ، ص. 85 .

6) قراوي عبد النور ، مرجع سابق ، ص. 218 .

1- الواردات من ممالك السودان :

أمّا بخصوص الواردات من بلاد السودان نجد معدن الذهب الذي تصدّر القائمة، التي بدأت تجارته منذ منتصف القرن (2هـ ـ 8م) أي قبل أن يتحدث عنه الجغرافيون **بنصف قرن**، وفي القرن (3هـ) بدأت تجارته تشع عن طريق القوافل المتجهة من ورجلان إلى كاغو[4]، كما تحكم أهل ورجلان في تجارته وهذا من خلال خبرتهم في عملية جلبهم بسبب حركة قوافلهم الدائمة اتجاه هذا المجال[5]، كما تصدر الرقيق السود قائمة الواردات نظرا كونها مثلت أهمّ السلع في تاريخ البشرية منذ القدم ، وكانت بلاد السودان أحد مصادر الرقيق الوارد إلى شمال إفريقيا ومنها إلى باقي المناطق الأخرى[6] .

إضافة إلى ريش النعام وبيوضه الذي كان يصدر لبلاد المغرب حيث يتخذ للزينة ودواب الركوب أو الوسائد، ويستعمل بيضه لعلاج بعض الأمراض الجلدية[7]،كما جلبت

---

1) جودت عبدالكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص. 221 .

2) الإدريسي ، نزهة المشتاق ... ، مصدر سابق ، ص. 528 .

3) نفسه ، ص. 227 .

4) فاطمة بلهواري ، **العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال القرن الرابع هجري/العاشر ميلادي** ، مجلة كان التاريخية ، السنة الثالثة ، ع.10 ، ديسمبر2010 ، ص. 34 ، أما في ما يتعلق بمدينة كاغو فهي مدينة عظيمة من ممالك السودان الشرقي، سكانها تجار أغنياء ، كما يأتي إليها عدد لا يحصى من السود حاملين الذهب ، (للمزيد انظر : حسن الوزان ، مصدر سابق ،ج.2 ، ص.169) .

5) محمد بن عربة وأحلام بوسالم ، **دور مدينة ورجلان في تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط** ، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا ، مج.4 ،ع.01 ، جانفي2021 ، ص ـ ص. 95 ـ 96 .

6) قدوري عبد الرحمن ، **تجارة القوافل عبر الصحراء بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال نهاية العصر الوسيط** ، مجلة متون ، مج.11 ، ع.01 ، 10 أفريل2019 ، ص. 156 .

7) صالح بن قربة ، **أهمية تبلبالة في تجارة المغرب وبلاد السودان خلال العصر الوسيط** ، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله ، مج. 01 ، ع . 01 ، (د . س) ص. 104 .

بعض أنواع العود والنباتات والعقاقير كالعود المسمّى بالحيّة الذي يستخدم للوقاية من لسعات الأفاعي والحيّات وكان يصدر من ورجلان إلى باقي المدن، كما صدر أحد أنواع الصوف والقطن المضاد للاحتراق بحيث أن النار لا تأثر فيه ، كما جلبت أنياب الفيلة التي استخدمت في صناعة العاج[1] .

2- الواردات من بلاد الأندلس :

نشطت الحركة التجارية بين العدوتين نتيجة الازدهار الزراعي والصناعي والتقدم الحضاري، وصارت أسواق الأندلس تعج بالسلع المغربية والأندلسية ، ومن أهم الواردات القطن والزيت الزيتون ومختلف الفواكه والمعادن كالزئبق والحديد والرصاص وصناعات أخرى كالأكسية النسيجية الحريرية الموشحة بالذهب والورق والخشب[2] .

3- الواردات من بلاد المشرق :

لقد جمعت علاقات تجارية قوية بين كل من بلاد المشرق والمغرب ، بحيث ربطت عدّة مسالك برية وبحرية بينهما، وشكلت مصر مركز تجاري و المستودع الكبير الذي كانت

1) بن الحاج ميلود ، مرجع سابق ، ص. 210.

2) سامية مصطفى مسعد ، **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300 ـ 399هـ/912 ـ 1008م)** ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، 2006 ، ص ، ص. 168 ، 171 .

تجلب إليه مختلف السلع من كافة أقطار العالم[1]، ونشطت التجارة خاصة بين الحمّاديين والفاطميين في مصر[2]، وعن الحديث عن الواردات المغربية من مصر فقدت تعدّدت وتنوّعت وشملت كل من: الذهب والرقيق ومختلق التوابل التي كانت مطلوبة ببلاد المغرب كونها دخلت في جميع أطعمة المطبخ المغربي، كما صدّرت الكتان الخام والنسيج المصري الغني عن التعريف، والأواني الخزفية والأقداح وعلب البخور والعطور والمسك والكافور وبعض أنواع الخشب ، إضافة إلى بعض المواد الأولية مثل مواد الصباغة والدباغة والورق والملح وماء الورد وزيت الياسمين والسكر[3] .

1) خديجة بورملة ، التجارة الخارجية... ، مرجع سابق ، ص. 206 .

2) نفسه، ص. 216 .

3) خديجة بورملة التجارة الخارجية...،مرجع سابق، ص ، ص. 222 ، 225 .

خاتمة

من خلال ما تمّ تناوله في هذه الدراسة، توصلنا إلى عدة نتائج يمكن حصرها كالآتي :

- كان إقليم الزاب قبيل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب جزءا من نوميديا الشرقية، ما كان خاضعا كغيره من أقاليم بلاد المغرب تحت سلطة الروم البيزنطيين الذين عملوا على تثبيت ملكهم عن طريق إجراءات سياسية وإدارية كان لها الأثر البالغ على الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمجتمع الزاب، حيث عملت بيزنطة على محو وتجريد البربر من هويتهم ومن أرضهم لكنّها لم تتمكن من ذلك ، كما كان الإقليم من أهم الحصون البيزنطية ما يؤكد على أنّه كان ذا أهمية استراتيجيّة من قبل الفتح الإسلامي .
- إنّ أصل كلمة إقليم الزاب قد تميزت بعدم الثبات والتّغير، حيث عرفت تداولا بين المشرق والمغرب فكان يطلق على أنهار، أماكن، كما تعدّ مسألة الحدود الجغرافية لبلاد الزاب في العصر الوسيط مسألة يصعب الفصل فيها لعدم استقرارها على وضع معين، ولعلّ أهم عامل مسبّب في ذلك العامل السياسي وتعاقب الدول على حكم المنطقة .
- كانت بداية أولى الفتوح الإسلامية في الإقليم بقيادة عقبة بن نافع الفهري، والذي فتح عدّة مدن كباغاية ولمبازيس، إلاّ أنّه استشهد، وواصل موسى بن نصير من بعده عملية الفتح ودخل إقليم الزاب تحت راية الإسلام في عهده، ثمّ ضمّ لملك الأغالبة فيما بعد، ليشهد لاحقا عدّة أزمات وقلاقل عرفتها بلاد المغرب الإسلامي البربري والعربي اللذان سيطرا على أغلب مدن الزاب .
- عرفت التركيبة البشرية لبلاد الزاب تنوّعا في البيئة الاجتماعية، بحيث ضمّت تشكيلات متعدّدة من عناصر أصليّة ، متمثلين في البربر وعناصر وافدة من أفارقة ، أهل الذمّة، العجم، والعرب الذين تواجدوا في البلاد منذ الفتح الإسلامي، وازداد حضورهم بقوة خاصّة مع الزحف الهلاليّ الذي ساهم في تشكيل خارطة عرقية جديدة في البلاد وأصبح العنصر الغالب فيها .

- تضافرت عدّة عوامل طبيعية وبشرية ساعدت على تطور الفلاحة في المنطقة، كما كان لها تأثير مباشر في الإنتاج الزراعي إيجابا وسلبا، حيث تنوّعت المحاصيل الزراعية من حنطة، تمور، فواكه، قطن وكتان...الخ، كما ازدهرت الثروة الحيوانية وتنوّعت بفضل وجود مساحات شاسعة من المراعى ذات الكلأ، كما اشتهرت بإنتاجها الوفير للمواشي وخاصة الخيول والبغال والحمير.
- غير أنّنا نجد في بعض الفترات التاريخية تراجع في الازدهار، وذلك مردّه إلى العديد من الكوارث الطبيعية كالقحط، الجراد الفيضانات وغيرها، إضافة إلى المجاعات والأوبئة التي أصابت البلاد، دون أن ننسى تدهور الأوضاع نتيجة التحركات القبلية وصراعها، وفي كثير من الأحيان كانت إلى غاية نهاية الفترة الوسيطية، كما أنّ لسياسة الدولة في حدّ ذاتها تقف عائقا في تطور النشاط الفلاحي من خلال فرض الضرائب التي أرهقت السكان، وبالتالي أدّت إلى العزوف عن ممارسة هذا النشاط .
- إنّ غنى بلاد الزاب بمختلف المواد الخام، جعلت منه قطب صناعي لا يقلّ أهميّة عن باقي الدول في المغرب الإسلامي، غير أنّ المصادر لم تذكر لنا الشيء الكثير عن هذه الصناعات، فقط تشير إليها من خلال وصفها لمدن الزاب وتكتفي بذكر أنّ هذه المدن بها صناعات مختلفة، غير أنّ الدراسات الحديثة كشفت لنا عن وجود العديد من الصنائع خاصة في مدينتي القلعة والمسيلة من خلال الحفريات التي قام بها العديد من المستكشفين بها، ممّا يعني أنّ مختلف المدن الأخرى قد عرفت صناعات مختلفة تستدعي المزيد من الدراسات للكشف عنها .
- من خلال اطّلاعنا على النّصوص الجغرافيّة والتاريخيّة التي تحدثت عن الإقليم، يّتضح أنّه كان قطباً تجارياً بامتياز، من خلال مسالكه الداخلية الرابطة بين مدن الإقليم والطرق الخارجية التي بدورها ساهمت في ظهور عدّة مراكز تجارية كان لها وزنها في مختلف المجالات خاصة منها الاقتصادي، ومن بينها طبنه، والقلعة التي كانتا مقصدًا للتّجار من كلّ الأمصار.

- كما أطنبت النّصوص الجغرافيّة وجود أسواق بنوعيها الداخلية والخارجية في كل مدينة من مدن الزاب فلا تكاد تخلو أيّ مدينة من سوق، كما كانت لها تنظيمات من طرف صاحب السوق الذي يشرف عليها من شتىّ النّواحي، والذي كان يراقب المكاييل والموازين والمقاييس حرصا على تطهير السوق من المدلسين .
- لقد عرف بلاد الزاب ارتفاعا وانخفاضا في الأسعار وذلك راجع للظّروف السائدة في المنطقة، غير أنّ المصادر اكتفت في الكثير من الأحيان بالتّعليق عليها دون ذكر سبب الارتفاع أو الانخفاض أو ذكر أسعار هذه المنتجات .
- عرفت البلاد ازدهارا قويًا في المبادلات التجارية بحكم موقعه الاستراتيجي المتميز، إذ نشطت الصادرات والواردات من مختلف البلدان بما فيها بلاد السودان الغربي، حيث صدّرت بلاد الزاب كلّ من الفواكه والتمور والحنطة والملح، وجلبت المعادن من ذهب ونحاس، كما أستوردت مختلف المواد الخام اللازمة للصناعة وللتجارة .
- وعلى العموم فإنّ ما يمكن استنتاجه في الأخير أنّ اقليم الزاب كان خلال فترة الدراسة من أهمّ المناطق الفلاحيّة، حيث أنّ العديد من الجغرافيّين كالبكري ، ابن حوقل ، الإدريسي ، أشاروا إلى أنّ هذه المنطقة بلاد زرع وضرع ، وظلّت كذلك طوال الفترة الوسيطية، وهذا بشهادة المؤرخين المتأخرين أمثال حسن الوزان .

الملاحق

الملحق رقم 01 :

خريطة توضح مدن الزاب خلال الفترة البزنطية

علي الهطاي، مرجع سابق، ص. 38 .

الملحق رقم 02 :

خريطة توضح توزيع القبائل البربرية بالزاب

علي الهطاي ، مرجع اسابق ، ص. 42 .

الملحق رقم 03 :

مخطط يوضح المدلول اللّغوي و أصل كلمة الزاب

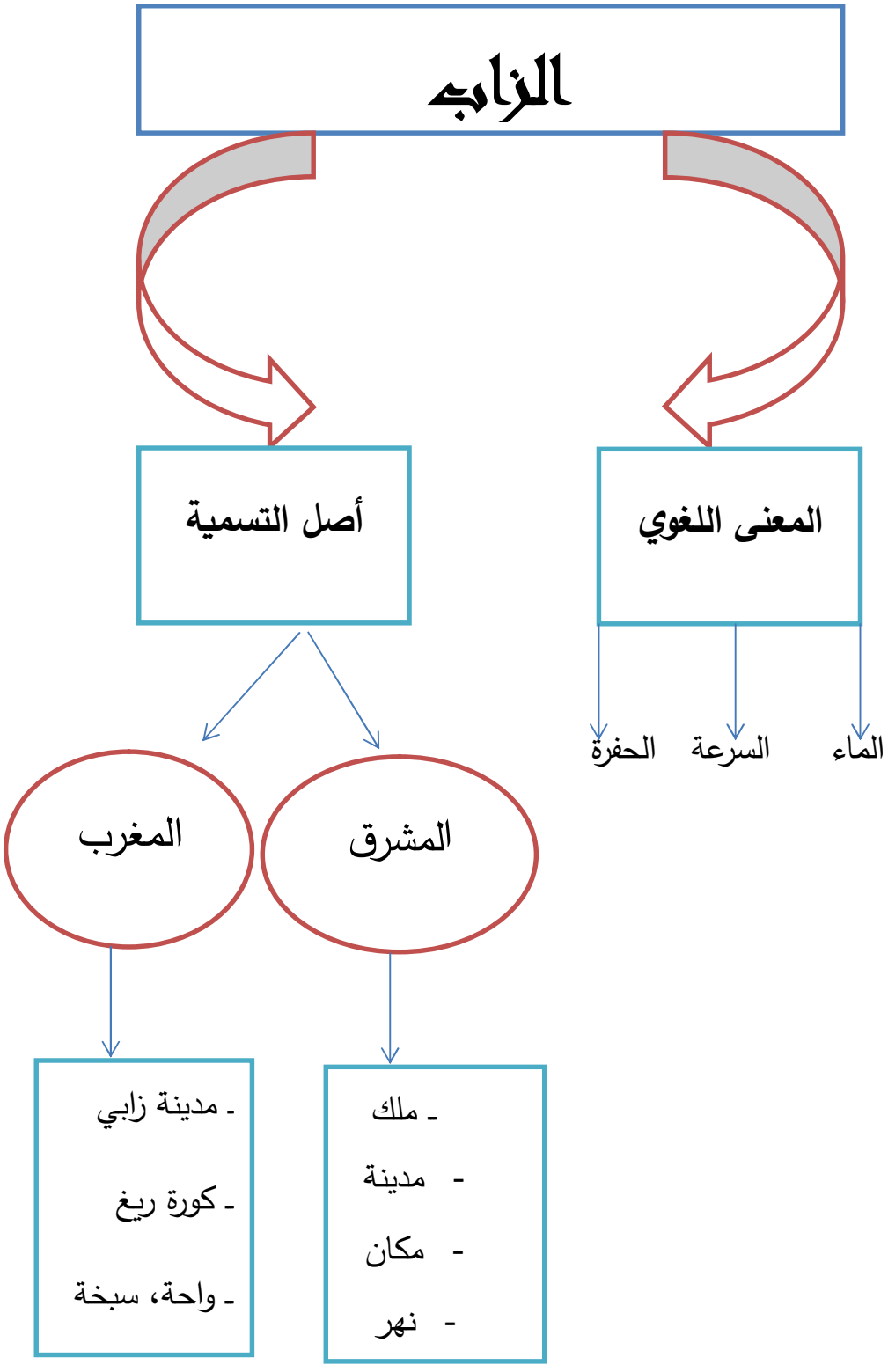

الملحق رقم 04 :

جدول يوضح مصادر المياه في إقليم الزاب من خلال المصادر، ابن حوقل، البكري، الإدريسي، صاحب الاستبصار

مصدر المياه	المدن التي تتوفر بها	المقدار الكمية
الأنهار و الأودية	بسكرة ، تهودة ، باغاي ، مسيلة بلزمة ، نقاوس ، آذنة ، بلزمة	كثيرة وغدقة .
الآبار	بسكرة ، تهودة ، باغاي ، بلزمة	كثيرة.
العيون	المسيلة ، بادس	كثيرة .
جداول المياه	طبنة ، المسيلة	قليلة .
الصهاريج	طبنة ، المسيلة	قليلة .

الملحق رقم 05 :

جدول يوضح الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في إقليم الزاب من خلال المصادر ، ابن حوقل ، البكري ، الإدريسي ، صاحب الاستبصار

المحاصيل الزراعية	أماكن تواجدها	الثروة الحيوانية	أماكن تواجدها
الحبوب	باغايةّ ، طبنة ، بادس ، نقاوس ، المسيلة، القلعة ، بنطيوس.	المواشي : الأغنام الأبقار	طبنة ، المسيلة. منطقة الاوراس، طبنة، المسيلة.
البقول	طبنة.	الدواب: الخيول	الأوراس، المسيلة، باغاية، القلعة، أشير
النخيل	طولقة، بنطيوس، تهودة، المسيلة، بسكرة.	الحمير والبغال	القلعة، الأوراس.
الزيتون	بسكرة، أذنة، طولقة.	الثروة السمكية	المسيلة.
الجوز واللوز	نقاوس، سطيف.	//////////////////	//////////////////
الكروم	المسيلة ،طولقة، نقاوس.	//////////////////	//////////////////
التين و الرمان و السفرجل	بسكرة، نقاوس، المسيلة، مسيلة.	//////////////////	//////////////////
القطن والكتان	طبنة، مقرة، المسيلة.	//////////////////	//////////////////

الملحق رقم 06 :

صورة توضح الصناعة الزجاجية بمدينة القلعة

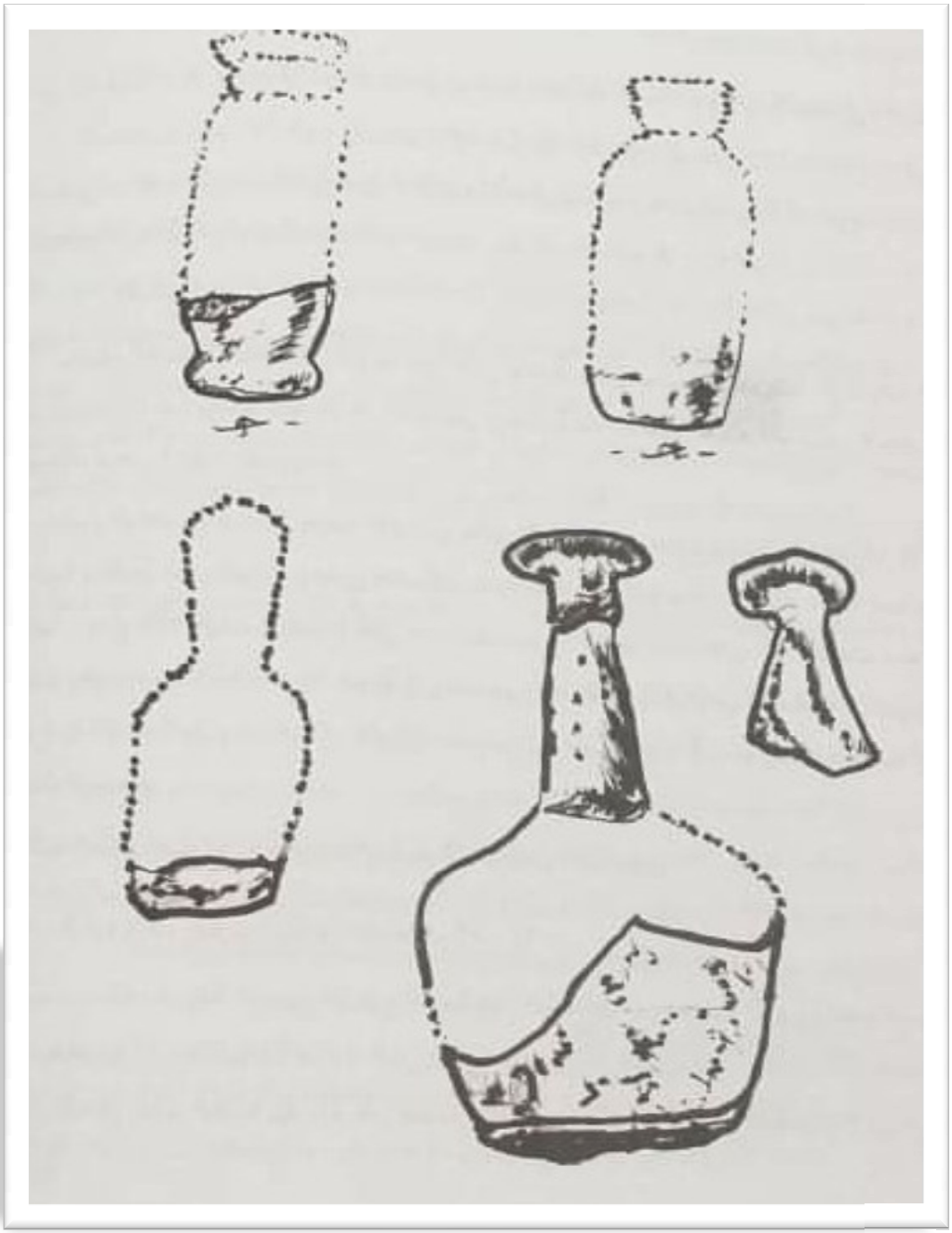

صالح يوسف بن قربة ، تاريخ مدينتي...، مرجع سابق، ص 420.

الملحق رقم 07 :

صورة توضح أنواع الزخارف في مدينة القلعة

إسماعيل العربي ، دولة بني حماد... ، مرجع سابق ، ص 265 .

الملحق رقم 08 :

خريطة توضح الطرق التجارية في إقليم الزاب

علي الهطاي ، مرجع سابق ، ص 122 .

الملحق رقم 09 :

خريطة توضح الطرق التجارية نحو بلاد السودان

علي الهطاي ، مرجع سابق ، ص 124.

الملحق رقم 10 :

صورة توضح العملة خلال العهد الأغلبية

صالح يوسف بن قربة ، المسكوكات المغربية... ، مرجع سابق ، ص. 220 .

الملحق رقم 11 :

صورة توضح العملة في العهد الفاطمي

صالح يوسف بن قربة ، المسكوكات المغربية... ، مرجع سابق ، ص. 364 .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : المصادر

1-ابن الآبار (أبي عبد الله محمد بن بعبد الله بن أبي بكر القضاعي ، 550 ـ 608هـ/1155 ـ 1211م) ، **الحلة السيراء** ، تح : حسين مؤنس ، دار المعارف ، ط. 2، القاهرة ، 1984م ،ج. 1 .

2-ابن الأثير (أبي الحسن علي بن أبي كرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الملقب بعز الدين ، ت.630هـ ـ 1214م) ، **الكامل في التاريخ** ، تح : أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1985م ، ج.3 ، 7 ، 9 .

3-الإدريسي (أبي عبدالله محمد بن عبد االعزيز الشريف. 560هـ ـ 1165م) ، **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق** ، حققه ونق إلى العربية : محمد حاج صادق . ، 1938 ، o.p.ueditoin، publisud

4-ـــــــ ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،2002 ، مج.1 .

5- ـــــــ ، **وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، اعتنى بتصحيحه ونشره: هنري بيريس، الجزائر ،1957.

6-البروسوي (محمد بن علي البروسوي الشهير بابن السباهي، ت.997هـ ـ 1589م) ، **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك** ، تح : المهدي عبد الرواضية ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2006 .

7-البكري (أبي عبد الله بن عبد العزيز البكري ، ت487هـ ـ1094م)، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب** ، وهو جزء من كتاب المسالك والمالك ، مكتبة المثنى ، بغداد ، (د . س) .

8-التيجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني) ، **رحلة التيجاني** ، تق: حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، 1981 .

9-الجوذري (أبو علي منصور العزيزي الجوذري ت.362هـ ـ 973م) ، **سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين** ، تق وتح: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة ، دار الفكر العربي ، مصر، 1954 .

10-الجوزي أبو الفتوح (ت.597هـ ـ 1203م) ، **مختصر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تح: أحمد جمعة، دار الآفاق العربية، القاهرة،2011 .

11-حامد الغزالي (ت504هـ ـ 1111م) ، **إحياء علوم الدين** ، دار المناهج ، المملكة العربية السعودية،2011،ج.2.

12- حسن الوزان (حسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي، ت.893هـ ـ 1488م) ، **وصف افريقيا** ، تر عن الفرنسية : محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ، ط.2 ، بيروت ، 1983 ،ج.1،2 .

13- ابن حماد (أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد،ت.628هـ ـ1231م)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم** ، تح : التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة ، 1980 .

14-الحميري (محمد بن عبد المنعم ، ت.727هـ ـ 1327م) ، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تح : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1975 .

15- ابن حوقل (أبي القاسم بن حوقل النصيبي ، ت. بعد367هـ ـ 978م) ، **صورة الأرض** ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1996 .

16- ابن حيان (أبي مروان حيان بن خلف الاندلسي ، ت.469هـ ـ1058م) ، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس** ، شرحه واعتنى به : صلاح الدين هواري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2006 .

17-ـــــــ، **المقتبس في ذكر بلد الأندلس** ،تح علي الحجي ، دار الثقافة، بيروت ، 1965 .

18-ابن خرداذبة (أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله،ت حوالي.279هـ ـ 892م) ، **المسالك والممالك** ، تق : ابن جعفر الكاتب البغدادي، مطبعة بريل ، ليدن، 1889 .

19-الخشني (ت 361هـ ـ 971م) ، **قضاة قرطبة وعلماء افريقية** ، نشره وصححه : السيد عزت العطار الحسني ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1953 .

20-ابن الخطيب(لسان الدين بن الخطيب الغرناطي ت.776هـ ـ 1343م)، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط** ، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام للوزير الغرناطي لسان الدين ابن الخطيب، تح وتع : أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب، دار البيضاء ، المغرب ، 1964.

21-ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت.808هـ ـ1405م) ، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مراجعة : سهيل زكار، دار الفكر للنشر، بيروت ، 2000 ، ج.7 .

22-ـــــــ ، **المقدمة** ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس : خليل شحادة ، مراجعة : سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ،2001 .

23- ابن خلدون يحي ، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** ، مطبعة بيير بونطانا الشرفية ، الجزائر، 1903 ، مج.1 .

24- ابن خلكان (أبي العباس شمس احمد بن محمد بن أبي بكر بن أبي خلكان، ت.681هـ ـ1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء الزمان** ، تح : إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، 1978، ج.1 .

25-أبي الخير الإشبيلي (عاش في ق.6 هـ - 12م) ، **عمدة الطيب في معرفة النبات** ، تح : محمد العربي الخطابي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1995 .

26-ـــــ ، **كتاب الفلاحة** ، المطبعة الجديدة ، فاس ، 1938 .

27- أبو داود (أبي داود سليمان بن الأشع الأزدي السجتاني، ت.272هـ - 889م)، **سنن أبي داود** ، تح : شعيب الأرؤوناط ومحسن قروبللي ، دار الرسالة العالمية ، دمشق ،2009 ،ج.5.2 .

28- ابن بصال، **كتاب الفلاحة** ، نشر وترجمة وتع : خوسي مارية ومياس فاليكورسا ومحمد عزيمان ، مطبعة كريمايس ، تطوان ، المغرب ، 1955 .

29-الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي، ت.696هـ - 1297م)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** ، معالم الإيمان ، تح : ابراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1968 ، ج.1 .

30-ـــــ، تح: محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضي، مكتبة الخانجي، مصر، (د.س) ،ج.2 .

31-ـــــ، تع : أبو الفضل التنوخي ، تص وتع : إبراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي ، ط. 2، مصر، 1968 ،ج.3 .

32-الدرجيني (أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ت 670هـ - 1271م)، **طبقات المشايخ بالمغرب** ، تح : ابراهيم طلاي ، مطبعة البعث ، الجزائر،(د. س) ،ج.2 .

33-ابن أبي الدينار(ت.9هـ - 15م) ، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس** ، مطبعة الدولة التونسية ، تونس ،1865 .

34-الدينوري (أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت.286هـ - 499م)، **كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1984 ، ج.1.

35-الرقيق القيرواني (أبو اسحاق بن إبراهيم القاسم، ت بعد.417هـ -1026م)، **تاريخ افريقية والمغرب** ، تح : محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني للنشروالتوزيع ، القاهرة ،1994.

36-زكريا يحي بن أبو بكر الورجلاني (ت.471هـ ـ 1078م)، **كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا** ، تح : إسماعيل العربي ، دار الغرب الإسلامي، ط .2، بيروت ، 1982 .

37-الزُهري (عبد الله) ، **كتاب الجغرافية** ، تح : محمد حاج الصادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر، (د . ت) .

38-ابن سعيد المغربي (أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ، ت.685هـ -1286م) ، **الجغرافيا** ، تح : إسماعيل العربي ، المكتب التجاري للطباعة والنشروالتوزيع ، 1970 .

39-السقطي ، **في آداب الحسبة** ، تح : ليفي بروفينسال وكولان ، باريس،1831.

40-السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري)، **الإستقصاء لدول المغرب الأقصى** ، تح : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء، 1954 ، ج.1.

41-الشيزري (أبو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف ت.476هـ ـ 1083م)، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** ، نشره السيد الباز العريني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1946 .

42-ابن عبد الحكم (ت.257هـ -871م) ، فتوح مصر والمغرب ، تح : عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر ، القاهرة ، ج.1 .

43-عبد الواحد المراكشي (ت.647هـ 1250م) ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، تع : محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، مطبعة الإستقامة ، القاهرة ، 1949 .

44-ابن عذاري المراكشي (ت أواخر ق 7هـ -13م)،**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح : ج. س. كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت ، 1983م،ج.1.

45-ابن العوام (أبي زكريا يحي بن محمد بن العوام الإشبيلي،ت.540هـ - 1184م)، **الفلاحة الأندلسية** ، تح : أنور أبو سليم وآخرون ، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، 2012م ،ج.1.

46-العياشي (عبد الله بن محمد العياشي، ت.1071هـ -1661م) ، **الرحلة العياشية** ، تح : سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر2006 ، مج.2 .

47-أبي الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، ت.732هـ -1332م) ، **تقويم البلدان**، صححه واعتنى به وطبعه : رينود وماك كوكين ديسلان ، دار صادر ، بيروت ، 1830 .

48-الفرسطائي (أبو العباس أحمد النفوسي، ت.504هـ - 1092م)، **القسمة وأصول الأرضيين**، تح : بكير بن محمد الشيخ بلحاج ومحمد بن صالح ناصر، نشر جمعية التراث، ط 3.، غرداية، الجزائر، 1997.

49-فضل الله العمري (شهاب الدين ابي العباس احمد بن يحي، ت.743هـ - 1249م) ، **مسالك الأنصار في ممالك الأمصار**، تح: محمد عبد القادر خريفات وآخرون ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة، 2001، ج.4 .

50-القاضي النعمان (أبو حنيفة بن أبي عبد الله بن حيون، ت.363هـ -974م)، **إفتتاح الدعوة** ، تح : فرحات الدشراوي ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1975 .

51-ـــــــ ، **دعائم الإسلام**، تح: آصف علي فيضي، دار المعارف، الإسكندرية، 2003

52-ـــــــ، **المجالس والمسايرات** ، تح : الحبيب الفقي وآخرون ، دار المنتظر، بيروت ، 1996 .

53-قاضي عياض (أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، ت.554هـ ـ 1159م) ، **تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض** ، تح : محمد الطالبي ، المطبعة الرسمية التونسية ، 1968.

54-قسطوس بزاسكولستيكه (عاش خلال.ق.4هـ ـ 10م)، **كتاب الزرع** ، تح : بوزاوي الطرابلسي ، **المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة** ، تونس ، 2010 .

55-القلقشندي (أبي العباس أحمد القلقشندي) ، **صبح الأعشى** ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ،1915 ، ج.5 .

56-المالكي (أبي بكر بن عبد الله بن محمد المالكي، ت. بعد 453هـ ـ1100م) ، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسائهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأخبارهم** ، تح : بشير البكوش ، مر: محمد العروسي المطوي ، دار الغرب الإسلامي، ط .2 ، بيروت ، 1983،ج.1.

57-الماوردي (علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي ت.450هـ ـ 1058م)، **الرتبة في طلب الحسبة**، تح : مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية ، منشورات علاء سرحان دار الرسالة ، القاهرة ،2002 .

58-المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين ت.347هـ ـ 952م) ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، مر: كمال حسن ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2005 ،ج.1.

59-المقدسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد،ت.378هـ ـ988م)،**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، مكتبة مديولي، ط . 3 ، القاهرة ،1991

60-المقريزي ، **إغاثة الأمة كشف الغمة** ، تح : كرم حلمى فرحات ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، (د . ب) ، 2007 .

61-ـــــــ، **الأوزان والأكيال الشرعية** ، تح : سلطان بن هليل بن عيد المسمار، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، 2007 .

62-مؤلف أندلسي (ق.8هـ -14م)، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار و عبد القادر زمام،الدار البيضاء،المغرب،1979.

63-مؤلف مجهول (ق.6هـ -12م)، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

64-مؤلف مجهول(ق.8هـ - 14م)، **تاريخ الأندلس**، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت،2007.

65-مؤلف مجهول، **مفاخر البربر**، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط ،2005 .

66-النابلسي (عبد الغني، ت.1143هـ -1730م) ، كتاب علم الملاحة في علم الفلاحة ، تع : يحي مراد ، (د . ب)،(د . س) .

67-النميري (ابن الحاج إبراهيم بن عبد الله الغرناطي، ت.747هـ - 1372م)، **فيض العباب وقداح الآداب في الرحلة السعيدة لقسنطينة والزاب**، دراسة وإعداد : محمد بن شقرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990 .

68-النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ت.733هـ -1333م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د . س) ،ج.24 .

69-ابن وحشية ، **الفلاحة النبطية** ، تح : توفيق فهد ، الجفان والجافي للطباعة والنشر، قبرص، 1992.

70- ابن وردان ، **تاريخ مملكة الأغالبة** ، تح : محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة المدبولي، القاهرة ، 1988.

71-الونشريسي (ت.941هـ -1508م) ، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية ، الرباط ،1981، ج.8،6،2،1.

72-اليعقوبي (أحمد بن أبي إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح ، ت.284هـ -897م)، **البلدان** ، وضع حواشيه : محمد أمين ضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1918 .

ثالثا : المراجع

1-إدريس الهادي الروجي،**الدولة الصنهاجية- تاريخ أفريقيا في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، نقله إلى العربية : حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج.1.

2-أغناطيوس كراتشكوفسكي ، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي** ، نقله إلى العربية :صلاح الدين عثمان هاشم ، دار الثقافة ،1957 ،ج.1.

3-بحاز إبراهيم ، **الدولة الرستمية 160 ـ 296هـ/777 ـ 909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية** ، نشر جمعية التراث، ط. 2، القرارة، الجزائر، .1993

4-برنشيفك روبار، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 3 هـ إلى نهاية القرن 15م**، نقله إلى العربية : حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988 ، ج.1.

5-بشير عبد الرحمان ، **اليهود في المغرب العربي 22-462هـ /242-1070م** ، عين الدراسات والأبحاث الإنسانية والإجتماعية ، مصر، 2005 .

6-بل ألفرد ، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم** ، تر: عبد الرحمن بدوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1967 .

7-بن عميرة ، **الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في كتابات المؤرخين الفرنسيين** ، تر: محمد بن عميرة ، الدار الوطنية للكتاب ، الجزائر، 2014 .

8-بن عميرة محمد ، **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984.

9-بن قربة صالح وآخرون، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

10-ـــــــ، **تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الاسلامي ـ دراسة تاريخية وآثرية ـ** ، منشورات الحضارة ، بئر التوتة ، الجزائر، 2009 .

11-ـــــــ، **الحواضر والأمصار الإسلامية** ، دار الهدى ،عين مليلة،الجزائر،2011،ج.5.

12-ـــــــ، **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد** ، موفم للنشر، الجزائر، 2011.

13-ـــــــ، **تاريخ الجزائر الوسيط** ، دار الهدى، عين مليلة الجزائر،2013م، ج. 5. 64.

14-بن منصور عبد الوهاب ، **قبائل المغرب** ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1968 ، ج.1.

15-بوتشيش إبراهيم القادري والبياض عبد الهادي ، **التربة آفاقها وتقنيات علاجها وتدابير استغلالها في ضوء الأدبيات الفلاحية الأندلسية ، ضمن كتاب الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط** ، مؤسسة الملك عبد العزيز وآل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، المغرب ،2011 .

16-بورويبة رشيد ، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1977.

17-بوعبدلي المهدي، **تاريخ المدن**، إعداد: عبد الرحمان دويب، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013 .

18-بومعزة عبد القادر، **بسكرة في عيون الرحالة الغربيين**، دار علي بن زيد للطباعة، بسكرة، الجزائر، 2016، ج1.

19-بونابي الطاهر، **التصوف في الجزائرخلال القرنين 7و8 الهجريين ـ 12و13 الميلاديينن ناشته، تيارته، دوره الاجتماعي والثقافي و الفكري و السياسي**، دار الهدى، عين مليلة ، الجزائر، 2004 .

20-جعيط هشام ، **تأسيس الغرب الإسلامي من القرن الأول والثاني هجري / السابع والثامن ميلادي**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2004.

21-جنحاني الحبيب ، **دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي**، دار الطليعة، بيروت، .1980

22-جوليان شارل أندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تع: محمد مزالي و البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط .4 ،تونس، .1983

23-حارش محمد الهادي ، **التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي** ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1992 .

24-حتاملة محمد عبده، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**، دراسة شاملة، مطابع الدستور التجاري، عمان، الأردن، 2000.

25-حريري محمد عيسى، **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني 610هـ/1215م .869هـ/1465م** ، دار القلم للنشر والتوزيع ، ط.2، الكويت ،1987 .

26-حسن محمد، **أصناف الإنتاج الزراعي في إفريقية من القرن 6هـ -12م إلى القرن 9هـ -15م ، ضمن كتاب الفلاحة و التقنيات الفلاحية في العلم الإسلامي في العصر الوسيط**، إشراف : حسن الحافظي علي، منشورات عكاض، الدار البيضاء، المغرب، 2011.

27-حسين ممدوح ، **إفريقية في عهد الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي ـ قراءة تكشف افتراءات دُعاة الفاطميين ـ** ، دار عمار، الأردن ، 1997.

28-خالدي عبد الحميد ، **الوجود الهلالي السليمي في الجزائر**، دار الهومة للنشر، الجزائر، 2007 .

29-خطاب محمد شيت ، **قادة الفتح للمغرب العربي**، دار الفكر ، ط .7، 1984، ج.1.

30-دوري عبد العزيز، **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري**، مركز الدراسات للوحدة العربية، العراق، 1948.

31-ذنون طه عبد الواحد، **الفتح و الإستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا و الأندلس، دار المدار الإسلامي**، بنغازي، ليبيا، 2004.

31-الزبيدي مفيد ، **موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط.3، الأردن ،2009 .

32-زياني الصادق ، **التوطين البشري و الواقع المذهبي للجماعات ببلاد الزاب (ق2-05هـ/08 ـ 11م)**، ضمن كتاب بحوث و دراسات تاريخية، أعمال مهداة للأستاذ عميد عبد العزيز، مطبعة نواصري، المسيلة، 2017.

33-الشنيتي محمد البشير ، **الجزائر في ظل الإحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني – ومقاومة المور)** ، المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1999 ، ج. 1

34-ـــــــ، **التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

35-ـــــــ، **الإحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م- 40م)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط.2، الجزائر،(د .س) .

36- ـــــــ،**أضواء على تاريخ الجزائر القديم**، دار الحكمة، الجزائر، 2003.

37-صيد عبد الحليم، **أبحاث في تاريخ زيبان بسكرة** ، مطبعة سوف ، الوادي، الجزائر، 2000 .

38-الطمار محمد، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

39-الطويل الطاهر، **المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الاوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الى القرن الهجري الخامس**، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والاعلامية، الجزائر،2011 .

40-عبد الخالق هناء، **الزجاج الإسلامي في متاحف و مخازن الأثار في العراق**، دار الحرية للطباعة، بغداد،.1976

41-عبد الرزاق محمود إسماعيل ، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة للنشروالتوزيع، ط.2 ، المغرب ، 1985.

42-العربي إسماعيل ، **قلعة بني حماد ملوك القلعة و بجاية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر .

43-ـــــــــ، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

44-علي جمعة محمد ، **المكاييل والموازين الشرعية**، القدس للإعلان والنشر، ط.2، القاهرة ،2001 .

45-عمورة عمار ، **الجزائر بوابة التاريخ من قبل التاريخ إلى 1962** ، دار المعرفة ، الجزائر ، ج.1.

46-عويس عبد الحليم، **دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر**، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، ط .2 ، القاهرة ،1991 .

47-فيلالي عبد العزيز، بحاز إبراهيم ، **مدينة ميلة في العصر الوسيط** ، دار الهدى، مليلة ، الجزائر ،2007 .

48-ـــــــ، **المظاهر الكبرى في عصر الولاة بلاد المغرب والأندلس** ، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس ، 1991 .

49-القاسمي هاشم العلوي ، **مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري منتصف العاشر الميلادي** ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، 1995 ، ج..1

50-القرضاوي يوسف ، **فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها و فلسفتها في ضوء القرآن الكريم والسنّة**، مؤسسة الرسالة، ط.2، 1973، ج.1.

51-كامبس غابريال، **في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ**، تح: العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2009.

52-لقبال موسى، **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها)** ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر،1971.

53-ـــــــ، **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط.2 ، الجزائر ،1951 .

54- أبو لقطيب الحسين، **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، منشورات الزمن، الرباط.

55-لومبار موريس، **الإسلام في مجده الأول من القرن 2 الى القرن 5هـ 11.8م**، تر وتع اسماعيل العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب ،1990 .

56-مارمول كاربخال، **إفريقيا**، تر عن الفرنسية: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1984،ج.1.

57-محسوب محمد صبري وأرباب محمد إبراهيم، **الأخطار والكوارث الطبيعية الحدث والمواجهة ـ معالجة جغرافية ـ** ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992.

58-مختار جمال، **حضارات إفريقيا القديمة**، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، اليونسك ، (د . ب) ، (د . س) ، مج.2 .

59-مرمول محمد الصالح، **السياسة الخارجية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

60-مصطفى أبو يزيد سهام ، **الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي**، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1986.

61-أبومصطفى كمال السيد ، **تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر المرابطين والموحدين** ، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر ، (د . س) .

62-ـــــــ، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال النوازل والفتاوي المعيار المعرب للونشريسي** ، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1996.

63-مصطفى مسعد سامية ، **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية(399.300هـ/1008.912م)**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر، 2006 .

64-مصمودي فوزي، **الزاب المصطلح والدلالات**، دار علي بن زيد ، بسكرة، الجزائر، 2013.

65-موسى عز الدين أحمد، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الشروق، بيروت، 1983.

66-موسى عز الدين عمر، **دراسات المغرب الإسلامي**، دار الشروق، بيروت، 1983.

67-مؤنس حسين ، **فتح العرب للمغرب**، المكتبة الثقافة الدينية، (د . ب) ، (د . س) .

68-ميكيل أندري ، **جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر**، تر: إبراهيم خوري ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1953 .

69-الميلي محمد بن مبارك، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تق وتص: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د . ب) ، (د . س) .

70-نكادي يوسف، **أساليب الزراعة والغراسة والتناوب بين الاستغلال والاستراحة في الأندلس خلال القرن الخامس هجري، ضمن كتاب الفلاحة و التقنيات الفلاحية في العلم الإسلامي في العصر الوسيط**، إشراف : حسن حافظي علوي، منشورات عكاظ، الدار البيضاء، المغرب، 2011 .

71-هدية محمود، **اقتصاد النسيج في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط** ، هنداوي للنشر والتوزيع،2017.

72-هنتس فالتس، **المكاييل و الأوزان الإسلامية و ما يعادلها في النظام المدى**، تر، عن الألمانية : كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان ، .1970

73-وهيب كمال ، **أميانوس ماركيلينوس في مصر**، دار الكتاب المصري (د . ب) ، (د. س) .

74-يوسف جودت عبد الكريم ، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر ميلاديين** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، (د . س) .

رابعا : الرسائل الجامعية

1- الأعرج داودي، **تطور الفلاحة في المغرب الأوسط مابين القرنين الثاني والسادس الهجريين (ق8 ــ 12م)** ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط ، إشراف: بوداود عبيد، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر،2016 ـ2017 .

2- بديرة عادل بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط **(دراسة الواقع الاقتصادي والاجتماعي وتأثيرها على سلوك والذهنيات من القرن 4 ـ 7هـ إلى 10 ــ 13م)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص تاريخ وسيط، إشراف: مفتاح خلفات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة ، الجزائر، 2017 ـ 2018.

3- بلمداني نوال ، نظام **الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (4 ـ 5هـ/ 10 ـ 11م)** ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، في التاريخ الوسيط، إشراف: فاطمة بلهواري، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2013 ـ 2014 .

4- بن عميرة محمد، **الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب ،من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف: موسى لقبال، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2004ـ 2005.

5- بورملة خديجة ، **التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في حوض البحر المتوسط من القرن السادس إلى التاسع الهجري12ـ 15م** ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، إشراف : عبد القادر بوباية ، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة أحمد بن بلة ، وهران،2017ـ 2018

6- جعيل أسامة الطيب، **إقليم الزاب في العصر الوسيط ـ دراسة حضارية من الفتح الإسلامي حتى انتشار قبائل بني هلال ببلاد المغرب الإسلامي (02ـ05هـ/08ـ11م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، تخصص دراسات تاريخية في العصر الوسيط، جامعة الجزائر، 2019 ـ2020.

7- رحلي صليحة، **المسيلة وجهتها في العصر الوسيط ــ دراسة منوغرافية ــ**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: علاوة عمارة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، شعبة التاريخ، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013 ـ2014 .

8- رحماني موسى،**الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى إنتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر " 27 – 362هـ / 637 – 972 م" دراسة إجتماعية**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي، اشراف: بوبة مجاني، قسم التاريخ و الآثار، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة المنتوري، قسنطينة، 2007

9- سعداني محمد ، **أسرة بني حمدون الأندلسية و دورها في المغرب و الأندلس خلال القرن الرابع الهجري ــ العاشر الميلادي**، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية، إشراف: محمد بن معمر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2007 – 2008 .

10- سليماني نبيل، **دراسة تصميم وتنفيذ مشروع نظام المعلومات SIG لتسير المجال حالة ولاية سطيف**، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التهيئة العمرانية الإقليمية، إشراف : جمال رحام، كلية علوم الأرض والتهيئة العمرانية، قسم التهيئة العمرانية، جامعة منتوري، قسنطينة ، 2009.

11- علوش سهيلة، **الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط خريطتها ، منشآتها ، استغلالها (من القرن 1هـ إلى نهاية القرن 6هـ)**، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، إشراف: إبراهيم بحاز، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة 2، 2012 ـ .2013

12- عميور سكينة، **الريف المغرب الأوسط في القرنين(5 ــ 6هـ/11 ــ 12م) دراسة اقتصادية واجتماعية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ تخصص تاريخ الريف والبادية، إشراف: إبراهيم بكير بحاز، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ ، جامعة قسنطينة 2، 2012 ــ 2013 .

13- عيبش يوسف، **الأوضاع الإجتماعية و الإقتصادية لبلاد المغرب أثناء الإحتلال البيزنطي**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم، إشراف: محمد البشير شنيتي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ و الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006 – 2007.

14- عيساوي مها، **المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي**، مذكرة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في تاريخ المغرب القديم،

إشراف:محمد الصغير غانم، ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، قسم التاريخ ،جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-.2010

15- قراوي عبد النور، **طبنة و دورها الحضاري من الفتح إلى غاية القرن الخامس الهجري الحاد ي عشر ميلادي**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف : مسعود مزهودي ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2008. ـ 2009 .

16- مثقدان بسام كامل عبد الرزاق ، **تلمسان في العهد الزياني 633. ـ 962هـ/1235 ـ 1555م** ، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التاريخ بكلية الدراسات العليا ، إشراف : هشام بورميلة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2000 .

17- مديازة صورية، **بلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية إنتقال الفاطميين إلى مصر 21 ـ 362هـ /642 ـ 976م** ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، إشراف: مسعود مزهودي، قسم التاريخ و علم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة ، 2009 – 2010 .

18- مسعودان بشير، **ولاية باتنة دراسة في جغرافية السكان**، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه دولة في التهيئة ، إشراف : علاوة بولحراش، كلية علوم الأرض والتهيئة، جامعة منتوري قسنطينة، 2009.

19- موسى هواري، **تقنيات الزراعة ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (من القرن 1هـ ـ 7م إلى القرن 7هـ ـ 13م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، إشراف : محمد بن عميرة ، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله، 2013 ـ 2014.

20- هطاي علي ، **بلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس هجري – الحادي عشر ميلادي** ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العالم المتوسطي

وحضارته قديم ، إشراف : محمد حسن، كلية الآداب و الفنون و الإنسانيات، جامعة منوبة، تونس، 2015- 2016 .

21- يعقوب علي، **التعمير المصغر في حوض ميلة دراسة حالة تجمعات**، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التهيئة العمرانية والبيئة، إشراف: لكحل عبد الوهاب، كلية علوم الأرض والتهيئة العمرانية، قسم التهيئة العمرانية، جامعة الأخوة منتوري، قسنطينة، 2015.

خامسا : القواميس والموسوعات والمعاجم

1-آبادي الفيروز (مجد الدين بن يعقوب ت.817هـ / 1436م) ، **القاموس المحيط** ، تح: محمد نعيم العرق المدوسي ، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع ، ط.8 ، لبنان ، 2005م .

2-البكري ، (أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ت.487هـ) ، **معجم من استعجم من أسماء البلاد والمواضع** ، تح : مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت . 1945 .

3-الجوهري(ت.393هـ / 1002م) ، **الصحاح** ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين،ط.2 ، بيروت ، 1979م.

4-حمد الله إدريسي محمد عصبة ، **المعجم الجامع حرف الزاي** ، إشراف : يحي عبد الرؤوف جبر، مذكرة مكملة لمتطلبات درجة الماجستير ، كلية الآداب ، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2003م .

5-خطيب مصطفى عبد الكريم، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1999 .

6-دياب كوكب ، **المعجم المفصل في الأشجار والنباتات في لسان العرب** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،2001 .

7-الزبيدي (محمد مرتضى الحسني) ، **تاج العروس** ، تح : التوزي وآخرون ، منشورات المجلس والفنون والأدب ، الكويت ، 1975م ، ج.3 .

8-شرباصي أحمد ، المعجم الاقتصادي الإسلامي ، دار الجيل ، (د . ب) ، 1981م .

شيباني أبو عمرو ، **الجيم معجم لغوي** ، تح : عادل عبد الجبار الشباطي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، 2003 .

9-عمارة محمد ، **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية** ، دار الشروق ، بيروت ، 1993 .

10-ابن فارس (حسن أحمد بن فارس بن زكريا ت.395هـ / 1005م) ، **معجم اللغة** ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، مصر ، 1989م ،ج.3 .

11-كريم عاتي الخزاعي ، **أسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري** ، الدار العربية للموسوعات .

12-مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، ط.4 ، مصر، 2004.

13-منجد في اللغة والإعلام ، **جزء الأعلام** ، دار المشرق ، ط.29 ، بيروت ، 2008 .

14-ابن منظور (جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم ت711هـ / 1311م) ، **لسان العرب** ، تح : عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، 1989م ، مج.3 .

15-وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، **الموسوعة الفقهية** ، ط.2 ، الكويت ، 1990، ج.19 .

16-ياقوت الحموي (شهاب الدين ابي عبد ياقوتبن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، ت625هـ /1230م) ، **معجم البلدان** ، دار صادر ، بيروت ، 1977 ، ج.3 .

17-ـــــــــ ، **المشترك وضعا والمفترق صقعا** ، عالم الكتب ، ط.2 بيروت ، 1986.

سادسا : المقالات

1-الأعرج داودي، **سياسة الدولة الزراعية وأثرها على الفلاح في المغرب الأوسط مابين القرنين الرابع والسادس الهجريين**، مجلة الحوار الفكري، (د . س) ، المركز الجامعي نور البشير، البيض، الجزائر .

2-بلبشير عمر، **مساهمة في دراسة النشاط الصناعي والحرفي في المغرب الإسلامي من خلال النصوص النوازلية والجغرافية** ، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، ع.4، جوان 2013 .

3-بلحاج طرشاوي ، **الحرف والمهن في المغرب الأوسط من خلال كتب الحسبة دراسة في تحفة الناضر للإمام العقباني**، مختبر البحوث الاجتماعية و التاريخية، ع. جوان2013 .

4-بلعربي خالد ، **الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني**، دورية كان التاريخية ،العدد السادس ،ديسمبر .2009

5-بلهواري، **العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال القرن الرابع هجري/العاشر ميلادي** ، مجلة كان التاريخية ، السنة الثالثة، ع.10، ديسمبر 2010 .

6-بلهواري فاطمة ، **العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال القرن الرابع هجري ـ العاشر ميلادي**، مجلة كان التاريخية ، السنة الثالثة ، ع.10، ديسمبر 2010 .

7-البلولة إبراهيم محمد أحمد، **إسهامات العلماء المسلمين في تطوير علم الجغرافيا** ،مجلة دراسات دعوية ، العدد 7، يناير 2004 .

8-بن حاج ميلود ، **العلاقات التجارية ما بين دول المغرب الأوسط وممالك السودان الغربي(962.160هـ/776ـ 1554م)**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية ، مج.3 ،ع.1، يناير 2020 .

9-بن عربة محمد و بوسالم أحلام ، **دور مدينة ورجلان في تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط** ، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج.4، ع.01،جانفي2021 .

10-بن قربة صالح ، **أهمية تبلبالة في تجارة المغرب وبلاد السودان خلال العصر الوسيط**، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2أبو القاسم سعد الله، مج.01،03. 06 2001 .

11-بورميلة خديجة ، **الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط من خلال الكتابات الجغرافية العربية** ، دورية كان التاريخية ، ع.34 ، ديسمبر2016 .

12-بوساق سجية ، **المظهر التجاري لمدن المغرب الأوسط طبنة مدينة الزاب ـ أنموذجا ـ**، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية ،ع.18 ، جامعة قسنطينة ، (د . س) .

13-بوقاعدة البشير، سياسة **بني حماد لتأمين الغذاء أيام الحصار العربي الهلالي لمدن المغرب الأوسط** ، مجلة الباحث، مج. 8 ، ع. 2، 31 ديسمبر 2016 ، جامعة سطيف 2 ، الجزائر .

14-جعيل أسامة الطبيب ، **حواضر إقليم الزاب الكبرى في العصر الوسيط من خلال كتب الجغرافيا البلدانية دراسة تاريخية**، دورية مدارات التاريخية ، مج.01 ،ع.01 ، جامعة الجزائر2 ، أبو قاسم سعد الله ، مارس 2019 .

15-جمعان الشكيل علي ، **صناعة الأصباغ في الحضارة الإسلامية**، مجلة آفاق الثقافة والتراث،ع.27 ، يناير،2001 .

16-حتحات فاطمة الزهراء ، مقاومة بيداس بالأوراس 535 ـ 539م ، مجلة الدراسات العسكرية ، جويلية ، 2019 .

17-الحداد محمد ناصر، بروكوبيوس القيسراني وجرجوري التوري مؤرخان في العصور الوسطى، مجلة دار السلام ، ع.صفر نوفمبر، 2017.

18-ديفل سميحة ، **أهل المراكز الصناعية في المغرب الأوسط** ، مجلة آثار، ع.15، جامع الجزائر 2 أبو قاسم سعد الله ، الجزائر، 2016 .

19-ربوح عبد القادر ، **نظام الحسبة في المغرب والأندلس (الماهية ، التطور التاريخي، الأدوار)**، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية ، ع.13، ديسمبر2015 .

20-سرحان حليم، **ملامح من فخار بني حماد في القرن الخامس الهجري – دراسة أثرية**، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، ع.11، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، ديسمبر 2016 .

21-سعيدون ناصر الدين، **المسالك والدروب والهضاب العليا القسنطينية و دورها الحضاري أثناء الفترة الإسلامية**، مجلة الثقافة وزارة الثقافة و السياحة ،ع. 80 ، مارس أفريل ، الجزائر، 1984 .

22-سليم حاج سعد وبن موسى محمد، **مصادر المياه ووسائل الري وأماكن التخزين في المغرب الأوسط ما بين القرنين الثاني والسادس هجريين الثامن والثاني عشر الميلاديين 2 ـ 6هـ /8 ـ 12م**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج.30،ع. 01، جوان 2019. .

23-شباب عبد الكريم ، **جوانب من النشاط الاقتصادي في المغرب الأوسط خلال فترة القرنيين 7و8هـ/13.14م ـ الأسواق أنموذجا ـ** كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة الاطاهر مولاي ، سعيدة ، (د . ت) .

24-الشنيتي محمد بشير، **التوسع الروماني نحو الجنوب الجزائري وآثاره الاقتصادية والاجتماعية**، مجلة الأصالة، ع.41،(د ب)، (د س).

25-عادل الطائي إبتهال، **أضواء في الفكر الجغرافي القديم في وادي الرافدين** ، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة،(د . س) .

26-عبيش يوسف، **مجتمع بلاد المغرب في نهاية التاريخ القديم**، مجلة الأداب العلوم الاجتماعية ،ع.16 ، جامعة سطيف ، (د . س) .

27-عمارة علاوة ، **الهجرة الهلالية و آثارها في تغيير البنية الإجتماعية لبلاد الزاب**، أعمال الملتقى الوطني السابع (بسكرة عبر التاريخ) دولة بني مزني، 23- 26 ديسمبر 2008، المجلة الخلدونية، ع.09، جانفي 2011، دار الهدى للنشر، عين مليلة، الجزائر.

28-فيلالي عبد العزيز ، **قلعة بني حماد الحضارة الإقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 50هـ / 11م** جامعة منتوري ، قسنطينة ، (د س)

29-قدوري عبدالرحمن، **تجارة القوافل عبر الصحراء بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال نهاية العصر الوسيط**، مجلة متون، مج.11،ع.10،01 أفريل2019 .

30-قرمان عبد القادر، **مدينة المسيلة النشأة والتطور في العهد الإسلامي**، مجلة دفاتر، الملتقى الوطني الأول جول تاريخ وأعلام المسيلة أيام 27 - 28 - 29 أفريل 2009، دار الثقافة الشهيد قنفوذ الحملاوي ، المسيلة ، ماي2009 .

31-كرارز فوزية، **السيطرة الاقتصادية الهلالية بالمغرب الإسلامي**، دورية كان التاريخية، ع. 42، جوان .2011

32-كرام سليم، **بسكرة فخر التاريخ وملتقى الحضارات والأمجاد**، الملتقى الوطني الثاني عشر بسكرة عبر التاريخ، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بسكرة،2017.

33-لعرج عبد العزيز ، **الإبداع الفني والصناعي في مجال الخزف بقلعة بني حماد وعلاقات القلعة بالمراكز الخزفية مشرقا ومغربا**، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس 398هـ/1427م،2007/1007) المسيلة أيام11/10/90أفريل2007 ، جامعة المسيلة ، الجزائر ،2007 .

34-مبارك بشير، **العنصر العربي بالمسيلة و قلعة بني حماد خلال العصر الوسيط " قراءة في الادوار والتأثيرات** " ، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، ع. 13، جامعة الجلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016 .

35-مجاني بوبة، **ألفية مدينة القوافل القلعة الحمادية ودولتها**، مجلة القلعة الثقافية، ع.2، ديسمبر2004، مجلة دورية تصدرها دار الثقافة الشهيد الحملاوي لولاية المسيلة .

36-ميلود بن حاج، **العلاقات التجارية ما بين دول المغرب الأوسط وممالك السودان الغربي(962.160هـ/1554.776م)**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج.3،ع.1، يناير2020 .

سابعا : المراجع باللغة الأجنبية

1-Allaoua Amara ; **pouvoir economie et societe dans le Maghreb hammadide** , Insaniyat , Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales , 395-1004 /547 1152 . Ensaniyat n°23 24 .janvier juin 2004 Oran , Algérie .

2-Allaoua Ammara , **Retour à la problématique du déclin économique de monde musulman médival le cas du magreb**

hammadide 11-12 siècles, the magreb review printrd on long life paper, vol 281 2003.
3-Bourouiba.R , OP.Cite .
4-G.Marcais .**les poteries et faiences de la Qal'a des Bani Hammad**, Contribution a l'étude de la Céramique Musulmane, Constantine, 2013 .
5-Golvin.L M.**Archéoqojiques à la Qal'a des banu hammad**, Comptes rendus des séances de l'académie des lnscriptions et Belles - Letters ,1962.
6-Stiephane Gsall , **Atlas Archeologique De L'Algérie** , Edition spéciale des Cartes au 200,000' du Service Géographique de L'Armée, Alger1911.

الفهرس

الـفـــهـــــرس

شكر وعرفان

قائمة المختصرات

الموضوعات **الصفحة**

مقدمة ..... أ ـ ذ

مدخل عام : الأوضاع العامة لإقليم الزاب قبيل الفتح الإسلامي

أولا : الأوضاع السياسية والعسكرية ..... 11 ـ 17

ثانيا : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ..... 17 ـ 25

الفصل الأول : الإطار الجغرافي والتاريخي لإقليم الزاب

أولا : المدلول اللغوي والاصطلاحي ..... 27 ـ 34

ثانيا : الموقع الجغرافي ..... 34 ـ 39

ثالثا : الفتح الإسلامي لإقليم الزاب ..... 39 ـ 43

رابعا : التركيبة السكانية ..... 43 ـ 53

خامسا : عواصم الإقليم وتطورها التاريخي ..... 53 ـ 65

الفصل الثاني : النشاط الفلاحي في البلاد الزابية

أولا : العوامل المؤثرة في النشاط الفلاحي ..... 67 ـ 93

ثانيا : النشاط الزراعي ..... 93 ـ 104

ثالثا: الثروة الحيوانية والسمكية ..... 105 ـ 110

الفصل الثالث : الصناعة في إقليم الزاب

أولا : الصناعة الغذائية ..... 112 ـ 119

ثانيا : الصناعة النيسيجية ..... 119 ـ 128

ثالثا : الصناعة المعدنية والزجاجية ..... 128 ـ 136

رابعا : الصناعة الفخارية والخزفية ..... 136 ـ 140

الفصل الرابع : النشاط التجاري في إقليم الزاب

أولا : المراكز التجارية ..... 142 ـ 148

ثانيا : الطرق والمسالك التجارية ..... 148 ـ 156

ثالثا : الأسواق والأسعار .....156 ـ 162

رابعا : النظام التجاري في الزاب (وسائل التعامل) .....162 ـ 179

خامسا : التبادل السلعي..... 179 ـ 185

خاتمة ..... 187 ـ 189

الملاحق ..... 191 ـ 201

قائمة المصادر والمراجع ..... 203 ـ 229

فهرس الموضوعات..... 231 ـ 232

ملخص الدراسة

خصصنا هذا الموضوع لدراسة الحياة الاقتصادية في إقليم الزاب خلال العصر الوسيط ، حيث تطرقنا إلى واقع الاقتصاد في هذا المجال الذي شغل حيزا هاما في بلاد المغرب الإسلامي ، إذ عرف نشاط اقتصادي كبير، وتأتي الفلاحة في مقدمة هذا الازدهار فتنوعت المحاصيل والثروة الحيوانية بفضل توفرعدّة إمكانيات طبيعية وبشرية؛وهذا ما انعكس على الصناعة ،فعرفت نشاطا لابأس به بفضل توفر المواد الخام ، كما لايمكن إغفال النشاط التجاري الذي كان له الفضل في دفع عجلة الاقتصاد في المنطقة طيلة فترة الدراسة،حيث كان الإقليم يعجّ بالأسواق ومختلف السلع، وتأتيه القوافل التجارية من كل مكان .

الكلمات المفتاحية : إقليم الزاب ، الحياة الاقتصادية ، الفلاحة ، الصناعة ، التجارة .

Résumé

Nous avons consacré ce sujet à l'étude de la vie économique dans la province de Zab au Moyen Âge. Où nous avons parlé de la réalité de l'économie dans ce vaste domaine, qui occupait une large place dans .les pays du Maghreb Islamique

Le domaine économique a connu une grande activité, où l'agriculture est à la pointe de cette prospérité, ainsi les cultures agricoles et l'élevage qui se sont diversifiés grâce à la disponibilité de plusieurs aspirations naturelles et humaines. Cela a eu une incidence positive sur l'industrie. Ce dernier a connu une grande activité grâce à la disponibilité des matières premières. Il n'est pas non plus possible de négliger l'activité commerciale, qui a été créditée de faire tourner la roue de l'économie dans cette région, car la région était pleine de marchés et de marchandises diverses, et des convois commerciaux y .venaient de partout

les mots clés : Province de Zab _ La vie économique _ L'agriculture ._ L'industrie _ La commerce

Summary

We have devoted this subject to the study of economic life in the province of Zab in the Middle Ages. Where we talked about the reality of the economy in this vast area, which occupied a large place in the countries of the Islamic Maghreb. The economic field has experienced great activity, where agriculture is at the forefront of this prosperity, as well as agricultural crops and livestock which have diversified back to the availability of several natural and human aspirations. This has had a positive impact on the industry. The latter experienced great activity back to the availability of raw materials. It is also not possible to neglect the commercial activity, which has been credited with turning the wheel of the economy in this region, as the region was full of markets and miscellaneous goods, and commercial convoys came there.

everywhere. the key words: Province of Zab _ Economic life _ Agriculture _ Industry _ Trade.